٢٤٧٧/١

الـــرق فـــي العصـــر الجـــاهلـــي
وأثـــره فـــي الشعـــر

٢٢٧٠٢

الطـالب : أيمـن محمد سليـم الاحمـد

المشـرف : الأستاذ الدكتور هاشم يافـي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغـة العربيـة وآدابها من كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنيـة .

١٩٨٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرســـت المـــوضـوعـــات

المقـدمـــــة ١ ـ د

الباب الأول : الـرق في العصـر الجـاهلـي

الفصـل الأول : مصـــادر الـرقيـــق ١ ـ ٣٦

الفصـل الثاني : أعمـــال الـرقيـــق ٣٧ ـ ٧٢

الفصـل الثالث : جـوانـــب مـن حيـــاة الـرقيـق و منـافـذ خـلاصـه ٧٣ ـ ٨٥

الباب الثـانـي : أثـــر الـرق فـي الشعـر الجـاهلـــي

الفصـل الأول : أثـر الـــرق فـي شعـــر الأحـــرار ٨٧ ـ ١١٩

الفصـل الثاني : أثـر الـــرق فـي شعـــر الأرقّـــاء ١٢٠ ـ ١٤٩

الخـاتمـــــة ١٥٠ ـ ١٥١

المصـــادر و المـــراجـــع ١٥٢ ـ ١٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقـــــدمـــــة

لعل من المقبول في منطق الأشياء أن نحاول فهم مسيرة أمتنا الثقافية، فنبحث في ماضيها ، ونـــرى ما قـد نفيـد من ذلك في بناء حاضرنا ، ثم فـــي التطلـع إلى مستقبلنا . وقـد يكون في دراسـة العصر الجاهلي ما يشكل نقطـــة البدايـة في هـذا الاتجـاه .

وحين أخـذت أفكـر في اختيـار بحـث لنيل درجة الماجستير ، اتجهـت إلى العصر الجاهلي وأدبـه ، فسعيت إلى أستاذى د . هاشم ياغـي ، فاقتـرح عليّ هذا الموضـوع الذى لاقـى في نفسـي هوى وخوفـا في الوقت نفسه ، فقد أسعدنـي أن أحـاول المساهمـة في دراسة جانب من جوانب التاريخ الاجتماعـي العربـــــي، وكيـف ظهر هذا الجانب في الفـن الأدبـي ، ولكـنني خشيـت ألا أجـــــد مـادة كافيـة لتشكيل هذه الدراسـة ، فإذا كان العصر الجاهلي عامة كثير الغموض، والباحث فيه كمن يمشي في طريق وعـر يلـف الظلام كثيرا من جنباتـه ، وإذا كـــان التاريخ الاجتماعي العربـي عامـة من الأمـور التي تصعـب دراستها ، فكيف تكـــون الحال مع طبقـة اجتماعيـة لقيـت الظلـم والإهمـال في التاريخ العربـي والإنساني عامّـة ..

ولمّـا بـدأت أبحـث فيما كتبـه المحدثـون عن العصر الجاهلي ، وجدت أن بعضهـم قـد عرض لطبقـة الرقيـق عرضـا موجـزا يستوجبـه الحديث في موضوعه الأصـلي ، ومـن أهـم ما وجـدته في هذا المجال دراسة للدكتور ناصر الدين الأسد حول القيان في العصر الجاهلي ، والقيان فئـة صغيرة من فئات الرقيق فـي هـــذا العصـر ، ولكـن دراسـة د . الأسـد أفادتنـي في اتجاهين ، الأوّل : أنها درست هذه الفئـة من الرقيق دراسـة مستقصيـة ، فكفتنـي مؤونـتها ، ولذلك جاء حديثـي عن القيان موجـزا أشدّ الايجاز اكتفاء بمـا أنجـزته دراسة د . الأسـد هـــــذه . والثانـي : أنهـا نبهتنـي إلى بعض المصادر والإشارات التي اعتمدت على مـا فيهـا من فـوائـد كبيـرة . أمّـا البـــاحـث حسين محافظـة ، فقـد خصص في دراسته:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«الـرق في المجتمع العربي الاسلامـي حتى ثورة الزنج» فصلا قصيرا عن الرقيق في العصر الجاهلي . وخصص د . جواد علي أيضـا فصلا قصيرا عن الرق في كتابه القيّم «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» وقـد أفـدت مما كتبه د . جـواد علـي في هذا الفصل ، ومما عثرت عليه من إشارات كثيرة عن العصر الجاهلي فـي بقية أجـزاء كتابه الضخم .

وبعد ذلك عدت إلى المصادر العربية ، وبدأت رحلة طويلة طوفت فيها على عدد غير قليل منهـا ، ومن أهـم هذه المصـادر : الشعر الجاهلي في مظانـه المختلفة ، إذ اطلعت على عدد غير قليل من دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، وعلى عدد من كتب الاختيارات الشعلـرية وما وجدته من دواوين بعض القبائـل ومن شعرها الذى انبرى له بالجمع بعض الدارسين ، وعلى قسم مما تناثر من الشعـر الجاهلي في المصـادر الأخـرى . وقد أفـدت كثيرا من كتب المجموعات الأدبيـة ، ومن أهمها الاغاني ، وخزانة الأدب . وأفـدت كذلك من كتب التاريخ والأخبار ، ومـن أهمها تاريخ الطبرى ، وتاريخ المسعودى ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، وأخبار مكـة للأزرقي ، وأنساب الأشـراف للبلاذرى ، والمعارف لابن قتيبـة ، والمنمق لابن حبيـب البغدادى . ولقد كان في كتب الحديث الشريف وتفسير القرآن عون كبير لي فـي هذه الدراسة ، ومن أهم هذه الكتب الصحيحان ، وعدد من كتب السنن ، وتفسيـر الطبرى ، وتفسـير القرطبي ، وتفسير السيوطي المسمّى الدر المنثور . وأفـدت أيضا مـن كتب السيرة وكتب الصحابة ، ومن أهم هذه الكتب السيرة النبوية لابن هشام ، ومغـازى الواقـدى ، وطبقات ابن سعد ، والاصابة لابن حجـر ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسـد الغابـة لابن الأثير .

ولمّا شعرت بمدى ما في هذا الذى عدت إليه من مواد ليست قليلة الكم ، وبعد تنسيق ما جمعته ، بدأت عملي فقسمت الدراسة بابين ، الأول يتناول الجانـب التاريخـي ، وحـاولت فيه القاء بعض الأضواء على ظاهرة الرق في العصر الجاهلـي ومـدى أهميتها وأثرها في الحياة الجاهلية عامة . والثاني يحاول رصد هذا الأثـر في الشعر الجاهلي خاصة ، وكنت أود أن يكون الباب الثاني في أثر الرق في الحيـاة الثقافية الجاهلية عامة ، ولكن ندرة النصوص في المجالات غير الشعرية جعلني أقصـر هذا الباب على الشعر ، وكنت فـي الوقت نفسه أشير إشارات موجزة إلى أثر الـرق في بعض المجالات الثقافية الأخـرى ، وذلك فيما رأيته مناسبا من مواضع هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قسمت الباب الأول ثلاثة فصول ، تناول الأول مصادر الرقيق في العصر الجاهلي ، وحاولت في هذا الفصل بيان هذه المصادر وحجم مساهمة كل منها في انتشار الرقيق في المجتمع الجاهلي . وتناول الفصل الثاني أعمال الرقيق ، وقد حاولت في هذا الفصل رصد الأعمال التي كان يقوم بها الأرقاء ، وحاولت - ما أمكنني - التعرف على مدى مساهمة الرقيق في الأعمال الانتاجية خاصة ، لأن لذلك أهمية بالغة في تحديد المستوى الحضاري للعرب في العصر الجاهلي . وتناول الفصل الثالث جوانب مختلفة من حياة الرقيق ومنافذ الخلاص التي كانت مفتوحة أمامه ، ولم تعنّي المادة التي وجدتها في هذا الشأن على تفصيل الحديث في هذا الفصل ، فجاء موجزا يغفل كثيرا مما يفترض اظهاره .

وقسمت الباب الثاني فصلين ، الأول تناول أثر الرق في شعر الأحرار ، ورأيت أن الطريقة الملائمة لبيان هذا الأثر تكمن في الكشف عن مواقف الشعراء الأحرار من الرق والرقيق، وكيف عبّروا عن رؤيتهم لهذه الطبقة في فنهم الشعري ، وقد اقتصر حديثي في هذا الفصل على المستوى الأول الظاهر في تأثير الرق في شعر الأحرار ، فقد يستخدم الشاعر وصف الرقيق أو تصويره .. الخ ، ويكون لذلك أهمية في بناء القصيدة في شكلها الكامل ، ولكني لم أشر لذلك ، فهذا يحتاج إلى دراسة جميع القصائد التي يرد فيها النصّ المشار إليه ، وهذا أمر فوق طاقة هذه الدراسة . وخصصت الفصل الثاني للحديث عن أثر الرق في شعر الأرقاء ، وكان اهتمامي في هذا الفصل متجها نحو الحديث عن أثر الرق في شعر كل من عنترة وسحيم عبد بني الحسحاس ، وهما أهم شاعرين وصلنا لهما قدر من الشعر يصلح للدراسة .

أما الآن فإني أود أن أشير إلى بعض الأمور التي أرى فائدة في الإشارة إليها ، وهي :

- إن العصر الجاهلي المقصود بهذه الدراسة هو ما اصطلح على تسميته بالجاهلية الأخيرة ، ويرجع إلى حدود مئة وخمسين أو مئتي عام قبل الإسلام .

- إن الروايات التاريخية والشعرية التي يستشهد بها في المجال التاريخي، لا يهتم بها إلا بقدر ما تفيد في موضوع الدراسة ، ولذلك فلم تعن هذه الدراسة بمناقشة بعض الروايات التي قد يظهر فيها الوضع، ما دام ذلك لا يؤثر فيما اعتقده من صحة الجانب الذي تهتم به الدراسة ، والدراسة في التاريخ الاجتماعي قادرة على الافادة من تلك الروايات ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثير منها بيّن الفائدة في هذا النوع من الدراسة، على الرغم مما قد يبدو من شك في صحتها وقد جاء الحديث عن كثير من الجوانب الاجتماعية صحيحا في هذه الروايات.

- تبقى المناحي الاجتماعية ماثلة وقتا غير قليل حتى بعد ما يحدث من تغيير كبير في المجتمع، ومن هنا اهتمت هذه الدراسة بالروايات التي جاءت حول الرق في صدر الإسلام، آخذة بعين الاعتبار المجالات المهمّة التي طرأ فيها تغير على نظام الرق وعلى الرقيق بعد الإسلام، ثم إن هذه الدراسة قد اهتمت كذلك بالشعر المخضرم اهتمامها بالشعر الجاهلي، وخاصّة بذلك الذي يصدر عن شعراء لم يتعمق الإسلام فيهم، وبقوا في كثير من شؤون حياتهم وفي تفكيرهم قريبين من الحياة الجاهلية، وعلى هذا فإن سحيما مثلا شاعر جاهلي إلى حدّ بعيد، مع أنه عاش جزءا مهما من حياته في الإسلام.

- لم يعتمد تحليلي بعض القصائد على منهج نقدي محدد، فلم أستكمل بعد المستلزمات النظرية لهذا المنهج، ولكنّي ملت في تحليلي قصائد عنترة وسحيم خاصة إلى التركيز على الناحية النفسية المرتبطة بالظروف الاجتماعية للعصر، ورأيت أن هذه الطريقة قد تساعد في الغرض الأساسي للتحليل، وهو الكشف عن أثر الرق في شعر كل من الشاعرين.

اما استاذي الدكتور هاشم ياغي، فله الشكر كله كفاء ما انفق من وقت وبذل من جهد في رعاية هذه الدراسة وتوجيهها وتصويبها كما أشكر لأساتذتي الذين سيتفضلون بمناقشة هذا العمل. وأشكر ايضا لجميع اصدقائي الذين ساهموا بصور مختلفة في انجاز هذا العمل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتشابه مصادر الرقيق عند أكثر الأمم في العصور المختلفة ، وتتفاوت أهمية هذه المصادر حسب ظروف كل أمة ومرحلتها التاريخية . وسأحاول في حديثي عن مصادر الرقيق في العصر الجاهلي بيان مدى أهمية كل من هذه المصادر .

١ـ الاستيـــــراد

كان انتشار الرقيق الأجنبي في شبه الجزيرة العربية ثمرة من ثمرات العلاقات التجارية الواسعة التي قامت بين العرب والبلدان المجاورة لهم ، وتشير المصادر التاريخية والأدبية إلى أن الجزيرة العربية كانت تضم كثيرا من الرقيق ذوى أصول مختلفة ، فمنهم الحبشي والنوبي والقبطي والفارسي والرومي وغير ذلك . وعلى الرغم من قلة النصوص التي تشير بوضوح إلى تجارة الرقيق بين العرب ومجاوريهم ، فإنني سأحاول رسم صورة لتلك التجارة .

الحبشـــــة

كان للعرب علاقات تجارية مهمّة مع الحبشة ، وكان التجار الأحباش يفدون بكثرة على الجزيرة . واحتلال الحبشة لليمن فترة ليست قصيرة ، كان لا بدّ أن يؤدى إلى تنشيط تجارة الحبشة مع الجزيرة بشكل عام ، ومع اليمن بشكل خاص . ويمكن التقدير أن جزءا كبيرا من الرقيق الذى كان منتشرا في جنوبي الجزيرة (١) كان من نتاج هذه الحركة التجارية النشطة .

---

(١) تشير المصادر إلى كثرة الرقيق في جنوبي الجزيرة ، فيروى أن حمزة بن مالك الهمداني ـ وكان ضمن وفد همدان للرسول صلى الله عليه وسلم ـ أعتق أربعمئة عبد عندما هاجر من اليمن ، انظر محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ج ٤ ص٥٧ـ٥٨ . (وسيشار إلى هذا المصدر لاحقا هكذا: طبقات ابن سعد) . وابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت ، ج ٢ ص١٨ . وأعتق ذو الكلاع الأصغر بن النعمان ـ بعد كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليه ـ أربعة آلاف مملوك ، انظر ابن دريد ، أبا بكر محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، تحقيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت مكة من أهم المناطق التي يؤمها التجار الأحباش، ويروى أن أول مال أصابه قصي بن كلاب كان مال تاجر حبشي كبير قدم إلى مكة، وعندما باع بضاعته وأراد العودة لحقه قصي وقتله وأخذ ماله (١) . والقصة التي تروى عن استيلاء عم النجاشي (أَصْحَمَة) على الحكم في الحبشة، وبيع أَصْحَمَة وهو صغير في إحدى أسواق الرقيق هناك، ثم جلبه للجزيرة في سفينة تاجر للرقيق، وبيعه إلى بني ضمرة (٢)، تشير بوضوح إلى تجارة الرقيق التي كانت قائمة بين الحبشة والعرب آنذاك .

عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٩٥٨ م، ص٥٢٦ ـ ٥٢٧ . وكان مع ذي الكَلاع هذا ـ حين وفد على أبي بكر الصديق ـ ألف عبد، انظر المسعودي، الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٢، ص٣٢٦ . ويظهر في كتب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أهل نجران كثرة رقيقهم، انظر البلاذري، أبا الحسن أحمد ابن يحيى، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧٦ . ويربط الجامع المحقق لديوان عمرو بن مَعْدِ يكَرِب بين وجود الهجو في أشعار عمرو لأقوام يوصفون بالأعبد وأبناء الإماء، وبين كثرة الرقيق في اليمن، انظر عمرو بن مَعْدِ يكَرِب الزُّبَيدي، الديوان، (صنعة) هاشم الطعان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د . ت، ص٦ .

(١) انظر ابن حبيب البغدادي، أبا جعفر محمد، المنمّق في أخبار قريش، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٩٦٤م، ص١٨ .

(٢) انظر السهيلي، أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الملك بن أحمد، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، د . ت، ج ٢ ص٩٣ . وابن الأثير، عزالدين أبا الحسن علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢ ص٨١ . والذهبي، الحافظ شمس الدين، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، المجلد الأول (المغازي) تحقيق محمد محمود حمدان، دار الكتاب العربي، القاهرة (وآخرون)، ١٩٨٥م، ص١٠٣ ـ ١٠٤ . وابن كثير، أبا الفداء اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، حققه د . أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٣ ص٧٣ .

ويلاحظ أن ذكر بني ضمرة يتكرر عند الحديث عن الحبشة، فإلى جانب ذكرهم هنا، يروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختار عمرو بن أمية الضمري رسولا له إلى الحبشة غير مرة، انظر ابن هشام، أبا محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان التجار الأحباش يبحرون بسفنهم إلى الموانئ العربية الجنوبية ، ويشاركون في الأسواق التي كانت تقام هناك . ويبحرون كذلك إلى بعض الموانئ في الحجاز مثل الشعيبة (١) والجار (٢) .

وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار القلم ، بيروت ، د . ت ، ج ٣ ص ٢٨٩ ، وج ٤ ص ٣ ، ٥ ، ٢٥٤ . (وسيشار الى هذا المصدر لاحقا هكذا : السيرة النبوية) . والواقدي ، محمد بن عمر ، كتاب المغازي ، تحقيق د . مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ٢ ص ٧٤٢ . (وسيشار الى هذا المصدر لاحقا هكذا : مغازي الواقدي) . واليعقوبي ، أحمد بن أبي جعفر بن وهب ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ج ٢ ص ٧٨ .

وقد يشير ذلك إلى وجود دور خاص لقبيلة ضمرة في العلاقات التجارية مع الحبشة ، خاصة أن منازل ضمرة كانت قريبة من الساحل ، انظر عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩م ، ج ٢ ص ٦٦٨ . حيث يشير إلى أن من منازلهم (المرّود) وهي أرض مرتفعة من الساحل بين الجار ووَدّان . ويشير أيضا إلى أن من منازلهم (الأبواء) ، وهي ـ كما يذكر البكريّ ـ مكان على الساحل بين المدينة ومكة ، انظر البكري ، أبا عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١) كانت الشعيبة ميناء مكة قبل انشاء جدّة في عهد عثمان بن عفان ، انظر الأزرقي ، أبا الوليد محمد ابن عبد الله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ١ ص ١٥٧ . وياقوت الحموي ، شهاب الدين أبا عبد الله ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٣ ص ٣٥ . والزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (شعب) .

(٢) تقع الجار بالقرب من المدينة ، وكانت السفن تفد إليها من الحبشة وغيرها ، وكان بقربها جزيرة في البحر للتجار الأحباش خاصة ، انظر ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص ٣٩ . ومعجم ما استعجم ، ج ١ ص ٣٠٥ . ومعجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٣ . وتاج العروس ، (جور) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووجد العرب أيضا في الحبشة متجرا حسنا(١) . وفي الحديث عن الايلاف أن عبد شمس كان يتاجر إلى الحبشة ، وأخذ عهد أمان من النجاشي(٢) . وتشير إحدى الروايات إلى أن من أسباب مهاجمة الأحباش لمكة في عام الفيل، قيام بعض التجار العرب باحراق بيعة للنصارى على الساحل الحبشي دون قصد(٣) . ومما يدل على قوة العلاقات بين الحبشة ومكة ، أن المسلمين حين أرادوا الهجرة إلى خارج الجزيرة ، كانت الحبشة وجهتهم، ولما أراد عمرو بن العاص أن يترك مكة ، لخوفه من سيطرة المسلمين على مكة بعد ظهور قوتهم ، فكّر في الإقامة في الحبشة(٤) .

وكان التجار العرب يركبون السفن من الشعيبة إلى الحبشة (٥) ، ولا بدّ أن يكون الرقيق من البضائع المهمّة التي يرجعون بها من هناك .

ويبدو للباحث في العصر الجاهلي أن الرقيق الأسود بشكل عام ، والحبشي بشكل خاص، كان يشكّل غالبية رقيق الجزيرة ، ويمكن تفسير ذلك بقرب الحبشة من الجزيرة ، وبسهولة جلب الرقيق منها ، ولا بدّ أن يكون وجود الأحباش في اليمن قد ساعد على انتشار تجارة الرقيق الحبشي التي تعد من أهم تجارات الحبشة . ولعل سعر الرقيق الأسود المتدني نسبيا (٦) ، وقدرته على القيام بأكثر الأعمال شيوعا عند

---

(١) انظر الطبري ، أبا جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ج ٢ ص٥٩ . وسيشار الى هذا المصدر لاحقا هكذا : تاريخ الطبري .

(٢) انظر المنمّق ص٣٠. والبلاذري ، أبا الحسن أحمد بن يحيى ، أنساب الأشراف (الجزء الأول) تحقيق د . محمد حميد الله، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٥٩ . وتاريخ اليعقوبي ، ج ١ ص٢٤٤ . وتاريخ الطبري ، ج ١ ص٢٥٢ .

(٣) انظر البغوي ، أبا محمد الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي (المسمّى معالم التنزيل) تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سرور ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ج ٤ ص ٥٢٧ . والدياربكري ، حسين بن محمد ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مطبعة عثمان عبد الرازق ، القاهرة ، ج ١ ص١٩١ .

(٤) السيرة النبوية ، ج ٣ ص٢٨٩ .

(٥) يروى أنه حين خرج المسلمون مهاجرين إلى الحبشة انتهوا إلى الشعيبة ، فوجدوا سفينتين للتجار فحملوهم إلى أرض الحبشة ، انظر تاريخ الطبري ، ج ٢ ص٣٢٩ .

(٦) كان الرقيق الأسود أقل ثمنا من الرقيق الأبيض الماهر في الصناعات ، وقد اشترى الرسول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرب آنذاك (الرعي ، والزراعة في بعض المناطق ، والخدمة ، ...) قد شجعا على الاكثار منه .

مصر

وقد ضمّت بلاد العرب رقيقا قبطيا من مصر، ومما قاله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمّا مات ابنه ابراهيم : ,, ولو عاش لعَتَقت اخوالُه القبط ، وما استرق قبطي(١) وأعتق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض الرقيق القبطي ، منهم أبو رافع(٢) . وتشير المصادر إلى عدد من الرقيق القبطي (٣) .

ووجود الرقيق القبطي عند العرب ليس غريبا، فقد كان للعرب في العصر الجاهلي علاقات تجارية مع مصر(٤) ، وكان بعض التجار العرب يرحلون إليها ، ومن

ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد الأرقاء البيض بعبدين أسودين ، انظر النسائي ، أبا عبد الرحمن أحمد بن علي ، سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي) ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٩٨٦م ، ج ٧ ص ١٥٠ . وابن ماجة ، أبا عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ت ، ج ٢ ص ٩٥٠ .

(١) سنن ابن ماجة ، ج ١ ص ٤٨٤ .

(٢) انظر ابن عبد البر ، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، (على هامش الإصابة لابن حجر) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت ، ج ١ ص ٦١، ٦٤ . والروض الأنف ، ج ٣ ص ٦٦ . وابن الأثير ، عز الدين أبا الحسن علي بن أبي الكرم ، أسد الغابة في تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ج ٥ ص ٢٨٣ . والإصابة ، ج ٧ ص ١٣٤ .

(٣) انظر البخاري ، أبا عبد الله محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت ، ج ٩ ص ٢٧ . والطبري ، أبا جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ١٨ ص ٧٣ . (وسيشار إلى هذا المصدر لاحقا هكذا : تفسير الطبري) . وأسد الغابة ، ج ٥ ص ٢٨٣ . والإصابة ، ج ٦ ص ٦٨٥ .

(٤) انظر الجاحظ ، أبا عثمان عمرو بن بحر ، من كتابه الأوطان والبلدان (ضمن رسائل الجاحظ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ج ٤ ص ٢٧ ١ . والثعالبي ، أبا منصور عبد الملك بن اسماعيل ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١١ ـ ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هولاء عمرو بن العاص(١) ، والمُغيرة بن شُعبة الذى ذهب إليها مع نفر من بني مالك الثقفيين (٢) . ويبدو أن العرب كانوا على معرفة ببعض أحوال القبط قال الشمّاخ :

يَمْشِينَ مَشْيَ القِبْطِ في المَدارِجِ (٣)

وبسبب هذه العلاقة مع مصر ، كان من الطبيعي أن يبعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا إلى المقوقس يدعوه للإسلام(٤) . وتشير هدية المقوقس للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي ضمت رقيقا قبطيا(٥) ، إلى أن الرقيق القبطي كان من البضائع

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ١٩٢٠م ، ص٥٣ـ٥٤ . والكندى ، أبا عمر محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص٦ـ٧ . ومؤلف مراكشي مجهول من القرن السادس الهجرى ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م ، ص٧٨ . والحميرى ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٥٥٢ .

(٢) انظر الأصفهاني ، أبا الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، (مصورة عن طبعة دار الكتب) ، ج ١٦ ص ٨٠ . وابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني ، شرح نهج البلاغة ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، د . ت ، ج ٢٠ ص٣ـ٤ . وتاريخ الخميس ، ج ٢ ص٢٠ـ٢١ .

ويذكر سعيد الأفغاني أن عبد الله بن جُدْعان أتى مصر ببضاعة فباعها ورجع إلى سوق عكاظ ، انظر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٢٥ . ولم يذكر الأفغاني مصدر هذا الخبر ، ولم أجده فيما اطلعت عليه من المصادر ، وإذا صح ، فهو إشارة مهمة ، فالمعروف أن ابن جُدْعان من أشهر تجار الرقيق في مكة كما سياتي في أكثر من مكان من هذه الدراسة .

(٣) الشمّاخ بن ضرار الذبياني ، الديوان ، تحقيق صلاح الدين الهادى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٣٦١ .

(٤) انظر السيرة النبوية ، ج ٤ ص ٢٥٤ . وتاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٦٤٥ .

(٥) اختلف في عدد الرقيق الذى بعثه المقوقس إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن المشهور أنه بعث له جاريتين (مارية وسيرين) وخصيا يقال له مأبور ، انظر ابن حبيب =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهمة التي وصلت الى العرب من مصر .

وقد يكون بعض الرقيق القبطي وصل الى العرب عن طريق غزة التي كانت ترد اليها البضائع المصرية (١) ، وكانت من أهم المحطات التجارية للعرب في بلاد الشام .

النوبة

وقد شكل الرقيق النوبي (٢) جزءا مهما من الرقيق الأسود في الجزيرة ، اذ ترد اشارات كثيرة في المصادر تدل على انتشار الرقيق النوبي في العصر الجاهلي (٣) .

البغدادي ، أبا جعفر محمد ، المحبر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت ، ص٧٦، ٩٨ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٤٩ . والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص٣١٣ .

(١) انظر د . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص٣٥٩ .

(٢) عرفت بلاد النوبة بكثرة الرقيق ، يقول د . مصطفى محمد مسعد : اتفقت جميع الروايات التاريخية على أن المجتمع النوبي كان يتالف من طبقتين ، الطبقة الحاكمة وتشمل الأسرة الحاكمة ... ، والطبقة الثانية هي طبقة العبيد ، وهم عامة الشعب النوبي (الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ١٩٦٠ م ، ص٩٠) . وتؤيد المصادر العربية ذلك ، ففي القصة التي يرويها المسعودي عن تلك البلاد ما يؤكد أن الشعب النوبي كان يعتبر رقيقا للملك ، انظر مروج الذهب ، ج ٢ ص٢٣ . ومما يدل على كثرة الرقيق النوبي أن أهل النوبة عاهدوا المسلمين على اعطائهم بضع مئات من الرقيق كل سنة ، انظر فتوح البلدان ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ . وقدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق د . محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م ، ص ٣٥٢ . وانظر تفاصيل ما كانوا يدفعونه من الرقيق للمسلمين في (مروج الذهب) ، ج ٢ ص ٢١ ــ ٢٢ .

(٣) انظر أمثلة على ذلك عند ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق د . ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص١٤٧ . وفي : أنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٧٩ . والكامل في التاريخ ج ٢ ص٣١٣ . وعند القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القران ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ج ٦ ص١٤٨ . (وسيشار الى هذا المصدر لاحقا هكذا : تفسير القرطبي) . وفي الاصابة ، ج ٥ ص ٥٧٨ ، وج ٧ ص ٣٥٠ ، وج ٨ ص ٧٥ ، ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم أعثر على أية إشارة حول طرائق جلب الرقيق النوبي لبلاد العرب، لكن يمكن افتراض ثلاث طرق ممكنة في هذا المجال :

أولاها : أن يكون العرب قد جلبوا الرقيق النوبي من بلاده، إذ تشير بعض المصادر إلى وصول العرب إلى تلك البلاد، فيروى أن بعض ملوك النوبة كانوا من أصل حميري(١) . ويروى أيضا أن الحضرميين وصلوا إلى بلاد النوبة في القرن السادس الميلادي(٢) .

ثانيتها: أن يكون الأحباش القريبون من النوبة قد جلبوا منها رقيقا عن طريق الحرب (٣)، أو الشراء، وباعوه في أسواق العرب أو في أسواق بلادهم التي يصل إليها العرب .

ثالثتها: أن يكون الرقيق النوبي قد جلب من مصر التي ارتبطت بعلاقات قوية مع بلاد النوبة (٤) .

وفي الشعر الجاهلي ما يدل على انتشار الرقيق النوبي، قال كَعْب بن زُهير يصف زوجا من النعام :

وكأنّها نوبيّةٌ وكأنّهُ زوجٌ لها من قومها مَشْعوفُ

(كعب بن زهير، شرح الديوان للسكّري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠م)، ص١٢٢ .

وقال سعد بن طريف يهجو بلال بن رباح :

وذاكَ أسودُ نوبيٌّ لـه ذَفَـرٌ كأنّـه جُعَـلٌ يمشي بِقِـرْواحِ

(الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٨م، ج ٣ ص٥٠٧. والجاحظ أيضا، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٤١) .

(١) انظر معجم البلدان، ج ٥ ص٣٠٩ . والإسلام والنوبة، ص٩١ .

(٢) انظر الإسلام والنوبة، ص١٨٠، نقلا عن :

Paul, A: A History of the Beja Tribes of The Sudan

(٣) كان هناك نزاعات حربية بين الحبشة والنوبة، انظر عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، د.ت، ص٢٨، ٣٦ . والإسلام والنوبة، ص١٢ـ ١٣ .

(٤) ساهمت الكنيسة المصرية في نشر المسيحية في بلاد النوبة، انظر الإسلام والنوبة، ص ٥٦ =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـلاد فـــارس

وكانت بلاد فارس مصدرا رئيسا للرقيق الأبيض المجلوب للجزيرة ، وقد ارتبـط العرب مع الفرس بعلاقات تجارية واسعة لعبت الحيرة فيها دورا مهما ، فكانت البضائع الفارسية ترد إلى الحيرة ، ثم تعمد الحيرة إلى بيعها للعرب .

وكان ملوك الحيرة يشاركون في التجارة مع الجزيرة ، وكانت لهم لطائم إلـى أشهر أسواقها مثل عكاظ(١) . وكانت بعض القبائل العربية مثل سُلَيْم و هوازن تتاجـر لملوك الحيرة ، فتبيع لها بضائعها في الأسواق العربية مقابل جزء من الأرباح (٢) .

وكان التجار العرب يفدون بكثرة على الحيرة ، ومن بين هؤلاء تجار أسـد وغطفان(٣) ، وأشهر تجار مكة أمثال أبي سفيان بن حرب ومُسافر بن عمرو(٤) والنَّضْـر ابن الحارث(٥) .

وكانت الحيرة المشتهرة بحاناتها وقيانها وجواريها(٦) مركزا مهمّا لشـــراء

وما بعدها . ويبدو أنه كانت هناك علاقات تجارية مهمة بينهما ، ففي المعاهدة التـــي عقدها عمرو بن العاص ـ بعد فتح مصر ـ مع النوبة : « فتح بلادهم (النوبة) لتجـــارة الصادر والوارد (مع مصر) » . (تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٦) .

(١) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١ . والكامل في التاريخ ، ج ١ ص ٦٣٩ . وأبـا البقاء الحلي ، هبة الله ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، تحقيق د . صالح دراد كة ود . محمد خريسات ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، د . ت ، ج ٢ ص ٣٧٥ . وابن سعيد الأندلسي ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق د . نصرت عبـــد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ، ١٩٨٢م ، ج ١ ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٢) انظر المناقب المزيدية ، ج ٢ ص ٣٧٥ .

٣٦١٧٦٩

(٣) انظر المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٤) انظر ابن مصعب الزبيرى ، أبا عبد الله المصعب بن عبد الله ، نسب قريش ، تصحيـــح وتعليق إ . ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، د . ت ، ص ١٣٦ .

(٥) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٤٠ .

(٦) انظر الأغاني ، ج ١٠ ص ١٦ ـ ١٧ ، وج ١١ ص ٩٧ . ود . ناصر الدين الأسد ، القيـان والغناء في العصر الجاهلي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٨٢ . ويذكـر ابـــن خرداذبة أن قيان جبلة بن الأيهم كان منهن خمس يغنين بغناء أهل الحـيرة ، انظـر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القيان والجوارى اللواتي انتشرن في الجزيرة (١) . ويروى أن النّضر بن الحارث اشترى في إحدى رحلاته إلى الحيرة قينتين (٢) ، وكان مما فدى به وَهْرَز بن رومانس ـ أخو النعمان لأمه ـ قينتان (٣) .

ولم تكن الحيرة الطريق الوحيد لتجارة العرب مع الفرس، بل كان الفرس يتاجرون مع الجزيرة بشكل مباشر، فيذهبون ببضائعهم إلى الأسواق العربية ، وخاصة تلك التي كان لهم نفوذ عليها ، كالمشقّر(٤) وهَجَر وعُمان(٥) . وكانت لهم تجارة ثابتة مع اليمن(٦) التي سيطروا عليها بعد طرد الأحباش منها .

كما كان التجار العرب يفدون على بلاد فارس، وممن وفد عليها أبو سفيان بن حرب(٧) ، وصحب عبد المطلب ـ جدّ النبي صلى الله عليه وسلم ـ في رحلة من رحلاته الى فارس عدد من تجار قريش، منهم عبد الله بن جُدْعان تاجر الرقيق

ابن خرداذبة ، أبا القاسم عبيد الله ، مختار من كتاب اللهو والملاهي ، دار الشروق ، بيروت، ١٩٨٦م ، ص٣٦ـ٣٧ .

(١) انظر القيان والغناء .. ، ص٤٧ـ٦٥ .

(٢) انظر أنساب الأشراف، ج ١ ص ١٤٠ . والزمخشري ، أبا القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت ، د .ت، ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٣) انظر المناقب المزيدية ، ج ٢ ص٤٤٨ .

(٤) انظر المحبّر ، ص٢٦٥ .

(٥) انظر المرزوقي ، أبا علي ، الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدراباد ـ الهند ، ١٣٣٢هـ ، ج ٢ ص١٦٢ . وانظر أيضا أسواق العرب للأفغاني ، ص٢١٨ .

(٦) كان لكسرى لطيمة إلى اليمن كل عام ، انظر الأغاني ، ج ٢٤ ص٦٢ . والكامل في التاريخ ، ج ١ ص٦٢٠ـ٦٢١ . والمناقب المزيدية ، ج ٢ ص٤٨٢ . وكان الاعتداء على إحدى هذه اللطائم من أسباب معركة ذي قار ، انظر المنمّق، ص٣١٩ .

(٧) انظر ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق د . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٣م ، ج ١ ص٢٨٨ . والأغاني ، ج ٢٢ ص ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعروف (١) .

وتجدر الإشارة إلى أن الحيرة وبلاد فارس لم يكونا مصدرا للرقيق الفارسي وحسب، بل يعتبران أيضا مصدرا للرقيق الرومي الذى كان يؤسر في الحروب الكثيرة التي قامت بين الفرس والروم وحلفاء كل منهما (٢)، وكذلك يمكن التقدير أن بعض

---

(١) انظر الأغاني، ج ١ ص ٣٢٩ـ٣٣٠ . والزمخشرى، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق د . سليم النعيمي، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٨١ . والزمخشرى أيضا، المستقصى في أمثال العرب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م، ج ١ ص ٢٨١ .

(٢) انظر د . جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ج ٤ ص ١٦٥ . ود . نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دمشق، ١٩٦٨م، ص ٢١٠ . وانظر حول شن الفرس الغارات على الروم لجلب الأسرى واستعبادهم، بليانيف، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة د . أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٣٢ . وجاء في (تاريخ سني ملوك الارض): وكان النعمان أشد ملوك الأرض نكاية في الأعداء وأبعدهم مغارا، وغزا الشام مرارا كثيرة، وأكثر المصايب في أهلها، وسبى وغنم ... واجتمع له من الأموال والخول والرقيق ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة . (الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الارض ...، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ص ٨٨ . وتشير المصادر إلى عدد من الرقيق الرومي في الجزيرة، انظر مغازى الواقدى، ج ٣ ص ٨١٥ . وطبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٢٤٧ . ونسب قريش، ص ٢٥٤ . والمنمّق، ص ٣٠٢ . وأنساب الأشراف، ج ١ ص ٥٥، ٣٥٧، ٣٦٩، ٤٨٩ . والبكرى، عبد الله بن عبد العزيز، سمط اللآلى، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ج ١ ص ٤٠٥ . وابن عساكر، الحافظ أبا القاسم علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٥٠٢ . وأسد الغابة، ج ٥ ص ٤٦٢ . ونهاية الأرب للنويرى، ج ١٦ ص ٢٢٩ـ٢٣٠ . والبغدادى، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٢م، ج ٤ ص ٣٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجار الروم من ذوى العلاقات مع الحيرة (١) ، كانوا يجلبون إليها بعض الرقيق الرومي لبيعه .

ويمكن الافتراض أن بلاد فارس هي الطريق التي وصل من خلالها الرقيق التركي والكابلي اللذان ذكرهما الأعشى في قوله :

ولَقد شَرِبْتُ الخَمرَ تَرْ كُضُ حولنا تُرْكٌ وكابُلْ (٢)

بلاد الشام

وقد ارتبط العرب بعلاقات تجارية قوية ومستقرة(٣) مع بلاد الشام ، وكانت القوافل العربية تحط في محطات كثيرة فيها ، ومن أبرز هذه المحطات غزّة وبُصرى ، وكانت غزة « بوابة الغرب بالنسبة للعرب ، تتدفق عليها بضائع مصر ومنتجات العالم اليوناني والروماني »(٤) ، ولا بد أن يكون الرقيق من هذه البضائع . وكان التجار العرب يعودون من بصرى إلى ديارهم « ومعهم ما اشتروه من تجارات بلاد الشام من مصنوع في هذه البلاد أو مستورد إليها من بلاد الروم ومن أوروبة ، ومن سلع حيّة هي الرقيق الذى يباع في أسواق بصرى واستورد إليها من مختلف الأنحاء »(٥) .

وتشير المصادر إلى تجارة الرقيق التي كانت قائمة بين العرب وبلاد

---

(١) يشير ابن الأنبارى إلى أحد التجار الروم الذى كان نديما للنُّعمان بن المنذر ، انظر ابن الأنبارى ، أبا بكر محمد بن القاسم ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٥٠٥ـ ٥٠٦ .
وانظر أيضا المناقب المزيدية ، ج ٢ ص ٢٧٠ـ٢٧١ .

(٢) الأعشى ، ميمون بن قيس ، الديوان ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، قصيدة ٧٦ (وسيشار لاحقا للقصيدة أو المقطوعة بالرمز : ق) ص٣٩٧ .

(٣) بلغ من قوة العلاقات التجارية العربية مع بلاد الشام واستقرارها ، أن بعض التجار العرب اشتروا ضِيَعا في الطريق التجارية إليها ، ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب (انظر فتوح البلدان ، ص١٢٥) وعبد الله بن عثمان القرشي (انظر الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢١٠) .

(٤) تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص٣٥٩ .

(٥) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٣ ص٦٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام ، فيروى أن حَكيم بن حِزام قدم من الشام برقيق منهم زيد بن حارثة (١) ويستنتج من الروايات حول غلمان تَميم الدّاريّ أنّه جاء بهم من الشام (٢) .

ويظهر مما ترويه هذه المصادر أنه كان لقبيلة كَلْب (٣) دور مهم في التجارة مع الروم ، ومن ذلك تجارة الرقيق ، فقد كانت تشتريه منهم وتبيعه في الأسواق العربية (٤) . ويذكر ابن حبيب أنه كان لقبيلة كلب قن كثير في دُومَة الجَنْدَل (٥) ، وذلك يؤكد اهتمامها بتجارة الرقيق . ويبدو أن قبيلة كلب كانت تهاجم بعض قوافل الفرس وتبيع من تأسره منهم كما حدث لسلمان الفارسي (٦) .

وكان تجار الروم يفدون على الجزيرة العربية ، وكانت سفنهم ترسو في

---

(١) انظر السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٦٤ . والمقدسي ، مطهر بن طاهر ، كتاب البدء والتاريخ ، باريس ، ١٩١٦م ، ج ٥ ص ٢٢ . ونهاية الأرب للنويري ، ج ١٦ ص ١٨٤ . وفي (أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤٦٧) أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي اشترى زيدا من الشام .

(٢) انظر أسد الغابة ، ج ٥ ص ١٤٢ـ١٤٣ . والخزاعي ، أبا الحسن علي بن محمد ، كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق الشيخ أحمد محمد سلامة ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ١٢٣ . والإصابة ، ج ٣ ص ٣٨ـ٣٩ .

(٣) كلب : قبيلة من قبائل قضاعة الذين كانوا حلفاء الروم الرئيسين قبل الغساسنة ، انظر حول ملكهم وعلاقتهم بالروم ما كتبه أحمد محمد باشميل في كتابه « العرب في الشام قبل الإسلام » ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ١٤٥ـ١٧٢ .

(٤) لعل قصة صهيب الرومي أكبر مثال على ذلك ، فبعد أن سبته الروم وهو صغير ، ابتاعه رجل من كلب ، ثم قدم به إلى مكة أو عكاظ ، وباعه هناك ، انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٢٢٦ـ٢٢٧ . والمنمّق ، ص ٣١٠ـ٣١١ . والمعارف ، ص ٢٦٤ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٨٠ . والإصابة ، ج ٣ ص ٤٤٩ـ٤٥١ .

(٥) انظر المحبّر ، ص ٢٦٥ .

(٦) انظر تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ١٧ـ١٨ . وفي قصة سلمان وصهيب إشارة إلى أن الروم وحلفاءهم من العرب كانوا يبيعون بعض أسراهم من الفرس وحلفائهم إلى العرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشُعَيْبَة (١) . ويشير أوليري إلى وجود تجار رومان في مكة يحملون جواسيس لبلادهم إلى جانب اشتغالهم بالتجارة (٢) ، ولا تبدو هذه الإشارة غريبة ، فبعض المصادر العربية تشير إلى أن الروم كانوا يسكنون بعض مناطق الجزيرة مثل (مَلَكان الروم) ، وهو جبل في بلاد طيء (٣) . ولا بد أن الرقيق كان من بضائع التجار الروم التي كانوا يجلبونها للجزيرة .

وقد يكون بعض الرقيق اليهودي الذي وجد في الجزيرة قد جلب من بلاد الشام مع التجار الروم أو العرب (٤) .

الهند

وتشير بعض المصادر إلى وجود رقيق هندي عند العرب ، فمن الرقيق الذي سباه خالد بن الوليد من بني حنيفة ، أمة سندية ، صارت لعلي بن أبي طالب (٥) . ويرى د . جواد علي أن وجود هذه الأمة في اليمامة « دلالة على وجود الرقيق المستورد من الهند في الجزيرة العربية ، فقد كانت أسواق البحرين وبقية الأسواق العربية الشرقية تشترى الرقيق الوارد إليها من الهند » (٦) .

---

(١) في (أخبار مكة للأزرقي ، ج ١ ص ١٥٧) : « . . . ثم إن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعيبة ، وهو يومئذ ساحل مكة . . . » . وانظر هذه القصة أيضا في : الإصابة ، ج ١ ص ٣٢٨ ، ٣٩٦ .

(٢) انظر Delacy O'Leary, Arabia before Mohammed, London. 1927. P. 184 وقد أشار أحمد أمين إلى ذلك ، انظر فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٣ .

(٣) انظر معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٩٤ (ملك) . وتاج العروس (ملك) .

(٤) يشير الواقدي إلى أحد الأرقاء اليهود في مكة ، انظر مغازي الواقدي ، ج ٢ ص ٨٦٦ . ويروى أن عبد شمس قد جلب من صفورية أحد الأرقاء اليهود وتبناه ، انظر القصة عند المرزباني ، أبي عبيد الله بن عمران ، معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٢٦ . وفي : ربيع الأبرار ، ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ . الروض الأنف ، ج ٣ ص ٦٥ .

(٥) انظر المعارف ، ص ٢١٠ .

(٦) المفصّل ، ج ٧ ص ٤٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد في الشعر الجاهلي ما يدل على أن العرب عرفوا الرقيق الهندى ، قال مُزَرِّد بن ضرار يصف النّعام :

معاهِدُ ترعى بينها كلُّ رَكْضَةٍ غرابيب كالهندِ الحوافي الحوافد (١)

ويفسر صاحب العباب الزاخر (اليرفئي) في بيت سَلامة بن جَنْدل :

كأنّه يرفئيٌّ نام عن غَنَمٍ مستوهلٌ في سواد الليل مذؤوب (٢)

بأنّه عبد سنديّ أسود . ويدل ذلك على وجود الرقيق السندى عند العرب في العصر الجاهلي .

وقد يجلب الرقيق الهندى مع التجار الهنود الذين كانوا يفدون على الجزيرة العربية (٣) . وكانت سفنهم معروفة للعرب في العصر الجاهلي (٤) .

وأشير في ختام الحديث عن هذا المصدر من مصادر الرقيق إلى أن تجارة الرقيق كانت ذات أهمية بالغة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجزيرة . وقد كان الرقيق من أهم السلع في التجارة الداخلية والخارجية للجزيرة . وتبرز أهميته في أنه كان يعد أهم السلع القيمة (٥) ، فكان يُهدى ، ويُستخدم كالنقود في بعض الأحيان ، وكان يُقدّم في فداء الأسرى والسبايا ، فيروى أن فداء حاجب بن زرارة

---

(١) الخطيب التبريزى ، يحيى بن علي بن محمد ، شرح اختيارات المفضّل ، تحقيق د . فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ج ١ ص٣٦٦-٣٦٧ . ويقول التبريزى في شرحه للبيت : « ... كأنها نساء الهند حافية حافدة ، والحفد هو الاسراع في الخدمة » . ويدل هذا على أن تلك النسوة كنّ من الرقيق .

(٢) الصغاني ، رضي الدين الحسن بن محمد ، العباب الزاخر واللباب الفاخر (الجزء الأول ، القسم الأول) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٨م ، ص٦٣ .

(٣) في (المحبّر ، ص٦٥) ، أن سوق دُبا كان يأتيها تجار السند والهند .

(٤) قال لَبيد بن ربيعة :

كسفينة الهنديّ طابق دَرْزَها بسقائفٍ مشبوحةٍ ودِهانِ

(الديوان ، تحقيق د . احسان عباس ، وزارة الثقافة ، الكويت ، ١٩٦٠م ، ص ١٤٢) .

(٥) انظر حديثا أكثر تفصيلا عن ذلك ص ٩٠-٩٣ من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ألف عبد وألف ناقة (١) . وقد يُقدّم الرقيق مهرا للعروس ، فيروى أن الحارث ابن سليل الأزدى تزوج الرّبّاعة بنت علقمة بن حفصة الطائي على مئتين وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم (٢) ، وقدم امرؤ القيس لامرأة مهرا فيه عشرة أعبد وعشر وصائف (٣) .

وكانت تجارة الرقيق في العصر الجاهلي من الوسائل الناجحة للثراء ، ونلاحظ أن تجار الرقيق في مكة كانوا من أكبر أثريائها أمثال عبد الله بن جُدْعان وحَكيم بن حِزام . وكانت الأسواق العربية تختص بالرقيق ، ومن أشهر هذه الأسواق مكة (٤) . وكان الرقيق من السلع الأساسية في الأسواق الموسمية (٥) .

---

(١) انظر أبا عبيدة ، معمر بن المثنى ، كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق) ، باعتناء المستشرق بيفان ، ليدن ، ١٩٠٥م ، (أعادت طبعه مكتبة المثنى ، بغداد ، د . ت) ، ج ١ ص٣٧٩ـ٣٨٠ . وانظر مثال آخر في (الكامل في التاريخ) ، ج ١ ص٥٧٥ .

(٢) انظر نهاية الأرب للنويرى ، ج ٣ ص٢٢ .

(٣) انظر الأغاني ، ج ٩ ص١٠١ .

(٤) هناك إشارات كثيرة تدل على تجارة الرقيق الواسعة في مكة ، من ذلك أن قيس بن زهير العبسي أراد بيع ظعائن الربيع بن زياد العبسي في مكة ، انظر الكامل في التاريخ ، ج ١ ص٥٦٦ . ومن الأرقاء الذين بيعوا في مكة خبّاب بن الارتّ ، انظر المعارف ، ص٣١٦ . وأسد الغابة ، ج ٢ ص٩٨ .

(٥) من الإشارات حول بيع الرقيق في تلك الأسواق ، أن صهيبا الرومي بيع في سوق عكاظ ، انظر المنمّق ، ص٣١٠ . وبيع عُبَيد والد أبي عَزّة الشاعر في سوق ذى المجاز ، انظر الأغاني ، ج ١٢ ص٢٣٩ . والإصابة ، ج ٦ ص٦٣٤ . ويقال أن زيد بن حارثة بيع في سوق حباشة ، انظر الروض الأنف ، ج ١ ص٢٨٦ . وهناك سوق حباشة أخرى يباع فيها الرقيق ، وهي سوق لبني قينقاع قرب المدينة ، انظر معجم البلدان ، ج ٢ ص٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ ـ الحـــروب والـــغـــزوات

تعتبر الحروب المصدر الأصيل لنشوء ظاهرة الرق في التاريخ الانسانـــي . وسأحاول بيان مدى مساهمة الحروب وأعمال القتال والعنف في انتشار الرقيق فـــي العصر الجاهلي ، وتنقسم هذه الحروب والأعمال ـ حسب مصدر الرقيق الذى ينتـــج عنها ـ قسمين :

الأول : ما كان يقع بين العرب ومجاوريهم .

الثاني : ما كان يقع بين العرب أنفسهـــم .

الحروب والغزوات بين العرب ومجاوريهم : ـ

احتكّ العرب حربيا في هذا العصر مع ثلاث دول ، هي الحبشة والفـرس والروم .

وقد برز الاحتكاك مع الحبشة في قيام الأحباش باحتلال اليمن مرتين (١) . وقد واجه جيش الأحباش في المرة الثانية (٢) حالات من التمرد من بعض القبائـــل العربية (٣) . ولعلّ من أبرز حملات (٤) الجيش الحبشي على القبائل العربيـة ، حملته على مكّة في محاولة للسيطرة عليها وهدم الكعبة . ويروى أنّ أهـــل مكـــــة

---

(١) كانت المرة الأولى في حوالي سنة ٤٨٠ م ، انظر (بين الحبشة والعرب ، ص ٤٥ ـ ٤٨) . والمرة الثانية ـ وهي المشهورة ـ وقعت في حوالي سنة ٥٢٥ م .

(٢) يبدو أن عددا من الرقيق الحبشي كان ضمن قوات هذه الحملة ، فيروى أن أبرهة اعتمـــد على أحد عبيده في قتل أرياط ، انظر الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ٤٣٢ .

(٣) انظر (بين الحبشة والعرب) ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٤) يلاحظ وجود عدة حملات للأحباش على القبائل العربية ، وكان أبرهة يأخذ من بعض هذه القبائل رهائن ، وكانت الوفود تأتي للقواد الأحباش في فداء أسراها ، انظر السكّرى ، أبا سعيد الحسن بن الحسين ، كتاب شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمـد الفراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ج ١ ص ٣٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَبوا بعض من بقي من الجيش الحبشي من عسفاء وغيرهم (١) . ويقال أنّ أمّ أيمن مولاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت من سبايا أهل مكة من هذه الحملة (٢) . وعندما استطاع سيف بن ذي يزن طرد الأحباش من اليمن بمساعدة الفرس ، غنم منهم أعدادا من الرقيق ، ويروى أنّه استخدم جزءا منهم في حراسته ، مما أدى الى قتله (٣) . وقد يكون الرقيق الذي أهداه ابن ذي يزن للوفد القرشي الذي جاء لتهنئته بالنصر ، مما غنمه من الأحباش (٤) .

وكانت غارات القبائل العربية على حدود فارس من الأسباب الرئيسة التي دعت الفرس لتكوين مملكة الحيرة (٥) . ويدل ذلك على أن تلك الغارات كانت تشكل مصدر ازعاج للدولة الفارسية . وكان العرب يغنمون في بعض هذه الغارات بعض الأسرى والسبايا ، فقد روى أن قبيلة إياد المشهورة بغاراتها على حدود فارس أصابت امرأة من الفرس تدعى سيرين (٦) . وقد أسر العرب بعض الفرس في معركة ذي قار المشهورة (٧) .

---

(١) جاء في (أخبار مكة للأزرقي ، ج ١ ص١٤٧ ـ ١٤٨) : « وأقام بمكة قلّال من الجيش وعسفاء ، وبعض من ضمّه العسكر ، فكانوا بمكة يعتملون ويرعون لأهل مكة » . وأميل إلى أنّ الإقامة هنا لم تكن تعني بقاءهم أحرارا ، فهم كانوا « يعتملون ويرعون » ، وهذا من عمل الرقيق . وفي الخبر الثاني ، وهو أنّ أمّ أيمن كانت منهم ، ما يدل على أنّهم كانوا من الرقيق .

(٢) انظر أحمد الحفني القنائي الأزهري ، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٠٣ م ، ص١٤٨ .

(٣) انظر الكامل في التاريخ ، ج ١ ص٤٥٠ .

(٤) يروى أن ابن ذي يزن أمر لكل رجل في الوفد بعشرة أعبد وعشر إماء سود ، انظر المنمق ، ص٤٦٥ . وأخبار مكة ، ج ١ ص١٥٣ . والعقد ، ج ١ ص٢٩٣ . والأغاني ، ج ١٧ ص٣١٦ .

(٥) انظر المناقب المزيدية ، ج ٢ ص٣٦٧ .

(٦) انظر الأغاني ، ج ٢٠ ص٣ . ومعجم ما استعجم ، ج ١ ص٧٠ .

(٧) أنظر المنمق ، ص٣٢٠ ، حيث يذكر أنّهم باعوا أحد الفرسان الذي كان يجيد صنعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء بعض الرقيق مما كان يسبيه العرب من الروم (١) الذين أنشأوا مملكة الغساسنة لتكون في حماية حدود الروم من هجمات القبائل العربية . وكما هو معروف فقد شارك جَبَلة بن الأيْهم في قتال المسلمين إلى جانب الروم في حروب الفتح (٢) . كما شاركت بعض القبائل العربية الحليفة للروم في القوات الرومية التي قاتلت المسلمين يوم مؤتة (٣) .

وتدل الخلافات التي نشأت بعد الملك الغساني الحارث بن جَبَلة ، بين الغساسنة والروم على أهمية دور الغساسنة في حماية حدود الروم ، إذ هاجم الغساسنة أنفسهم أرض الروم ، ويروى أن ابنا للملك المنذر بن الحارث هاجم عدة مدن في الشام ونهبها ، وقتل وسبى وغنم كثيرا من الأسرى الروم (٤) .

ويلاحظ على المعارك والغزوات التي خاضها العرب مع مجاوريهم أنها كانت محدودة . وكانت قوة الدول المجاورة ومحاولاتها الناجحة في استخدام بعض القبائل العربية لحماية حدودها ، تقلل من خطر غزوات العرب . ولهذا لا يمكننا أن نبالغ في اعتبار هذه الغزوات والحروب مصدرا مهمّا للرقيق .

الاقتتال بين القبائل العربية : —

كانت الحروب بين القبائل العربية من سمات المجتمع العربي في العصر

---

(١) في (الاصابة ، ج ٧ ص ٧٢٤) أن الكواء اليشكرى سبى سميّة جارية الحارث بن كَلَدة من الروم .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٣٧٨ ، ٥٧٠ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٤ ص ١٢٣ . ومغازى الواقدى ، ج ٢ ص ٧٥٦ . والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٤) انظر (العرب في الشام قبل الاسلام) ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاهلي ، وكان الأسر والسبي من أهم نتائج هذه الحروب . ومما هو جدير بالملاحظة ، أن العرب كانوا ـ في الغالب ـ يستعملون كلمة الأسر للرجال ، وكلمة السبي للنساء والأطفال والرقيق (١) . ولهذا الامر دلالة مهمّة كما سيتضح .

السبي :

كان سبي نساء العدو والحاق العار به من أهم ما يحرص عليه المتحاربون ، قال سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة :

فالهمُّ بيضات الخدو ر هناك لا النَّعَم المُراح (٢)

ومما يدل على الانتشار الواسع لظاهرة السبي، أنّها كانت من الأعمال التي فخر بها الشعراء الفرسان (٣) .

وكانت المسبيات يواجهن واحدا من المصائر التالية : فإما أن يلحق بهن

---

(١) لاحظت ذلك من النصوص الكثيرة التي وقفت عليها أثناء البحث . وتشير المعاجم اللغوية إلى أن السبي يطلق على النساء دون الرجال ، انظر الأزهري ، أبا منصور محمد ابن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٤ م ، ج ٣ ص ١٠٠ ـ ١٠١ . وابن منظور ، جمال الدين محمد ابن مكرم ، لسان العرب ، (سبي) . وتاج العروس ، (سبي) .

ولا يدقق بعض الباحثين المحدثين في استعمال الكلمتين ، فيستعملونهما بمعنى واحد ، ومن هؤلاء د . يوسف خليف ، اذ يقول : « وكان سبي الرجال والنساء على السواء أمرا أساسيا ... » ، (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م ، ص ١٠٤ .

(٢) المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ م ج ٢ ص ٥٠٥ . وا لخالديان ، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم ، كتاب الأشباه والنظائر (الجزء الأول) ، تحقيق د . السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ١٥٥ . والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر ، شرح شواهد المغني ، لجنة التراث العربي ، د . ت ، ج ٢ ص ٥٨٥ .

(٣) انظر ص ١١٢ من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قومهن ويُستنقذن (١) . وقد يُمنّ عليهنّ فيُستنقن ، وهذا ما فعله يزيد بن عبد الندان حين رد سبي جار لدريد بن الصِّمَّة ، وقال دريد في ذلك :

وردّ النّساء بأطهارها ولو كان غير يزيد فضَحّ (٢)

وأعتق الحُصين بن الحُمام امرأة من بنات السادة ، قال :

وأعتقنا ابنة العَمْرى عمرٍو وقد خُضنا عليها بالقِداح (٣)

وأعتق قيس بن الخَطيم وآخرون من قومه غمامة بنت طود بن زرارة (٤) . وأعتق عَلْقَمة ابن سيف التغلبي نساء من بني تميم ، وردهنّ إلى قومهن بعد أن كان قد سباهن مع قومه (٥) .

ومن الشائع في العصر الجاهلي أن يذهب وفد من الذين سبيت نساؤهم وأطفالهم لطلب المنّ أو الفداء . وفي حرب داحس والغبراء « جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي » (٦) . وعادة ما يكون فداء المسبيات في الليل كي لا يفتضحن ، وتوقد نار لهذا الغرض سماها العرب نار الفداء (٧) ، قال الأعشى :

---

(١) استنقذ الحارث بن ظالم جاراته اللواتي سباهن الأسود بن المنذر ، انظر العقد ، ج ٨ ص ١٥ . وانظر مثالاً آخر على الاستنقاذ عند القالي ، أبي علي اسماعيل بن القاسم ، الأمالي ، مصر ، ١٩٥٣ م ، ج ١ ص ٩١ . والبكري ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، مصر ، ١٩٥٤ م ، ص ٤٠ ــ ٤١ .

(٢) دَرِيد بن الصِّمَّة الجُشَمي ، الديوان ، تحقيق محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، ١٩٨١ م ، ص ٤٢ . وانظر القصة في (الأغاني ، ج ١٠ ص ٣٥ ــ ٣٨) .

(٣) الأغاني ، ج ١٤ ص ١٤ .

(٤) انظر نهاية الأرب للنويري ، ج ١٥ ص ٣٨٠ .

(٥) انظر الشمشاطي ، أبا الحسن علي بن محمد ، الأنوار و محاسن الأشعار ، تحقيق د . السيد محمد يوسف ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٧ م ، ج ١ ص ١٦٧ .

(٦) الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ٥٦٧ .

(٧) انظر ابن قتيبة ، أبا محمد عبد الله بن مسلم ، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ج ١ ص ٤٣٥ . وأبا هلال العسكري ، الحسن ابن عبد الله ، الأوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦ م ، ص ٣٣ . ونهاية الأرب للنويري ، ج ١ ص ١٠٨ ــ ١٠٩ . والقلقشندي ، أبا العباس أحمد بن علي ،

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَبايا بَني شَيبان يَومَ أُوارَةٍ على النّارِ إذْ تُجلى لَهُ فَتَياتُها (١)

أما النساء اللواتي لا يستنقذن، ولا يُمن عليهن بالعتق، ولا يُفدين ، فيصرن الى الرق . ويبدو أن أعدادا كبيرة من المسبيات كن يلقين هذا المصير (٢) ، فيتبين من أخبار العصر الجاهلي أنّ كثيرا من المسبيات بقين عند سادتهن ، ويظهر ذلك في كثرة أبناء السبايا في هذا العصر (٣) . ويروى أنّه كان عند حمزة بن جابر عدة نساء مسبيات لهن منه أولاد (٤) . ويروى أيضا أنّ نساء مراد اللواتي سباهن بنو الحارث بقين في دور همدان حتى جاء الإسلام (٥) . وتتضح كثرة النساء المسبيات اللواتي صرن إلى الرق فيما يقوله الطبرى في تعقيبه على قرار عمر بن الخطاب بتحرير الأرقاء والسبايا العرب ، إذ قال : « فتتبعت رجالهم نساءهم بكل مكان » (٦) .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية) ، د . ت ، ج ١ ص٥٦٧ . والقلقشندى أيضا ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص٤٦٣ .

(١) الديوان ، ق ١٠ ص١٣٧ .

(٢) من معاني السبي في اللغة : أخذ الشيء من بلد لآخر كرها ، انظر تهذيب اللغة ، ج ١٢ ص١٠٠ ــ ١٠١ . وابن فارس ، أبا الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج ٣ ص١٣٠ . ولسان العرب (سبي) . وتاج العروس (سبي) . وفي هذا المعنى دلالة على أخذ النساء المسبيات بعيدا عن ديارهن واسترقاقهن .

(٣) من هؤلاء : النّعمان بن المنذر ، انظر تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ص٢١٢ . والجرّاح بن الأسود بن يَعْفُر ، فأمّه سبية من نَهْد ، انظر الاغاني ، ج ١٣ ص٢٦ . وعلقمة الفَحْل ، انظر الاغاني ، ج ١٦ ص٢١٣ . ويروى أن أمّ عمرو بن العاص كانت سبيّة من قبيلة عَنَزَة ، انظر نسب قريش ، ص٤٠٩ .

(٤) انظر المفضّل الضبّي ، أبا العباس ، أمثال العرب ، تقديم وتعليق د . احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص٥٢ ــ ٥٣ .

(٥) انظر الأسود الغندجاني ، أبا محمد الحسن بن أحمد الأعرابي ، فرحة الأديب في الرد على السيرافي في شرح أبيات سيبويه ، تحقيق محمد علي سلطاني ، دار النبراس ، دمشق ، ١٩٨٠ م ، ص٢٠٤ .

(٦) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص٣٤٠ . وانظر الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص٣٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن النساء المسبيات يبقين عند سادتهن الذين سبوهن في جميع الأحوال ، فقد يتصرفون بهنّ بالبيع أو الإهداء (١) ، كما يتصرف عادة بالرقيق .

وكان الأطفال عرضة للسبي ، قال عَمْرو بن معد يكرب :

سبي الأطفال واجترّ النواصي ... من الأبطال وانتسف الديسارا (٢)

وقال حسّان بن ثابت :

حتى تُبيلَ الخيلُ في عرصاتِكُمْ ... ونَؤوبَ بالملكاتِ والأولادِ (٣)

وكان الاسترقاق مصير كثير من الأطفال المسبيين ، ومن هؤلاء زيد بن حارثة الذي سبته قبيلة القَيْن بن جَسْر ، ثم باعوه في سوق من أسواق العرب (٤) ، ومنهم عبيد والد الشاعر أبي وَجْزة الذي بيع في سوق ذي المجاز (٥) ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب (٦) ، والصحابي خبّاب بن الأرتّ الذي بيع في مكّة (٧) . وتوضح الأمثلة السابقة

---

(١) يروى أن ذلك حدث مع أمّ عمرو بن العاص ، انظر نسب قريش ، ص١٠٩ . والاستيعاب ، ج ٢ ص٥٠١ . وانظر كيف أراد قيس بن زهير بيع ظعائن الربيع بن زياد في (الكامل في التاريخ) ، ج ١ ص٥٦٦ . وقد بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبايا من بني قريظة إلى نجد والشام لبيعهن وشراء الخيل والسلاح بثمنهن ، انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص٢٥٦ . ومغازي الواقدي ، ج ٢ ص٥٢٣ .

(٢) الديوان ، ص٩٨ .

(٣) حسّان بن ثابت ، الديوان ، تحقيق د . وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، ج ١ ق ١٣٥ ص٢٧٦ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ، ج ١ ص٤٨٧ . والزبير بن بكّار ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق د . سامي مكّي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ م ، ص٣١٧ ـ ٣١٩ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٦٧ . والروض الأنف ، ج ٢ ص٢١٦ . وأسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . والسيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور بالتفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ج ٦ ص٥٦٣ ـ ٥٦٤ .

(٥) انظر الأغاني ، ج ١٢ ص٢٤٠ . والإصابة ، ج ٦ ص٦٣٢ .

(٦) انظر الاستيعاب ، ج ٣ ص٤٦٣ . والإصابة ، ج ٦ ص٢٣١ .

(٧) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص١٧٥ . وأسد الغابة ، ج ٣ ص٩٨ . وشرح نهج البلاغة (دار الكتب العربية) ، ج ١٨ ص٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّ مصير الأطفال بعد السبي يكون ـ في الغالب ـ البيع ، وذلك كي يبتعد الطفل عن أهله ، ويصبح من العسير عليه معرفة أصله ، فيضيع نسبه ولا يتعرف عليه أحد .

وكان السبي يقع على الرقيق أيضا (١) ، ولكن ذلك لا يمكن أن يعد مصدرا من مصادر الرقيق ، وما هو إلا انتقال للرقيق من سيّد لآخر .

الأسر :

يتبين من أيام العرب في العصر الجاهلي الانتشار في ظاهرة الأسر ، وكان الأسر من مفاخر الفرسان والشعراء ، قال عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنّهاب وبالسّبايا ... وأبنا بالملوك مُصفّدينا (٢)

وقال طُفيل الغَنَوي :

أبانا بقتلانا من القوم مثلَهُم ... وما لا يُعَدُّ من أسير مكلَّب (٣)

وعلى الرغم من الأعداد الكبيرة في الأسرى التي كانت تعقب المعارك ، فإن الأسر ـ فيما أرى ـ لم يشكّل مصدرا مهما من مصادر الرقيق في العصر الجاهلي ، وأكاد أقول أنّ استرقاق الأسرى كان أمرا نادرا في ذلك العصر (٤) .

---

(١) أصاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة من غزواته عبدا يقال له يسار ، انظر السيرة النبوية ، ج ٤ ص ٢٩٠ . وسبيت للَبيد بن ربيعة يوم قَيف الريح جارية سوداء ، انظر معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ١٠٣٩ .

(٢) أبو زيد القرشي ، محمد بن أبي الخطاب ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦م ، ج ١ ص ٤٠٨ . وابن النحاس ، أبو جعفر أحمد بن اسماعيل ، شرح القصائد المشهورات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٢ ص ١١٥ . والزوزني ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص ١٣١ .

(٣) طُفيل الغَنَوي ، الديوان ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ٣٢ .

(٤) يشير من قرأت لهم من الباحثين المحدثين في هذا المجال إلى الأسر باعتباره من مصادر الرقيق في العصر الجاهلي ، مع اختلاف فيما بينهم في تقدير قيمة هذا المصدر ، ومن هؤلاء ـ آخذ بعين الاعتبار عدم الدقة في استعمال كلمتي الأسر والسبي الذي أشرت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكانت ظاهرة فداء الأسرى منتشرة بشكل واسع ، وأرجح أن فداء الأسرى الرجال كان أكثر بكثير من فداء النساء المسبيات ، وقد يستشف ذلك من كثرة النصوص الشعرية والأخبار التي تدل على فداء الرجال إذا ما قيست بتلك التي تدل على فداء النساء . ولعل ذلك يرجع إلى موقع الرجل وأهميته في القبيلة ، وإلى أنّ الرجل كان يفدى بماله الذى يملكه ، وامتلاك المرأة للمال أقل . ويحتاج الفداء في أحيان كثيرة لوقت غير قليل ، يمكث فيه الأسير عند آسره ، والمرأة ـ في أغلب الحالات ـ تكون قد أصبحت سُرّيّة لسيدها ، وقد تكون قد حملت منه أو أنجبت ، وهذه الأمور تقلل من رغبة زوجها وأهلها في فدائها (١) .

اليه سابقا ـ د . جواد علي ، اذ يقول : « وكان يحدث الاسترقاق للأسرى سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا » . (المفصل ، ج ٥ ص ٥٢٣) ، مع أنه يقلل من قيمة هذا المصدر . ود . يوسف خليف ، انظر الشعراء الصعاليك .. ص ١٠٤ . و د . أحمد الشريف ، انظر مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، د . ت ، ص ٣٧ . ود . أحمد الحوفي ، إذ يقول : « ... وفي بعض الأحيان يسخرونهم (الأسرى) عبيدا ، يستخدمونهم في الخدمة » ، انظر كتابه الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢ م ، ص ٢٦٥ . ود . داود غطاشة ، انظر حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٩ .

(١) قال عنترة لامرأته (الديوان ، تحقيق محمد سعيد مولوى ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤) :

إنّ الرجال لهم اليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

ويكون مركبك الفَحَول ورَحلَه ... وابن النّعامة عند ذلك مَركبي

وفي قوله تعالى : « يا أيها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ... » . (سورة الأحزاب ، الاية ٥٠) ، يقول الطبرى : « وحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن ، فملكتهن بالسباء » (تفسير الطبرى ، ج ٢٢ ص ٢٠) وقد نظّم الإسلام عملية وطء السبايا ، انظر أبا داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، نشر وتوزيع محمد علي السيد ، حمص ، ١٩٧١م ، ج ٢ ص ٦١٢ ـ ٦١٣ . وابن الديبع الشيباني ، عبد الرحمن بن علي ، تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ج ٣ ص ١٩٠ . ويلاحظ في أخبار العصر الجاهلي سرعة الرجال في وطء سباياهم ، حتى أنهم لا ينتظرون الوصول =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن هذا لا يعني أن النساء لم يكن يُفدين أبدا ، فقد كانت هذه الظاهرة موجودة كما أشرت ، ولم يكن الجميع يتعامل مع السبايا بطريقة سيئة (١) .

وتخليص الأسرى واعتاقهم كان من الأمور الشائعة جدا في العصر الجاهلي ، وقد كان ذلك من أهم الصفات الحميدة التي يمدح بها الانسان عندهم ، قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر :

وعانٍ يحكّ ظنابيه ... اذا جرّ في القدّ لا يرفعُ
دعاك فهتكت أغلاله ... وقد ظن قبلك لا تقطعُ (٢)

وقال دُريد بن الصمّة :

وما إن كسبت المال إلا لبذله ... لطارق ليل أو لعان مكبّل (٣)

وقال زهير :

أليس بضرّاب الكماة بسيفه ... وفكّاك أغلال الأسير المقيّد (٤)

إلى ديارهم ، فيطؤوهن في الطريق ، انظر النقائض ، ج ٢ ص ٦٧٩ . وعندما أراد الحارث ابن عوف وطء زوجته بُهَيْسة بنت أوس الطائي في الطريق ، قالت له : « أكما يفعل بالأمة الجلبية والسلبية الأخيدة » . الأغاني ، ج ١٠ ص ٢٩٦ .

(١) قال النابغة الجعدي (شعره ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤ م ، ص ٧٢) :

ملكنا فلم نكشف قناعا لحرة ... ولم نستلب إلّا الحديد المسرّدا
ولو أننا شئنا سوى ذاك أصبحت ... كرائمهم فينا تباع وتشترى

(٢) الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الحارث ، شعرها ، تحقيق كرم البستاني ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ١٣٠ . انظر أمثلة أخرى ص ١٩ ـ ٢٠ ، ٣٨ ، ٩٩ ، ١٠٧ .

(٣) الديوان ، ص ٩٦ . وانظر أيضا ص ١٠١ .

(٤) زهير بن أبي سلمى ، شعره ، تحقيق فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ق ١٩ ص ١٨٧ . وانظر أيضا أشعارا لحاتم الطائي ، الديوان ، تحقيق د . عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د . ت ، ق ٦٤ ب ١٥ ص ٢٦٣ ، و ق ٣٦ بيت ١٢ ص ٢١٣ . (وسيشار لاحقا للبيت بالرمز : ب) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسبب الرئيس - في رأيي - الذي جعل الأسر لا يشكل مصدرا أساسيا من مصادر الرقيق ، وأدّى إلى شيوع ظاهرتي الفداء والعتق، هو عدم امكانية استرقاق الأسير من الناحية العملية ، فالأسير يكون مقيدا (١) ، وإذا فك قيده فسوف يهرب إلى قومه . والهرب ليس صعبا في مثل بلادهم ، حيث لا أسوار تحمي منازل القبيلة ، مما يجعل حراستها أمرا صعبا . ولم يكن من المفيد تشغيل الأسرى المقيدين في أعمال الرعي والزراعة والخدمة ، ولم يكن هناك مشروعات كبيرة يشغل فيها الأسرى المقيدون كما كان يحدث عند اليونان والرومان وغيرهم . يضاف إلى ما سبق صعوبة تكيف الأسير الذي اعتاد على الحرية مع وضع الاسترقاق ، وهذا مما جعل استرقاق الأطفال المسبيين أسهل ، فهم ينشأون في الرق .

وبعد هذا ، فلا يبدو غريبا أنني لم أعثر على نص يشير بوضوح تام إلى استرقاق الأسرى الرجال . أما ما اعتمد عليه بعض الباحثين في أنه دليل لذلك ، فيمكن ادراجه فيما يلي :

١ - ورود بعض الروايات التي تشير إلى بيع العرب أسراها ، ومن ذلك ما ورد في (شرح ديوان الهذليين) في حرب لِحيان وخُناعة : « ... فاذا أصابت بنو لِحيان أحدا من خُناعة باعوه » (٢) ، ويروى أن خُناعة أسرت أحد السادة وباعته في مكة (٣) . وقال المُنَخَّل اليَشْكُرِيّ :

ولقد شربت الخمر بالـ ـعبد الصحيح وبالأسير (٤)

وبيع الأسرى في الأسواق لا يمكن أن يشكل دليلا على استرقاقهم ، خاصة إذا علمنا أن تجارة بيع الأسرى ليست هي تجارة بيع الرقيق . إذ كان من الشائع أن تذهب القبيلة بأسراها إلى الأسواق ليشتريهم

---

(١) يظهر ذلك من الأشعار التي استشهدت بها في مجال الأسر ، ويؤكد ذلك أيضا أن كلمة الأسر تعني التقييد وشد الوثاق ، انظر لسان العرب (أسر) .

(٢) شرح ديوان الهذليين ، ج ١ ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٩٢ - ٣٩٥ . ومن الذين اعتمدوا هذا الدليل د . يوسف خليف ، انظر الشعراء الصعاليك .. ص ١٠٣ .

(٤) الأغاني ، ج ٢١ ص ٧ . ويعتمد ذلك د . أحمد الحوفي ، انظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص ٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قومهم (١) . وقد يشتريهم قوم آخرون لبيعهم لقومهم بسعر أعلى (٢) ، أو لقتلهم طلبا للثأر (٣) ، أو لإذلالهم وقومهم (٤) . ولم أعثر على ما يشير إلى أن بيع الأسرى كان يؤدي الى استرقاقهم .

٢ ـ وقد استدل بعض الباحثين (٥) على استرقاق الأسرى باطلاق كلمة العبد على الأسير في بعض النصوص الجاهلية ، كقول قَيْس بن الخَطيم :

فلن ننفكّ نقتل ما حيينا ... رجالكُمُ ونجعلكم عبيدا (٦)

وهناك كثير من الأمثلة المشابهة (٧) . ولكن ذلك ـ في رأيي ـ لا يشكّل

---

(١) أخرج أهل اليمامة أسراهم من خزاعة أوان الحج إلى مكة ليبتاعهم قومهم ، انظر الأغاني ، ج ١٤ ص ١٣٥ .

(٢) انظر قصة للحارث بن ظالم (الأغاني ، ج ١١ ص ١١٥) ، إذ باع من أسره بثمن قليل إلى قوم حاولوا بأساليب مختلفة أن يعرفوا منه نسبه لفدائه . وفي ضوء هذا الأمر أفهم قول القلمس في وصيته لقومه : « ... وأن الأسراء تجارة من تجارات العرب »، السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد ، المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ١١١ .

(٣) مثال ذلك قصة بيع صاحبي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خُبيب بن عدي ، وزيد بن الدَّثِنَّة إلى أهل مكة لقتلهما انتقاما لقتلاهم في بدر ، انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص ١٨٠ . ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣٥٧ . وتيسير الوصول ، ج ٣ ص ٢١٨ . ويعتمد د . أحمد الشريف هذه القصة دليلا على استرقاق الأسرى ، انظر مكة والمدينة .. ص ٣٧ .

(٤) اشترى النعمان بن المنذر أسرى بني جعفر بن كلاب من بني يَربوع الذين خرجوا يبيعونهم في سوق عكاظ ، انظر المناقب المزيدية ، ج ٢ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٥) انظر داود غطاشة ، حركة الشعر في اليمانيين .. ص ٢٧٥ .

(٦) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ١٤٩ .

(٧) من ذلك قول زيد الخيل يخاطب الحطيئة بعد ما أسره :

أقول لعبدي جَرْول إذ أسرتُه ... أثبني ولا يغرُرْك أنّك شاعر

(زيد الخيل الطائي ، الديوان ، صنعة د . نورى حمودي القيسي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، د . ت ، ص ٥٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أى دليل على استرقاق الأسرى ، فكلمة العبد هنا تعني الخضوع ولا تعني الرق بالمعنى المصطلح . وقد استخدم النابغة الذبياني كلمة العبد واصفا بها نفسه عند الملك النعمان :

فان أكُ مظلوما فعبدٌ ظلمته وان تكُ غضبانا فمثلك يَعتب (١)

---

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق د . شكرى فيصل ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، ق ٦ ص ٧٨ . ولا يعني النابغة هنا أنّه رقيق للنعمان وإنما خاضع له . ويقود هذا الأمر إلى الحديث عما جاء في بعض المصادر حول مصطلحي : عبد مملكة ، وعبد قن . فمعاجم اللغة تشير إلى أن العبد القن هو الذى امتلك هو وأبواه ، وعبد المملكة هو الذى سبي ولم يملك أبواه ، انظر تهذيب اللغة ، ج ١٠ ص ٦٩ . وابن فارس ، أبا الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ ، ج ٥ ص ٤ ، ٣٥٢ . وابن فارس أيضا ، مجمل اللغة ، تحقيق الشيخ هادى حسن حمودى ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ١٩٨٥ م ، (ملك) . والفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، كتاب المصباح المنير في الشرح الكبير للرافعي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢١ م ، (قنن) . والفيروزابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، (ملك) . وتاج العروس ، (ملك) . وتجدر الاشارة إلى أن المعاجم لا تستشهد بأيّة نصوص في هذا المجال . وأميل إلى قول آخر في التفريق بين المصطلحين ، وهو أن العبد القن هو العبد المسترق الذى يعمل عند سيده في أحد شؤونه ، أمّا عبد المملكة فهو ما يقع تحت حكم أحد الملوك أو الرؤساء من أناس خاضعين له ، لكنّهم ليسوا رقيقا بالمعنى المصطلح عليه . وأدلل على قولي بما يلي :

أ ـ ورد في بعض المصادر أنّ الأشعث بن قيس ادّعى رقاب أهل نجران ، لأنّه كان قد سباهم في الجاهلية واستعبدهم تغلبا فصاروا كمماليكه ، فلما أسلموا ، أبوا عليه ، فخاصموه عند عمر في رقابهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنّا كنا له عبيد مملكة ، ولم نكن له عبيد قن ، فتغيّظ عمر عليه ، وقال : « أردت أن تتغفلني » . الزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث ، ضبط وتصحيح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ، ص ٣٨٠ . وشرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج ١٢ ص ١٤٤ . ويفسر ابن أبي الحديد عبد القن وعبد المملكة كما جاء في المعاجم . ولكن النص يدل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ ــ ويعتمد باحثون آخرون (١) على روايات غير دقيقة ولا واضحة ، ولعل أكثر تلك الروايات وضوحا ما أورده أبو عبيدة في (النقائض) : « ... وفد سَمَيْفَع بن ناكور الكَلاعي على عمر بن الخطاب وله أربعة آلاف أهل بيت قن من العرب ، مماليك أسرهم في الجاهلية » (٢) . وهذه الرواية غير واضحة ولا يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال ، فعبارة « أهل بيت » لا تعني وجود رجال بين الأسرى بالضرورة ، ونجد مثل هذه العبارة عند الواقدي حين يتحدث عن بعض نتائج غزوات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وكان السبي مئتي أهل بيت » (٣) ، وتفيد هذه العبارة عدم وجود الرجال لاستعمال كلمة (السبي) ، وعلى ذلك لا يمكننا بناء حكم عام على رواية غير واضحة ، في الوقت الذي لدينا فيه من الأدلة ما يكفي لنقض ذلك الحكم .

على أن عمر لم يعتبر هؤلاء القوم رقيقا للأشعث ، فمن المعروف أنّ عمر عندما قرر تحرير الأرقاء العرب ، كان يعتبر ما سبي من أحرار العرب في الجاهلية رقيقا يحق لصاحبه أن يطلب ثمنه ، وفي (الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٣٨٢) أنّ عمر « استشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام ، وجعل فداء لكل انسان ستة أبعرة أو سبعة ... فتُتبع النساء بكل مكان ، ففدوهن » .

بـ ـ جاء في (نسب قريش ، ص ٣٧١) : « ... وكان مسلم بن عقبة بعدما أوقع بأهل المدينة يوم الحرّة ، في إمرة يزيد بن معاوية ... فكان أول من قدم عليه محمد بن أبي جهم ، فقال له : أتبايع أمير المؤمنين يزيد على أنك عبد قن ، إن شاء أعتقك وإن شاء استرقك » . (وتكرر هذا الأمر مع غير محمد ، انظر الصفحة السابقة ، وص ١٢٢) . ويدل ذلك على أن عبد القن لا يعني (ملك هو وأبواه) ، فيصبح ذلك من غير معنى ، وما يعنيه مسلم ــ في رأيي ــ أنّه يريد منه أن يكون رقيقا مملوكا ليزيد ، وليس خاضعا له بسبب ملكه وحكمه فحسب ، أي ليس عبد ملكة فقط .

(١) انظر الشعراء الصعاليك ... ص ١٠٤ . ود . أحمد مختار البزرة ، الأسر والسجن في شعر العرب ، مؤسسة علوم القران ، بيروت ودمشق ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٠ ــ ٤١ .

(٢) النقائض ، ج ١ ص ٤١٠ .

(٣) مغازي الواقدي ، ج ١ ص ٤١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن ذلك كله لا يعني انعدام حالات استرقاق الأسرى في العصر الجاهلي ، فبعض حالات الضعف التي تنشأ في ظروف خاصة ، كتخلي القبيلة عن أحد أبنائها لسبب من الأسباب (١) ، قد يؤدي لاسترقاقه ، لكن ذلك لم يكن شائعا إلى درجة أن يشكّل مصدرا مهمّا للرق .

٣ ـ التناسل

يعد هذا المصدر من المصادر الرئيسة للرقيق (٢) ، ويبدو أنّ الأرقاء المولّدين ، كانوا يشكّلون نسبة كبيرة بين الأرقاء في العصر الجاهلي . فإذا أخذنا موالي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته مثلا ، وجدنا أن بينهم عددا كبيرا من المولّدين ، منهم عامر بن فُهَيْرة وهو من مولّدي الأزْد (٣) ، وأنَسَة من مولّدي السَّراة (٤) ، وأبو كَبْشَة من مولّدي أرض دَوْس ، وقال بعضهم من مولّدي مكّة (٥) ، وبلال بن رباح من مولدي بني جُمَح في مكّة (٦) ، وأبو مُوَيْهبة

---

(١) ينسب الى السليك بن السلكة قوله : « ... اللهم إني لو كنت ضعيفا كنت عبدا ... » ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، تحقيق د . مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٣٠ . وثمار القلوب ، ص ١٠٥ .

(٢) كان هذا المصدر الثاني من حيث الأهمية عند اليهود ، انظر مصطفى الجداوي ، الرق في التاريخ وفي الاسلام ، الشركة المصرية السعودية المتحدة ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ص ٥٨ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٣٨ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ . وتاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٣٧٦ . والاصابة ، ج ٣ ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٤٩ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤٧٨ . وتاريخ الطبري ، ج ٣ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٤٩ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤٧٨ . والمعارف ، ص ١٤٨ . وتاريخ الطبري ، ج ٣ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٦) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ . وطبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٢٣٢ . والمعارف ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مولدى مُزينة (١) ، والنُّبيه من مولّدى السَّراة (٢) ، ومِدْعم من مولّدى حِمْيَر (٣) ، وسَفينة من مولّدى الأعراب (٤) . وتشير عبارة (من مولّدى) إلى أنّ المولّدين كانوا من فئات الأرقاء الرئيسة في العصر الجاهلي . وتواجهنا هذه العبارة في كثير من المصادر التاريخية والأدبية التي تحدثت عن هذا العصر (٥) .

وكان هؤلاء الأرقاء المولّدون يأتون عادة إمّا عن طريق زواج المسترقات من رجال أرقّاء (٦) أو أحرار (٧) ، فيكون ثمرات هذا الزواج رقيقا لسيد الأمة ، وقد يأتي هؤلاء الأرقاء عن طريق العلاقات الجنسية العابرة مع المسترقات (٨) . ولعبت دور البغاء المنتشرة في الجزيرة (٩) دورا مهما في هذا المجال . ومن كان له

ص١٧٧ . والعقد ، ج ٥ ص١٥ . والفيروزابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، تحفة الأبيه فيمن نسب الى غير أبيه ، (ضمن نوادر المخطوطات) ، ج ١ ص ١٠٣ . والاصابة ، ج ١ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

(١) انظر المعارف ، ص١٤٨ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٨٣ . وتاريخ الطبرى ، ج ٣ ص١٧١ . والاستيعاب ، ج ٤ ص١٩٧ . والإصابة ، ج ٧ ص٣٩٢ .

(٢) انظر المعارف ، ص١٤٩ .

(٣) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٨٤ . والإصابة ، ج ٦ ص٦٠ ـ ٦١ .

(٤) انظر المعارف ، ص١٤٦ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٨٤ .

(٥) انظر على سبيل المثال ، أنساب الأشراف ، ج ١ ص١٩٦ . وتاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٢٨٢ . والأغاني ، ج ١٦ ص٩٦ .

(٦) انظر أمثلة لزواج الأرقاء في : الشعر والشعراء ، ص٢١٠ ـ ٢١١ . والإصابة ، ج ٥ ص٣٨٧ .

(٧) عادة ما يكون الأحرار الذين يتزوجون من إماء غيرهم من المستضعفين ، مثال ذلك زواج ياسر (والد عمّار) من سميّة ، انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص٢٤٦ . والمنمق ، ص٣٠ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص١٥٧ . وأسد الغابة ، ج ٤ ص٤٣ . ويذكر أنّ أبا حذيفة سيد سميّة أعتق عمارا . وزوّج المرقّش الأكبر وليدة له لرجل من قبيلة عُقَيْلة كان عسيفا له ، انظر الأغاني ، ج ٦ ص١٣٠ .

(٨) كان ذلك يسبب في بعض الأحيان نزاعا بين سيد الأمة والأب ، انظر مثلا في (الأغاني ، ج ٢١ ص١١٣) ، إذ طالب زُرارة بن عدس بأولاد أمته من النَهشلي .

(٩) سيفصل ذلك عند الحديث عن أعمال الرقيق ، انظر ص ٦٨ من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إماء يساعين ويأتين بأولاد لبيعهم ، عبد الله بن جُدْعان (١) ، وعبد الله بن أبي بن سَلول (٢) ، وبنو مخزوم (٣) .

ومع أن عددا كبيرا من أولاد تلك العلاقات كان يَفديهم آباؤهم الأحرار ، فان العدد الذى كان يبقى منهم في الرق غير قليل (٤) . ولم أجد اشارات تفيد أن آلاباء الأحرار كانوا يفدون بناتهم من هذه العلاقات ، مما يدل على بقاء معظمهن في الرق .

أما ما يراه عدد من الباحثين المحدثين حول استرقاق الرجل لابنه من أمته (٥) ، فإني أميل إلى مخالفة ذلك ، معتمدا على ما يلي :

١ـ تشير المصادر إلى أنّ عددا كبيرا من السادة والفرسان الأحرار كانوا أبناء إماء (٦) . ومن هؤلاء خُفاف بن نُدبَة (٧) ، وطليق بن أبي طالب ، وكان ابن أمة لبني

---

(١) انظر المعارف ، ص٥٧٦ . ومروج الذهب ، ج ٤ ص١٠٤ . والثعالبي ، أبا منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٦٠م ، ص١٨ .

(٢) انظر الاستيعاب ، ج ٢ ص٤٠١ . والإصابة ، ج ٨ ص١١٩ـ ١٢٢ . والدر المنثور ، ج ٦ ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٣) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص٤١ .

(٤) روى أنه أتى عمر بن الخطاب في نساء (إماء) ساعيات في الجاهلية بأمر بأولادهن أن يقوّموا على آبائهم فلا يُسترقوا ، الفائق ، ج ١ ص٥٩٥ . وشرح نهج البلاغة ، (تحقيق أبو ابراهيم) ، ج ١٢ ص١٤٣ .

(٥) من هؤلاء د . السيد عبد العزيز سالم ، في (تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص٤٦٦) . وعمر فرّوخ ، في العرب وحضارتهم وثقافتهم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص٧٣) . ود . شوقي ضيف في (تاريخ الأدب العربي « العصر الجاهلي » ، دار المعارف بالقاهرة ، ط ١١ ، ص٣٦٩ . ود . يوسف خليف ، في (الشعراء الصعاليك .. ، ص٢٢٠) . ويشير مصطفى الجداوي إلى أنّ هذه الظاهرة كانت معروفة عند اليهود ، وعند اليونان ، انظر دراسة في الرق .. ص٥٨ ، ٨٣ على التوالي .

(٦) ينطبق هذا القول على أبناء الإماء المسترقات أصلا ، وعلى أبناء السبايا ، انظر أمثلة على أبناء السبايا الأحرار ، ص ٢٢ من هذه الدراسة .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص٢٣٥ . والأغاني ، ج ١٨ ص٧٤ . وخزانة الأدب ، ج ٥ ص١٤٤ . ويشار هنا الى أن خُفاف كان أسود اللون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخزوم (١) ، وسُمَيّة بن حبيب بن عبد شمس (٢) ، ويقال أنّ عمر بن الخطاب كانت أمّه زنجية (٣) . وتحدّر الرجل من أمة كان من النقائص التي تدعو للهجاء في العصر الجاهلي (٤) . ولكنّ ذلك شيء والاسترقاق شيء آخر .

٢ـ والخلاف الحاد الذى كان ينشأ بين الأحرار حول الولد الذى تأتي به الأمة ، فيدّعيه غير واحد منهم (٥) ، يشير بوضوح إلى عكس ما يذهب إليه القائلون باستعباد الابن .

٣ـ إن ما يعتمد عليه الباحثون المحدثون القائلون بذلك ، قول نجده في بعض المصادر في مجال الحديث عن عنترة (٦) ، وهو ـ على ذلك ـ مرتبط بحالة

---

(١) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤١ .

(٢) انظر نسب قريش ، ص ١٤٧ . والمعارف ، ص ٧٣ . وابن حزم ، أبا محمد علي بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٧٤ .

(٣) انظر شرح نهج البلاغة (أبو الفضل) ، ج ١٢ ص ٣٩ .

(٤) انظر ص ٩٤ من هذه الدراسة .

(٥) انظر على سبيل المثال قصة ادّعاء عمرو بن العاص في : ربيع الأبرار ، ج ٣ ص ٥٤٨ـ ٥٥٠ . وشرح نهج البلاغة (أبو الفضل) ، ج ٦ ص ٢٨٣ـ ٢٨٥ . وقد نشأت مشاكل كثيرة تتعلق بالنسب نتيجة اتصال الأحرار بالإماء ، وحاولوا حل تلك المشاكل بالقيافة ، (انظر تفسير القرطبي ، ج ١٠ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩) أو بضرب القداح (انظر السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٦١ . وابن الكلبي ، أبا المنذر هشام بن محمد السائب ، الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٢٨) . وكانوا يتحاكمون في الولد المختلف فيه ، ويروى أن أول من حكم في الجاهلية ، أن الولد للفراش ، كان أكثم بن صيفي ، انظر صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤٣٥ . وقد أقرّ الإسلام هذا الحكم في محاولة لتنظيم عملية استلحاق الأبناء بآبائهم ، انظر تيسير الوصول ، ج ٤ ص ١٧٤ .

(٦) انظر الشعر والشعراء ، ص ١٤٩ . والأغاني ، ج ٨ ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ . وأبا هلال العسكرى ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، ديوان المعاني ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ، ج ١ ص ١١١ . ونشوة الطرب .. ، ج ٢ ص ٥٤٤ . وخزانة الأدب ، ج ١ ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحدة ، هذا إن صحّت (١) . وأرى أنّه لا يمكن الاعتماد عليها واصدار حكم عام ترفضه كثير من الدلائل .

٤ ـ الفقـــــــر

عرف الفقر مصدرا مهمّا للرقيق عند كثير من الشعوب (٢) ، ويبدو أن العرب في العصر الجاهلي عرفوا هذه الظاهرة بوجوه مختلفة .

فكان الدَّيْن من الأسباب التي يصير بها الحر رقيقا ، إذا لم يجد مـــا يقضيه عن نفسه (٣) .

وكان القمار الذى يفقر صاحبه سببا من أسباب الرق ، وكان بعضهم يقامـــر على أهله (٤) ، ويروى أنّ أبا لهب قمر العاص بن هشام حتى صيّره عبدا له ، ثـــم

---

(١) أميل الى أن هناك ظروفا خاصة في قصة عنترة ، وربما لم يكن شداد متأكدا من صحة نسبـــة عنترة إليه ، وهذا أمر شائع كما أشرت . ويروى أن عنترة حاول أن يجعل بعض العبسيين يلحق بنسبه بعض اخوته الصغار ، كما فعل شداد معه (انظر ديوان عنترة ، ص ٢١٥ ، والأغاني ج ٨ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ، وقد تشير هذه الرواية إلى أن طموح عنترة ورغبته في الانتســـاب للسادة هي ما كان وراء ادعاء شداد له ، وتظهر هذه الرغبة واضحة في شعره (انظـــر ص ١٢٧ ، ١٢٩ ـ ١٣٠) من هذه الدراسة .

(٢) من هؤلاء اليهود ، انظر الرق في التاريخ .. ، ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦ ، والعراقيون ، انظـــر المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧٢ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ، ج ٣ ص ٣٧١ .

(٤) انظر الدر المنثور ، ج ٣ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ . وقد قامر أحدهم على أهله فأخذت منـــه امرأته ، وفي ذلك قال زهير (شعره ، ق ١١ ص ١٤٢) :

فلم أرَ مَعْشَرا أسروا هَدِيّـــا ولم أرَ جارَ بيتٍ يُستبـــاءُ

ويشير ذم زهير لذلك إلى أنّ هذه الظاهرة لم تكـن كثيرة الشيوع في العصر الجاهلي ، وعدّت من النقائص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرجه بدلا منه يوم بدر فقتل (١) .

ويبدو أن ظاهرة بيع الأطفال قد وجدت في العصر الجاهلي ، جاء في (أسد الغابة) : « ... عن سلامة بنت معقل ، قالت : قدم بي عمي في الجاهلية فباعني من الحباب بن عمرو الأنصاري » (٢) . ولكي أميل إلى قلة انتشار هذه الظاهرة وضيق نطاقها ، فالمشهور عن العرب أنهم كانوا يفضلون وأد بناتهم على بيعهن (٣) .

ونلاحظ مما سبق أن الفقر لم يكن من المصادر المهمّة للرق في العصر الجاهلي ، وكان أكثر انتشاره في المدن التي أصبحت أبعد نسبيا من العلاقات القبلية مثل مكة ، وكان يصيب الضّعاف دون الذين ينتمون إلى قبائل قوية .

---

(١) انظر المنمق ، ص٤٥٧ .

(٢) أسد الغابة ، ج ٥ ص٤٧٧ ـ ٤٧٨ .

(٣) انظر قصة صَعْصَعة بن ناجية (جد الفرزدق الشاعر) مع الرجل الذي أراد وأد ابنته فعرض صعصعة أن يشتريها ، فقال له الرجل : « وهل تبيع العرب أولادها » . (المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، : الكامل ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ج ٢ ص٦٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل من أهم آثار استخدام الرقيق في العمل الانتاجي ، الاتجاه الى فرز الطبقات الاجتماعية ، وزيادة الهوّة بينها ، نتيجة اثراء مالكي الرقيق الذين يحصلون على معظم ناتج عمل الرقيق ، في حين لا يحصل الرقيق على شيء يذكر مقابل هذا العمل . ويمكننا القول ان استخدام الرقيق في العصر الجاهلي قد سار في هذا الاتجاه .

وتواجه الباحث في العصر الجاهلي بعض الصعوبات عند الحديث عن مدى تأثير الرقيق في البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية في هذا العصر ، من أهمّها :

١ـ قلة المعلومات الواردة إلينا في هذا المجال .

٢ـ التنوع الكبير في بيئات المجتمع الجاهلي ، إذ يصعب تعميم نموذج أيّة منطقة وصلنا عنها بعض المعلومات على مناطق أخرى .

وسأحاول ، فيما يلي ، بيان أهمية عمل الرقيق في العصر الجاهلي ، وذلك بعرض أهم الأعمال الانتاجية وغيرها (١) ، التي كان يقوم بها الأرقاء .

أولا : الرعي

كان الرعي والعناية بالإبل والماشية من الأعمال الأساسية في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي . وإذا استثنينا بعض المناطق التي كانت تعتمد كثيرا على التجارة مثل مكّة ، وبعض المناطق التي اعتمدت أساسا على الزراعة ، فالرعي هو العمل الأساسي في المجتمع الجاهلي . وإذا كان من المتفق عليه أن الرقيق كان يشتغل بالرعي في ذلك

---

(١) يلاحظ الباحث في هذا العصر أن عمل الرقيق كان يتصل بمعظم مناحي حياة القوم . ويصف د . الأسد أهمية عمل الرقيق في هذا العصر بقوله : « ... حتى ليكاد يخيل إلى الباحث في هذا العصر أن الرقيق هم قوام العمل في الحياة الجاهلية » . (القيان والغناء .. ص٣٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العصر(١)، فإني أميل إلى أن الأرقاء كانوا يشكّلون غالبية الرعاة في ذلك العصر(٢)، وأستند في ذلك إلى ما يلي :

١ـ يجد الباحث في هذا العصر ارتباطا وثيقا بين الرقيق والرعي، ويبرز هذا الارتباط في مجالات عدة، منها :

أ ـ ما يلاحظ في كثير من مصادر الشعر الجاهلي من أنّ العارفين بهذا العصر وشارحي شعره، كانوا يعتبرون الرعاة عبيدا، ونجد أنهم كانوا يعتبرون (الراعي) و (العبد) وصفين لمسمّى واحد. فالتبريزي مثلا يرى أنّ الرّعاء هم العبيد في قول عَوْف بن الأحْوَص :

ولكنّ معشرٌ من جذم قيس عقولُهمُ الأباعِرُ والرّعاء (٣)

وهو يعتبر أيضا أنّ الراعية أمة في قول ذي الإصْبَع العَدْوانيّ :

عنّي إليك فما أمّي براعيةٍ ترعى المخاض ولا رأبي بمغبون (٤)

---

(١) لم أجد باحثا ينفي عمل الرقيق بالرعي في هذا العصر، غير د. صلاح الدين الشامي، إذ يقول في معرض حديثه عن عمل البدو في الرعي : " ... وحتى لو اصطحب البعض منهم الرقيق، فهو تابع لخدمته، وليس من أجل القطيع ". (الواقع الاقتصادي للعرب قبل الإسلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، د. ت، ص ١٨٢). ويستغرب مثل هذا القول من باحث في العصر الجاهلي.

(٢) لم أجد من يفصّل في هذا الأمر، ولكن د. حسين مروة يذكر أن عنصر الرق لم يكن هو العنصر الأساسي في تركيب القوى المنتجة، لا في الاقتصاد الحضري أو نصف الحضري، ولا في الاقتصاد البدوي (الرعي وتربية الماشية)، إذ كان عنصر الأحرار يشكل نسبة ملحوظة لا تقل عن نسبة عنصر العبيد بين القوى المنتجة. (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨م، ج ١ ص ٢٠١). وقد تبعه في ذلك بعض الباحثين مثل برهان الدين دلو في كتابه (مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٩ـ٤٠). وينقل دلو عن د. مروة دون أن يشير لذلك. وأعتقد أن د. مروة ومن تبعه لم يستقصوا هذا الأمر.

(٣) شرح اختيارات المفضّل، ج ٢ ص ٨١١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٧٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي شرح ديوان الهذليين يعتبر الراعي العازب عبدا في قول أبي ذؤَيْب الهُذلي :

أو عازب أقْلَح فوه كالخَرِبْ (١)

وفي حكاية من حكايات السليك بن السلكة أنّه قال لصاحبيه : « كونا قريبا حتى آتي الرعاء » . ويتضح أن الرعاء هم العبيد والإماء ، لقوله حين يصل إليهم :

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي إلّا عبيدٌ وإمّاء بين أذوادِ (٢)

وما سبق أمثلة قليلة من كثير تجمع لدى في اثناء البحث يدل على اعتقاد الاخباريين، وجامعي الأشعار وشارحيها ، وأهل اللغة بأن الرعاة كانوا في الغالب ـ من الأرقاء .

ب ـ ويتضح من بعض أمثال العرب ارتباط عمل الرعي بالرقيق ، ومن ذلك قولهم (لا أفعل كذا ما أبّس عبد بناقته) (٣) ، وقولهم (برد غداة غرّ عبدا من ظمأ) (٤) . ويلاحظ ارتباط الرعي بالرقيق في بعض الصور الشعرية ، قال ابن زيّابة التّيميّ :

---

(١) شرح ديوان الهذليين ، ج ٢ ص ٦٢٤ .

(٢) انظر ابن قتيبة ، أبا محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ج ١ ص ٢٧٠ . والشعر والشعراء ، ص ٣٣١ . والأغاني ، ج ٢٠ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ . والبكري ، أبا عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تحقيق د . احسان عباس و د . عبد المجيد عابدين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٤٠ . والشريشي ، أبا العباس أحمد بن عبد المؤمن ، شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، د . ت ، ج ١ ص ٣٩٢ . ونشوة الطرب ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ج ٣ ص ١٥٦ . والإبساس : أن يقال للناقة عند الحلب : بس ، بس ، وهو صوت للراعي يسكّن به الناقة عند حلبها . ومعنى المثل : لا أفعل هذا الأمر أبدا .

(٤) قيل هذا المثل في عبد سرح الماشية في غداة باردة ولم يتزود بالماء ، فهلك عطشا ، انظر مجمع الأمثال ، ج ١ ص ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انّك يا عمرو وتـرك النـدى كالعبد إذ قيّد أجمـاله (١)

ج ـ ويلاحظ من أخبار العصر الجاهلي وأشعاره ارتباط مصير الأرقاء بمصير الأنعام بشكل دائم ، يذكرنا بارتباط عبيد الأرض بالأرض في دول الرق ، أثناء العصر الاقطاعي خاصة . فعندما تنهب الأنعام نراهم يسبون معها ، ففي سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن « أغار المسلمون على سرح القوم ، فضموه وأخذوا رعاء لهم ماليك ثلاثة » (٢) . وفي غزوة قرارة الكدر غنم المسلمون نعما مع رعاتها (٣) . وكـان الأرقاء يهدون مع الإبل ، قال الحطيئة :

هو الواهب الكوم الصفايا لجاره تروّحها العبدان في عازب ندى (٤)

وقال الأعشى :

الواهب المئة الهجانَ وعَبْدَ ها عوذا تُزجّي خلفهـا أطفالَهـا (٥)

---

(١) ويعلق التبريزي على هذا البيت بقوله : « ... أخبرنا أبو الندى قال : هذا البيت من المختل القديم ، والصواب :

إنّي وحوّاء وتـرك النـدى كالعبد إذ قيّـد أجمالـه

قال : حواء ، فرسه . ومعناه أني ما تركت الغزو طي ظهر حواء واغتنام الأموال وتفريقها على الزائرين ، وكنت مثل العبد إذا تعبت إبله أراحها وقيدها في مراحها ، لم يبق لـه هم حينئذ » . (شرح الحماسة ، ج ١ ص ١٤٠ .) وانظر البيت في : الكامل للمبرد ، ج ١ ص ٤٥١ . ومعجم الشعراء ، ص ١٥ . وفصل المقال ، ص ٢٥١ . وعند الأسـود الغندجاني ، أبي محمد الأعرابي ، كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانهـا ، تحقيق د . محمد علي سلطاني ، د . ت ، ص ٢٥ . وفي خزانة الأدب ، ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) مغازي الواقدي ، ج ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) الحطيئة ، جرول بن أوس ، الديوان ، تحقيق د . نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٨٢ .

(٥) الديوان ، ق ٣ ص ٧٩ . ويروى للأعشى أيضا :

هو الواهب المئة الهجان وعبدها قُطُنا تُشَبّهـا النخيل المُكْرَعـا

(خزانة الأدب ، ج ٤ ص ٢٥٨) . والبيت غير موجود في الديوان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تَوْبَة بن مُضَرِّس :

وما كُنتُ لو أُعْطيتُ ألفي نَجيبةٍ وأولادها لغّوا وستّين راعيـــا
لأقْبَلَها عن طارقٍ دونَ أنْ أرى دَما من بَني حِصْنٍ على السَّيْف جاريا (١)

ويروى أن أوس بن قُلام أعطى أيوبا جدّ عدىّ بن زيد مئتين من الابل برعاتهـا (٢)، ووهب كعب بن مامة ذا الجدين « ما لقي في طريقه من إبل بعبدانها » (٣)، ووهب النعمان الأصغر النابغة الذبياني «مئة سودا فيها فحلها وراعيها»(٤) . ويروى أن حُجَيَّة بن المضَرَّب ، عندما رأى فقر أولاد أخيه ، أعطاهم إبله وراعيها ، وقال فـي ذلك :

فقلت لعبدينا اريحا عليهـم سأجعل بيتي مثلَ آخـرَ مُعْـزب
وقلت خذوها واعلموا أن عمّكم هو اليوم أولى منكـم بالتكسُّـب (٥)

د ـ ويظهر من حديث الشعراء عن الناقة أن العناية بها كان عملا من أعمال الرقيق ، قال الأعْشى يصف ناقته :

لم تَعْطَف على حُوار ولم يَقْـ ـطَع عُبَيد عُروقَهـا مـن خُمال (٦)

وقال بَشامة بن عمرو :

---

(١) شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق د . عبد الحميد محمود المعيني ، من منشورات نادى القصيم الأدبي (بريدة) ، ١٩٨٢م ، ص٧٢ . ونلاحظ أن الراعي هنـا يعني العبد .

(٢) انظر خزانة الأدب ، ج ١ ص٣٨٢ .

(٣) ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٤) المناقب المزيدية ، ج ١ ص١٥٥ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزى ، ج ٣ ص١٦٨ . وأبا زيد الأنصارى ، سعيد بن أوس ، كتاب النوادر في اللغة ، تصحيح سعيد الخورى ، المطبعة الكاثوليكية للآباء والمرسلـين اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٨٤ م ، ص٧٧ . والأغاني ، ج ٢٠ ص٣١٧ . ويروى هذا الشعـر أيضا للسموأل بن عاديا ، انظر ديوانه ، تحقيق وشرح عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥١ م ، ص٢٢ .

(٦) الديوان ، ق ١ ص٥٥ . والخمال : داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَطَرَّدُ أطرافَ علمٍ خصيـــبٍ ولم يُشْلِ عبدٌ إليها فَصيـــلا (١)

وقال جُندب بن عمرو :

لم يحتلبها العبـــد فـــي المناتـج (٢)

وقال ابن الأعْرابي :« كانت العرب إذا نفرت الناقة فسمّيت لها أمها سكتت من النفار قال الراجز:

أقول والوجباء بـي تقحّـــم ويلك ما اسم أمها علكـــم »

وعلكم كما يقول ابن الأعْرابي : عبده ،وإنما سأل عبده ترفعا من أن يعرف اسم أمها لأنّ العبيد بالابل أعرف ،وهم رعاتها » (٣) .

ويظهر من الشعر أن إطعام الإبل كان من عمل الأرقاء ،قال تميم بـــن مقبل ، يصف حركة ناقته برضخ الإماء النوى الذى يطعم للإبل :

يَهوى لها بين أيديها وأرجلها اذا اشفترّ الحصى حُمْرٌ ملاثـــيمُ

رضخَ الإماء النّوى ردّت نوازِيَهُ اذا استدرّت بأيْديها الملاديمُ (٤)

٢ ــ وارتباط عمل الرعي بالرقيق أكثر من ارتباطه بالأحرار ،جعل العرب ينظرون إليه وإلى المشتغلين به باحتقار ،قال الحارث بن هشام :

أيا ابن زيّابة إن تلـقـــني لا تلقني في النّعم العـــازب (٥)

وقال رُشَيْد بن رُمَيْض العَنْبَرِيّ :

---

(١) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٦ ، د . ت ، مفضلية ١٠ ، ص٥٧ . ولم يُشْلِ : لم يَـــدْعُ . والفصيل : ولد الناقة .

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار ، ص٣٦٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة (دار الكتب العربية الكبرى) ، ج ١٩ ص٤٣٧ .وأورد ابن أبـــي الحديد بيتا مماثلا أنشده السكرى دون نسبة .

(٤) تميم بن مقبل ، الديوان ، تحقيق د . عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٢ م ، ق ٣٥ ص ٢٧٢ .

(٥) شرح الحماسة للتبريزى ، ج ١ ص١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس براعي إبل ولا غنم (١)

وقال عَبْدَة بن الطَّبيب يهجو حُمَيَّ بن هَزّال (٢) :

تكفي الوليدة في النادي موْتزرا ... فاحلب فانّك حلاّب وصرّار (٣)

وقال تأبّط شرّا :

ولست براعي ثلّة قام وسطها ... طويل القنا غرنيق ضحل مُرسّل (٤)

٣ ــ أما بعد هذا ، فليس من الغرابة أن لا أجد إشارات كثيرة حول عمل الأحرار بالرعي (٥) قياسا بالإشارات الدالة على عمل الرقيق فيه .

ويبدو أن تربية الخيل والعناية بها كان أيضا من أعمال الرقيق ، قال مالك بن حريم واصفا عمل الرقيق في تربية الخيل :

ونخلعُ نعل العبد من سوء قَوْده ... لكيما يكون العبد للنّعل أضْرعا

---

(١) شرح الحماسة للتبريزي ، ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢) انظر الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٤ ، د . ت ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٣) عبدة بن الطبيب ، شعره ، جمع وتحقيق يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٣٨ .

(٤) تأبط شرا ، الديوان ، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٧٣ .

(٥) من هذه الإشارات ، عمل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في رعي الغنم ، انظر صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١١٦ . وسنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٧٢٧ . وطبقات ابن سعد ، ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ . وروى أن عمر بن الخطاب كان يرعى ، وهو في الثامنة عشرة من عمره ، إبل الوليد بن المغيرة ، انظر شرح نهج البلاغة (أبو الفضل) ج ١٢ ص ١٨٤ . وكان الحطيئة الشاعر يرعى غنما له ، انظر الكامل للمبرد ، ج ٣ ص ١٠٧٣ . وفي (الموطأ) ، أن رجلا من الأنصار كان يرعى لقحة له بأحد ، انظر مالك بن أنس ، الموطأ ، صححه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ج ٢ ص ٤٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وَعدوه عُقْبةً فمشى لهـا فما نالها حتّى رأى الصُّبح أدْرعا
وأوسعن عقبيه دماً فأصبحت أصابع رجليه رواعِفَ دُمَّعا (١)

ويظهر في الشعر الجاهلي ما يدل على وجود ارتباط بين الخيل والوليد أو الغلام اللذين يقصد بهما العبد ، قال السُّليك بن السُّلَكة :

قرب النَّحام واعجل يا غلام واطرح السرج عليه واللجام (٢)

وقال ثَعْلَبة بن عمرو العَبْدى :

وشوهاءَ لم توشم يداها ولم تُذَلْ فقاظَت وفيها بالوليد تقاذفُ (٣)

ويتبين من كل ما سبق أن تربية الأنعام والعناية بها كانت تعتمد أساسا على عمل الرقيق ، ويمكن القول أنّه كان لهذا العمل أثر مهم في تركيبة المجتمع الرعوى . وقد يتلمس هذا الأثر في ظهور التمايز الطبقي في هذا المجتمع (٤) ، فقد كان لاستخدام الرقيق في الرعي وتربية القطعان أثره في زيادتها ، التي عنت زيادة ثروة مالكي الرقيق، في الوقت الذى بقيت فيه ثروة أفراد القبيلة الآخرين محدودة . ويلاحظ ظهور هذا التمايز في الشعر الجاهلي ، ولو أخذنا قبيلة طيء مثلا ، لوجدنا في شعرها إشارات كثيرة إلى الاهتمام بامتلاك المال ، وعدّه قيمة أساسية من قيمهم (٥).

---

(١) أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، الوحشيات ، تحقيق عبد العزيز الميني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص٢٣ . والأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ بد . ت ، ص ٦٥ ـ ٦٦ . والنوادر لأبي زيد الأنصارى ، ص٩٦ .

(٢) شعر بني تميم ، ص٦٩ .

(٣) المفضليات ، مفضلية ٧٤ ص٢٨١ .

(٤) يتفاوت هذا التمايز من منطقة لأخرى .

(٥) انظر نجمة سعيد زايد، حركة الشعر في قبيلة طيء في العصر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٢ م ، ص١٠٩ ـ ١١٢ . وأشير إلى أن طيء كان لديها ـ فيما يبدو ـ عدد كبير من الأرقاء ، قال بشر بن عُلَيق الطائي يهجو بني عاملة:

قُبَيِّلَةٌ دَقَّت وقلّ عبيدُها وذلّت فما كنتم تغيثون مغنما

(د . يحيى الجبورى ، قصائد جاهلية نادرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص١٩٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتلاحظ هذه الظاهرة أيضا عند بني تميم ، قال عُمَيْرة بن طارق اليَربوعي :

ولا تعذليني إن رأيت معاشِـرا لهم نَعَمٌ دَثْرٌ وإن كنت مُصْرِمـا (١)

ثانيا : الـزراعـــــــة

كان العمل الزراعي من الأعمال التي استغل بها الأرقاء في العصـــر الجاهلي ، ويلاحظ كثرة الرقيق في جنوبي الجزيرة ، حيث تكثر المناطق الزراعيـــة (٢) ، ويستشف من بعض الأخبار أن قسما مهما من هذه الكثرة كان يشغل في الزراعـــة ، فيروى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتب إلى ربيعة بن ذى مَرْحَب الحضرمـــي واخوته وأعمامه « أن لهم أموالهم ، ونخيلهم ورقيقهم ، وآبارهم ، وشجرهم ، ومياههـــم ، وسواقيهم ، ... بحضرموت » (٣) . وفي كتاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى أهـل نجران أنّ له حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق (٤). ويدل ذكر الرقيـــق في هاتين الإشارتين على كثرته ، ويدل ربطه بالزراعة وما يتعلق بها عند قوم زراعيـــين على اشتغاله بالعمل الزراعي . وفي كلام ذى خَيْوان الهمذاني للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إشارة واضحة إلـى تشغيل الرقيق في الزراعة ، إذ قال « ولي أرض فيهـــا رقيق » (٥) .

أما في يثرب فقد كان نظام المحاصّة وتأجير الأرض معروفـــا وشائعـا (٦) .

---

(١) شعر بني تميم ، ص٢١٩ . ودثر : كثير. ومصرم : له مجموعة قليلة من الابل .

(٢) انظر هامش رقم ١ ، ص ١ من هذه الدراسة .

(٣) طبقات ابن سعد ، ج ١ ص٢٦٦ .

(٤) انظر أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، د . ت ، ص ٧٢ . وتاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص٨٣ .

(٥) الإصابة ، ج ٢ ص٤١٢ .

(٦) حول ذلك انظر الموطأ ، ج ٢ ص٧١١ ــ ٧١٢ . وسنن النسائي ، ج ٧ ص٣٢ ، ٥٣ . وصحيح البخارى ج ٣ ص١٢٦ وما بعدها . وانظر أيضا ما كتبه د . جواد علي حـــول المعاملات الزراعية التي كانت معروفة عندهم (المفصّل ، ج ٧ ص٢١٦ وما بعدها) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان أصحاب الأرض يستعملون الأجراء الأحرار في الزراعة (١) ، ويبدو أن قلة رقيق أهل يثرب حملهم على ألا يعتمدوا كثيرا على الأرقاء في العمل الزراعي (٢) . ومن الصعب معرفة حجم عمل الرقيق في الزراعة عند أهل يثرب ، إلا أنه يعثر على إشارات تدل على استخدامهم الرقيق في هذا المجال . فيروى أن سلمان الفارسي أقام عند أحد يهود بني قريظة يعمل له في نخله (٣) . ويروى أيضا أنه كان للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جارية يقال لها ريحة تعمل في نخل له يدعى نخل الصدقة (٤) . وكان أهل يثرب يستخدمون الرقيق في أعمال السقاية (٥) .

---

(١) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٣١٠ .

(٢) في (تيسير الوصول ، ج ٣ ص ٢١١) أن مما دعا المسلمين لحفر الخندق بأنفسهم أنه لم يكن لهم عبيد يفعلون لهم ذلك . ويلاحظ انتشار عمل الرقيق في الزراعة في المدينة بعد قيام الاسلام ، إذ كثر الرقيق بسبب الفتوحات ، فكان لابن عمر مملوكون بخيبر يعملون له في أرضه ، انظر طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ١٥٢ . وكان لعبد الله ابن الزبير أرض متاخمة لأرض لمعاوية بن أبي سفيان ، وفي كل منهما رقيق يعمرونها ، انظر التنوخي ، أبا علي الحسن بن علي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، نشر وتحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، ١٩٧٠ م ، ص ٣٤ . وكان لعمر بن الخطاب رقيق في أرضه في ثَمْغ ، وفي صرمة ابن الأكوع ، وخيبر ، انظر تيسير الوصول ، ج ٤ ص ٢٩٦ . ويرى أبو عبيد القاسم بن سلام أن سبب جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهود يعملون في خيبر بعد فتحها عدم توفر العمال للأرض ، فلما كان عمر ، كثر العمال بأيدي المسلمين ، فأجلى عمر اليهود إلى الشام ، انظر الأموال ، تحقيق خليل هراس محمد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٩ ـ ٨٠ . وانظر أيضا طبقات ابن سعد ، ج ٢ ص ٨٢ . وفتوح البلدان ، ص ٣٧ . وقد أشار د . اسرائيل ولفنسون إلى ذلك في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٢٧ م ، ص ١٨٥) .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ٧٨ـ٧٩ . وابن سيد الناس ، عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ج ١ ص ٧٩ .

(٤) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٥٤٣ .

(٥) انظر مسلم بن الحجاج بن مسلم ، صحيح مسلم (بشرح النووي) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ج ٩ ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان في الطائف عدد من الأغنياء الذين يمتلكون الكثير من الرقيق (١) ، ولا بد أن هذا الرقيق كان يشغّل في مزارع سادته ، ويبدو أن الأرقاء كانوا يشكلون نسبة مهمّة بين العاملين في الزراعة في الأراضي التي كان يمتلكها أهل مكة في الطائف (٢) . ويروى أنه كان هناك غلام لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، اسمه عدّاس ، يعمل في أرضهما بالطائف (٣) . ويروى أيضا أنّ الوليد بن المغيرة كان يمتلك في الطائف الكثير من الأراضي والرقيق (٤) .

ونستطيع أن نستشف من بعض الإشارات أن الرقيق كانوا يستعملون بكثرة في الزراعة في مناطق أخرى من الجزيرة ، كاليمامة ودُوَمة الجندل . فنلاحظ كثرة الرقيق عند أهل هذه البلاد الزراعية ، وفي حرب خالد بن الوليد مع أهل اليمامة بعد ردتهم ، رفض سَلَمة بن عُمَير الحنفيّ الصلح الذى عرضه خالد ، وقال : « . . . لا والله لا نقبل ، نبعث إلى أهل القرى والعبيد ، فنقاتل » (٥) . ويدل هذا

---

(١) انظر تفسير القرطبي ، ج ١٦ ص٨٣ . وانظر أيضا أسماء عدد من أغنياء الطائف عند ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء ، تفسير القران العظيم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٤ ص٢٠٣ . والدر المنثور ، ج ٧ ص٣٧٢ ـ ٣٧٥ .

(٢) انظر فتوح البلدان ، ص٦٨ . ومن أموال أهل مكة بالطائف (الوهط) للعاص بن وائل ، انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص١٤٢ . ومعجم البلدان ، ج ٥ ص٣١٦ . وابن المجاور ، جمال الدين أبا الفتح يوسف بن يعقوب ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسماة تاريخ المستبصر) ، ليدن ، ١٩٥١م ، ج ١ ص٢١ . وكان سعيد بن العاص يملك أرضا هناك ، انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص١٤٢ . وكذلك العباس بن عبد المطلب ، انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص٥٧ . وكان لبعض أهل مكة آبار بالطائف ، فيروى أنه كان لعبد المطلب جد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بئر في الطائف اسمه (ذو الهرم) ، انظر المسعودى ، أبا الحسن علي بن الحسن ، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان . . ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص١١٩ . ومعجم البلدان ، ج ٥ ص٤٠٣ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص٦٢ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ، ج ١٦ ص٧٠ .

(٥) تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص٢٨٩ . وانظر نهاية الأرب للنويرى (ج ١٩) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وزارة الثقافة ، مصر ، ١٩٧٥م ، ص٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القول على أن رقيق أهل اليمامة لم يكن قليلا ، ولا بد أنهم كانوا يستغلونه في الزراعة (١) ويلاحظ أن خالدا صالحهم على ربع الرقيق ونصف الصفراء (٢) .

وصالح خالد بن الوليد أهل دومة الجندل ـ وكانوا أصحاب مزارع ـ على ثمانمئة رأس من الرقيق (٣) مما يدل على كثرة الرقيق لديهم .

وهكذا يتضح أنه مع صعوبة التعرف بوضوح على حجم عمل الرقيق في الزراعة في العصر الجاهلي ، قد تبين أن هذا العمل لم يكن هامشيا ، وأميل إلى أن الأرقاء كانوا في بعض المناطق الزراعية التي أشرت إليها ، كاليمامة وبعض المناطق الجنوبية ، جزءا أساسيا من العاملين في الزراعة .

ثالثا : الصناعات والحرف والمهن

قامت في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي بعض الصناعات البسيطة ، كالنسيج والدباغة والحدادة وصياغة الحلي ، وما الى ذلك . ويبدو أن الرقيق ، رجالا

---

(١) قد يكون بنو حنيفة في اليمامة مثالا للقبيلة التي دعتها زيادة قطعانها بفضل عمل الرقيق إلى البحث عن مكان للاستقرار والعمل في الزراعة ، وفي (معجم البلدان) أن بني حنيفة كانوا جماعة مترحلة يبحثون عن الريف ، فوجدوا اليمامة واستقروا فيها ، انظر معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٢١ (حجر) . وفي هذه الرواية ذكر لوجود الرقيق عند بني حنيفة . ولم تستطع كثير من القبائل أن تحذو حذو بني حنيفة .

(٢) انظر الأموال ، ص ٢٩٨ . وفي رواية الطبري ((وعلى نصف المملوكين)) ، تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) انظر مغازي الواقدي ، ج ٣ ص ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ . والمقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع (الجزء الأول) ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١م ، ص ٤٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونساء ، كانوا ـ بشكل عام ـ أهم القوى العاملة في هذا المجال (١) . وفي (شرح الحماسة) أنّ العرب «كانوا يأنفون من الصناعات ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء ، أحيانا ، إذا لم يكنّ في غاية بعيدة من الشرف» (٢) . والإشارات التي عثرت عليها ، وسأعرض لبعضها ، تؤكد هذا القول بصورة عامة .

أمّا ما يذكره الجاحظ وآخرون حول اشتغال بعض الأشراف في هذه الأعمال (٣) ، فأميل ، في حالة صحة ذلك ، إلى أن هؤلاء الأشراف لم يكونوا يعملون بأنفسهم في هذه المهن ، وإنما كان لهم رقيق يعمل لهم ذلك ، وهم يشرفون على هذا العمل ويجنون الأرباح . ونجد في بعض المصادر أمثلة تؤيد ما أذهب اليه ، فيذكر في (الإصابة) مثلا ، أبو شعيب اللحام وحين يترجم له ، نجد أن الذى كان يقوم بالجزارة غلام من غلمانه (٤) . ولا يمكن القبول بأن هؤلاء الأشراف كانوا يعملون بأنفسهم في هذه الأعمال (٥) ، فالإشارات الواردة عن العصر الجاهلي تدل على احتقار العرب للعاملين بهذه الصناعات والمهن .

---

(١) قد لا ينطبق هذا القول تماما على بعض المناطق المتحضرة في اليمن ، فقد كان أهل اليمن يعيّرون دائما باشتغالهم في الصناعات ، انظر شرح نهج البلاغة (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي ، ج ١ ص ١٨٥ . وشرح الحماسة للتبريزى ، ج ١ ص ٧٩ .

(٣) وممن يذكرهم الجاحظ : عقبة بن وقاص (وكان نجّارا) ، والعاص بن هشام (وكان جزارا) ، والوليد بن المغيرة (وكان حدادا) ، انظر الجاحظ ، عمرو بن بحر ، المحاسن والأضداد ، دار احياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ١١٠ . وانظر أيضا المعارف ، ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ . والبيهقي ، ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص ١٠٣ . وابن رستة ، أبا علي أحمد بن عمر ، الأعلاق النفيسة (المجلد السابع) ، ليدن ، ١٨٩١ م ، ص ٢١٥ . ولطائف المعارف ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ . والخوارزمي ، جمال الدين أبا بكر محمد ، مفيد العلوم ومبيد الهموم ، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الأنصارى ، الدوحة ، ١٩٨٠ م ، ج ٣ ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ .

(٤) انظر الاصابة ، ج ٧ ص ٢٥ .

(٥) لقد تحمس د . جواد علي للرواية التي تقول بعمل بعض الأشراف في الصناعات ، ورأى أنها قد تجعلنا نعيد النظر فيما جاء عن أهل مكة من أخبار تفيد احتقارهم لهذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر خالته فاختة أن لا تجعل غلامها قصّابا ولا صائغا ولا حجّاما (١) . وكانت مهنة الحدادة مثلا مجالا للهجاء عند العرب ، ومنهم أهل مكة ، فقد عيّر حكيم بن حزام أحد الشبان بأن أباه كان قينا يضرب الحديد بمكة (٢) . وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى يهجو مَوْهَب بن رياح :

فأَقْصِرْ يا بن قَيْنٍ السّوءَ عنه ... وعدّ عن المقالة في البِلادِ (٣)

وقد يكون القين في بيت ابن الزّبعرى السابق بمعنى العبد وليس الحداد ، ولكن هذا الارتباط اللغوى بين العبد والحداد ، دلالة مهمة على ارتباط مهنة الحدادة بالرقيق .

وأعتقد أنه لو صحّ ما قيل حول اشتغال الأشراف بأنفسهم في هذه الصناعات لكان انتشارها أكبر مما نعرفه عن قلة سعتها وضيق نطاقها .

أما الآن فسأحاول تفصيل الحديث عن عمل الرقيق في هذه المهن والصناعات ، وأهمية هذا العمل .

تعتبر الحدادة من أهم صناعات العصر الجاهلي ، ومع أنني لا أميل إلى القول بقصر عمل الحدادة على الرقيق دون الأحرار (٤) ، فأني أعتقد أن غالبية العاملين فيها كانوا من الرقيق . وكانت صناعة الأسلحة من سيوف ودروع وغيرها من

الأعمال ، انظر المفضّل ، ج ٤ ص١٢٦ . ولكنه لا يلبث في مكان آخر من الكتاب نفسه ، أن يقرر احتقار العرب لهذه الأعمال ، ومنهم أهل مكة ، مستشهدا بالأمثلة ، انظر المفضّل ، ج ٧ ص٥٤٢ـ٥٤٣ .

(١) انظر سنن أبي داود ، ج ٣ ص٧١٢ .

(٢) انظر الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش (الجزء الأول) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ص٣٧٢ .

(٣) عبد الله بن الزبعرى ، شعره ، جمع د . يحيى الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص٣٣ .

(٤) يستشف من بعض الاشارات أن الأحرار كانوا يعملون في الحدادة ، انظر مثلا على ذلك في (أسد الغابة ، ج ١ ص٣٨ ـ ٣٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهم صناعات الحديد عندهم ، ومن الذين اشتغلوا بها خبّاب بن الأرتّ (١) ، ومن الأرقاء الحدادين أيضا الأزرق غلام الحارث بن كَلَدَة (٢) ، ويلعام (٣) . وكان لصعصعة جدّ الفرزدق الشاعر ، قيون منهم : جُبَيْر ، ووَقْبان ، ودَيْسَم (٤) . وقد عمل بعض الرقيق بصقل السيوف خاصة ، ومن هؤلاء غلاما آل الحضرمي ، يَسار وجبر (٥) ، ومرزوق الصيقل مولى الأنصار (٦) ، وكان لأبي بكر الصديق غلام صيقل يعمل سيوف المسلمين (٧) .

أما النجارة (٨) ، فيلاحظ من أخبار العصر الجاهلي ، أن النجارين كانوا في أغلبهم من الرقيق ، وكان أغلب هؤلاء من أصول غير عربية ، ومن النجّارين : باقوم الرومي ، وهو ممن قيل أنّه صنع منبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٩) ، وكلاب

---

(١) يروى أن خبّاب كان قينا بمكة يصنع السيوف ، انظر صحيح البخاري ، ج ٣ ص ٧٩ ، ١٦٢ . والسيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٨٣ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٧٧ ، ١٧٩ . والروض الأنف ، ج ٢ ص ٩٨ . والإصابة ، ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) انظر فتوح البلدان ، ص ٦٧ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٥٧ ، ٤٩٠ . والإصابة ، ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) انظر الإصابة ، ج ١ ص ٣٢٦ .

(٤) انظر النقائض ، ج ٢ ص ٧٩٩ . وخزانة الأدب ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٥) انظر تفسير القرطبي ، ج ١٠ ص ١٧٨ .

(٦) انظر تخريج الدلالات السمعية ، ص ٤٣٤ . والإصابة ، ج ٦ ص ٧٦ .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ١٩٢ .

(٨) يبدو أن النجارة لم تكن منتشرة في المدينة ، فيقال أنّه لم يكن فيها ، في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير نجار واحد ، انظر سنن النسائي ، ج ٢ ص ٥٨ . والسمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ٣٩٦ .

(٩) انظر الروض الأنف ، ج ٢ ص ٢٥٠ . ووفاء الوفا ، ج ٢ ص ٣٩٦ . وقد اختلف فيمن عمل المنبر ، ويلاحظ أن معظم الأسماء التي ذكرت تدل على أصول غير عربية ، ومن هذه الأسماء : مينا ، انظر الروض الأنف ، ج ٢ ص ٢٥٠ . وباقول ، الذي قد يكون مصحفا عن (باقوم) ، انظر تخريج الدلالات السمعية ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ . ووفاء الوفا ، ج ٢ ص ٣٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غلام العبّاس بن عبد المطلب (١) . ويقال إنّه كان في مكة نجار قبطي (٢) .

وعرف العرب صناعة الأقداح ، ويروى أنّ أبا رافع مولى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان قبل ذلك عبدا للعباس بن عبد المطلب ، ممن اشتغلوا بهذه الصناعة (٣) .

وكان بعض الرقيق يصنعون النبل ، ومنهم يُحَنَّس النبّال الذى كان عبدا لبعض الثقفيين (٤) .

وعمل الرقيق في الصياغة (٥) ، قال لبيد :

فالماء يجلو مُتونَهُنَّ كما ... يَجلو التلاميذ لوْلوًا قَشِبا (٦)

وعملوا أيضا في الخياطة ، فيروى عن أنس بن مالك ، قال : « دخلت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على غلام له خيّاط » (٧) . وكانت سميّة أم عمار ابن ياسر ابنة خيّاط (٨) .

وعملوا في البناء ، فيروى أن سنمّار العبد الرومي ، هو الذى بنى الحصن لأُحَيحة بن الجُلاح (٩) . ويبدو أن أعمال الحفر والبناء كانت أعمالا للرقيق ، فيشار

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ، ج ١ ص ٢٥٠ . والاصابة ، ج ٥ ص٦١٦ـ٦١٧ .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص٢٧٨ . وانظر إشارات أخرى عن نجارين أرقاء في : طبقات ابن سعد ، ج ٢ ص٧٣ . والمنمق ، ص٣١٠ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص٣٠١ . وطبقات ابن سعد ، ج ٢ ص٧٣ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٧٧ـ٤٧٨ . وتاريخ الطبرى ، ج ٢ ص٤٦١ـ٤٦٢ . وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازى) ، ص ٤٤ . وعيون الأثر .. ، ج ١ ص٣٣٠ .

(٤) انظر مغازى الواقدى ، ج ٣ ص٩٣٢ . وأسد الغابة ، ج ٥ ص٩٩ . والإصابة ، ج ٦ ص ٦٤٣ .

(٥) يشار إلى أن يثرب كان فيها صاغة كثيرون ، انظر صحيح البخارى ، ج ٣ ص٧٩ .

(٦) الديوان ، ق ٤ ص٣١ . والتلاميذ ، كما يقول شارح الديوان ، هم غلمان الصاغة . وفي حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خالته فاختة وأمره إيّاها أن لا تجعل غلامها صائغا (انظر سنن أبي داود ، ج ٣ ص٧١٢) ، إشارة إلى أن الصّياغة كانت من أعمال الرقيق .

(٧) صحيح البخارى ، ج ٧ ص٩٨ ، ١٠١ .

(٨) انظر الروض الأنف ، ج ٢ ص٧٨ .

(٩) انظر سمط اللآلي ، ج ١ ص٤٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن سبب حفر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الخندق بأنفسهم، كان قلة ما لديهم من الرقيق (١) .

وعمل الرقيق في صناعة الخِفاف، فقد سئل واحد من الأرقاء عن عمله، فأجاب: خفّاف (٢) .

وقد يستشف من قول عمرو بن كلثوم :

إذْ لا تُرجّي سُليمى أن يكون لها ... من بالخورنق من قين ونسّاج (٣)

أن الرقيق كانوا يعملون في النسيج .

وعمل الرقيق في الحجامة، ومن الحجّامين الذين تشير إليهم المصادر حكم بن كيسان مولى بني مخزوم (٤)، وأبو هند الحجام مولى بني بياضة (٥) الذي حجم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٦) . ومنهم أبو طيبة، وكان عبدا لبعض الأنصار(٧) .

وقد استخدم الرقيق في البيع والتجارة، ومن المشهور أن ميسرة غلام السيدة خديجة، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخرج في تجارتها . وكان لأبي بكر غلام يتاجر له بالثياب (٨) . وكان للعباس بن عبد المطلب عشرون عبدا يتاجرون بماله (٩) .

---

(١) انظر تيسير الوصول، ج ٣ ص ٢١١ .

(٢) انظر الإصابة، ج ٦ ص ٣٨١ .

(٣) الأغاني، ج ١١ ص ٥٩ .

(٤) انظر صحيح البخاري، ج ٣ ص ٧٦، ١٧١، وج ٧ ص ١٠١ . والإصابة، ج ٧ ص ٢٥ .

(٥) انظر الإصابة، ج ٢ ص ١٩ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٧) انظر صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٢٢ . وأنساب الأشراف، ج ١ ص ٥٠٦ . والروض الأنف، ج ٣ ص ١٥٢ . والإصابة، ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٨) العقد، ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٩) انظر تفسير الطبري (تحقيق محمود محمد شاكر، ومراجعة أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د . ت) ، ج ١٤ ص ٧٣ . وتفسير القرطبي، ج ٥ ص ٥٣ . والسيوطي، جلال الدين، لب لباب النقول في أسباب النزول، دار احياء العلوم، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١١٤ . والدر المنثور، ج ٤ ص ١١١ ـ ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعملت الإماء في تزيين النساء ، ومن يرد ذكرهن في هذا المجـــال: أمّ غيلان ، وكانت مولاة لدَوْس ، تمشط النساء وتجهّز العرائس (١) . وأمّ زفر الحبشية ، وكانت تمشط السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقد نستطيع القول بعد كل ما سبق أن عمل الرقيق في الصناعـــات والمهن التي وجدت في الجزيرة كان له أهمية كبيرة . ويمكن القول كذلك ، إن جزءا مهما من ثروات مالكي الرقيق ، وخاصة الرقيق الأبيض الماهر في الصناعات ، كان نتاج عمل هذا الرقيق في تلك الصناعات ، وقد أدّى ذلك ، فيما أدّى ، إلى توسيع الهـوة بين الطبقات الاجتماعية ، وخاصة في الأماكن المستقرة .

رابعـا : القتـــــــــال

يلاحظ في الإشارات التي وردت عن اشتراك الرقيق في القتال في العصر الجاهلي أمور ، منها :

١ـ يبدو أن القبائل العربية التي لم تحظ بالاستقرار في مدن ، لم تكن تشـــرك الأرقاء ـ في الغالب ـ في أعمال القتال ، إذ كان لديهم اهتمام كبير بصـراحة نسب مقاتليهم ، حتى أنهم كانوا يعتبرون اشتراك الأشائب والهجناء في القتـــال عارا وسُبّـة تدعو للهجاء ، قال شقيق بـن جزء الباهلي :

أتوعدني بقومـك يا ابن حجـــل أشابات يُخالـــون الـعبـــادا (٣)

ويرد أحد الشعراء سبب هزيمة القوم إلى اشتراك الهجناء في القتال :

---

(١) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص٥٦ . وابن سلّام الجمحي ، محمد ، طبقات فحـــول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهـرة ، د . ت ، ج ١ ص ٢٥١ . و المنمـق ، ص ٢٤١ .

(٢) انظر الإصابة ، ج ٨ ص٢١١ .

(٣) فرحة الأديب للغندجاني ، ص٤٩٠ . وصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحســـن البصري ، كتاب الحماسة البصرية (الجزء الأول) ، تحقيق د . عادل جمال سليمـــان ، وزارة الأوقاف ، مصـر ، ١٩٧٨م ، ص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرّهان فتدركوا (١)

ولذلك، كان الفخر بصراحة نسب المقاتلين شائعا في العصر الجاهلي، قال طُفَيل الغَنَويّ :

قبائل من فرعي غنيّ تواهَقت بها الخيل لا عزلٌ ولا متأشّبُ (٢)

وقال الأخْنَس بن شِهاب التَّغلبيّ :

فوارسُها من تغلب ابنةِ وائلٍ حماةٌ كماةٌ ليس فيها أشائبُ (٣)

وقال طرفة بن العبد :

ولم يَحْمِ فَرْجَ الحيّ الّا ابن حُرّة وعمّ الدّعاءُ المُسْرهَقُ المتلهّفُ (٤)

٢ـ كانت بعض القبائل تستخدم الرقيق في عمليات الإنذار، فكان بعض الرقيق يوضع في مرتفع، وتكون مهمته إخبار القوم بأيّ خطر قد يتهدد القبيلة، قال تميم بن مقبل يصف حمار الوحش :

صَخِبٌ كأنّ دُعاءَ عبد منافةٍ في رأسِه عقب الصّباح الجافِل (٥)

٣ـ ويبدو أن كثرة الأرقاء في المدن، وما أخذ يجتاح الروح القبلية فيها من ضعف نسبي (٦)، قد أديا لاستخدام الأرقاء في القتال في بعض الأحيان. ويروى أنّ سيف

---

(١) الشعر لابن أمّ حَزْنة، انظر ابن حبيب البغدادي، محمد، من نسب إلى أمه من الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات) ج ١ ص٩٢ .

(٢) الديوان، ص٢٢ .

(٣) المفضليات، مفضلية ٤١، ص٢٠٦. وانظر أيضا شرح الحماسة للمرزوقي، ج ٢ ص ٧٢٦ . وعند الأخفش الأصغر، كتاب الأختيارين، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٤٥ .

(٤) طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥م، ق ١٧ ص١٣٢ . وانظر أمثلة أخرى في شعر راشد بن شهاب (المفضليات، مفضلية ٨٧ ب ٨ ص ٣١١). وسلامة بن جندل (الديوان، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ق١ ب ١٨ ص١١٠).

(٥) الديوان، ص٢٢٤ . وانظر أمثلة أخرى في هذا المجال في (مغازي الواقدي، ج ٣ ص ٩٨٥). وفي (النقائض، ج ٢ ص٧٨٣) .

(٦) أدّى التمايز الطبقي في المدن، واتساع الهوّة بين الأغنياء والفقراء إلى ضعف نسبي في الروح القبلية، وقد يفسّر هذا وجود بوادر استخدامهم الرقيق في القتال ـ كما سيأتي ـ وعدم التمسّك بأن يكون جميع المقاتلين من الصرحاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن ذى يزن كان قد اتخذ بعض الأرقاء حرسا له يمشون بين يديه بالحـــراب (١) .

وتشير أخبار الحروب التي دارت بين المسلمين وغيرهم في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اشتراك عدد من الأرقاء في القتال ، فقد حارب مع قريش يوم أحد بعض أرقائهم ، منهم : وحشيّ غلام جُبَير بن مُطْعِم (٢) ، وصُوَاب غلام بني عبـــد الدار (٣) ، ويروى أن عدّاس ـ الذى كان عبدا لعتبة وشيبة ابني ربيعة ـ قتل في معركة بدر (٤) .

ويبدو أن ثقيف كانت تستخدم الأرقاء في القتال ، فيروى أن عثمان بن عبد الله الثقـفي حضر يوم حنين بأفراس وعبيد وموال فقتلوا يومئذ معه (٥) .

وضمّ جيش المسلمين عددا من الأرقاء ، ومن هؤلاء : كَيْسان غلام بني النجـــار واستشهد في أحد (٦) ، وشقران غلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم (٧) . وفي رواية عن مخلد الغفارى أن « ثلاثة مملوكين من بني غفار شهدوا بدرا »(٨) . ويروى أن

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص١٤٨ . والروض الأنف ، ج ١ ص٥٥ . ونشوة الطرب ، ج ١ ص ١٦٣ . وفي رواية المسعودى أن معد يكرب بن سيف بن ذى يزن هو الذى فعل ذلـك ، انظر مروج الذهب ، ج ٢ ص٩١ . وقد أشير سابقا إلى أن بعض أهل اليمامة قد هـــدد بالاستنجاد بأهل القرى والعبيد عندما هاجمهم خالد بن الوليد ، انظر ص٤٨ من هـــذه الدراســة .

(٢) انظر صحيح البخارى ، ج ٥ ص١٢٨ـ١٢٩ . والسيرة النبوية ، ج ٣ ص٦٥ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص٨٢ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٥٥ ، ٢٨١ . وتاريـــخ الطبرى ، ج ٢ ص٥١٣ . والأغاني ، ج ١٥ ص١٩١ . وامتاع الأسماع ، ج ١ ص١٢٦ .

(٤) انظر مغازى الواقدى ، ج ١ ص٣٥ .

(٥) السيرة النبوية ، ج ٤ ص٩٢ . وانظر أيضا مغازى الواقدى ، ج ٣ ص٩١١ .

(٦) انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص١٣٦ . ومغازى الواقدى ، ج ١ ص٢٠٧ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٣٣٤ . ونهاية الأرب للنويرى ، ج ١٧ ص١٠٦ . وتاريخ الإسلام للذهبـــي (المغازى) ، ص١٩٤ .

(٧) انظر مغازى الواقدى ، ج ١ ص١١٥ ـ ١١٦ . وطبقات ابن سعد ، ج ٣ ص٤٩ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٤٣٨ . والروض الأنف ، ج ٤ ص٢٧٦ .

(٨) الأموال ، ص٣٤٦ . وانظر أيضا أسد الغابة ، ج ٤ ص٣٣٨ . وفي رواية أخرى أن ثلاثـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عميرا مولى أبي اللحم شهد خيبر وهو مملوك (١) . وقاتل غلام لعمرو بن الجموح في أحد وقتل (٢) .

٤ـ غير أنّ ما تجدر الإشارة إليه أن اشتراك الأرقاء في القتال كان قليلا وفي نطاق ضيق ، وكانت أعمال الرقيق الأساسية في الحروب ، عند القبائل المتحضرة وغيرها ، تكاد تنحصر في حفظ متاع الجيش والعناية بمتطلبات المقاتلين وخدمتهم ، والقيام بشؤون الإبل والخيل . وفي رواية عن نسطاس مولى صفوان بن أمية ـ وكان أحد الأرقاء الذين رافقوا أهل مكة في غزوة أحد ، وأسلم فيما بعد ـ قال : « كنت مملوكا ، فكنت فيمن خلّف في العسكر ، ولم يقاتل يومئذ مملوك إلا وحشي وصؤاب غلام بني عبد الدار ، قال أبو سفيان : يا معشر قريش خلّفوا غلمانكم على متاعكم ، يكونون هم الذين يقومون على رحالكم ... ، فدخل أصحاب محمد ونحن في الرحال ... »(٣) . وأميل إلى صحة هذه الرواية وأشباهها بشكل عام (٤) . وأعتقد أن ما يرجح نطاق المشاركة الضيق الذى كان يقوم به الرقيق في القتال ، أنّ

مماليك لعبد الرحمن بن عوف وحاطب بن أبي بلتعة وسعد بن مُعاذ ، شهدوا بدرا ، انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٥٠ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤٧٩ . وامتاع الأسماع ، ج ١ ص ٩٥ .

(١) انظر سنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٩٥٢ . والأموال ، ص ٣٤٧ . ومغازى الواقدى ، ج ٢ ص ٦٨٥ .

(٢) انظر الإصابة ، ج ٣ ص ١٧١ .

(٣) مغازى الواقدى ، ج ١ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ . وانظر أيضا شرح نهج البلاغة (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) ، ج ٤ ص ٢٤٢ . والإصابة ، ج ٦ ص ٤٢٧ .

(٤) قد يكون هناك غير وحشي وصؤاب من الأرقاء ، اشتركوا في القتال مع أهل مكة يوم أحد ، ولكني أميل إلى أنهم كانوا قلّة . والرواية السابقة لا تتناقض في رأيي ـ مع ما يروى من أن أبا عامر الراهب ـ الذى كان مع أهل مكة يوم أحد ـ طلع في قومه ومعه عبيد قريش ، فتقاذفوا بالحجارة هم والمسلمون ، فتراضخوا بها ساعة ، حتى ولّى أبو عامر وأصحابه ، (انظر طبقات ابن سعد ، ج ٢ ص ٤٠ . ومغازى الواقدى ، ج ١ ص ٢٢٣ . وشرح نهج البلاغة (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) ، ج ١٤ ص ٢٣٣ . وامتاع الأسماع ، ج ١ ص ١٢٣) . فلا نستطيع اعتبار التراضخ بالحجارة هنا عملا من أعمال القتال الأساسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرقاء كانوا سيحتاجون ـ في هذه الحال ـ إلى تدريب على القتال وفنونه ، وهذا يحتاج إلى مؤسسات عسكرية وحضارية تستطيع تجنب الآثار الخطرة لوجود جيش من الأرقاء الأقوياء الذين لا بد أن يسعوا إلى نيل حريتهم ، معتمدين على قوتهم . ومن المعروف أن مثل هذه المؤسسات لا تتوافر إلا في دولة قوية متحضرة . ولم يكن هناك ـ في الفترة التي تتناولها هذه الدراسة ـ دولة عربية في مثل هذا الحال .

أما ما قيل حول الأحابيش الذين رأى لامنس(١) أنهم جيش من الأرقاء السود الأحباش ، استخدمتهم مكّة في حمايتها والقتال معها ، فأتفق مع د . نبيه عاقل في أنّ لامنس يعتمد على تحميل النصوص ما لا تحتمل (٢) ، ويوزد د . عاقل (٣) ، ود . جواد علي (٤) ، ود . أحمد الشريف (٥) كثيرا من النصوص التي تثبت أن الأحابيش كانوا عربا لهم تنظيم قبلي مستقل عن مكة ، وهناك تفرقة بينهم وبين العبيد .

وأرى أن هناك أسبابا قوية أخرى تضاف إلى ما ذكره الباحثون السابقون تضعف فرضية لامنس ، فإذا كان الأحابيش من الأرقاء ، فمن الذي كان يملكهم ؟ ! من الواضح أن قريشا لم تكن تملك الأحابيش ، فقد كانوا مستقلين عنها استقلالا واضحا كما يظهر من الإشارات الواردة في المصادر ، وكما يعترف بذلك لامنس

---

(١) انظر لامنس اليسوعي ، الأحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ، مقالة في مجلة المشرق ، السنة ٣٤ ، عام ١٩٣٦م ، ص١ ـ ٣٢ ، وص٥٢٧ ـ ٥٥٤ . والذي أثار لامنس في البداية علاقة الشبه بين اسم الأحابيش والحبشة . وقد حاول د . جواد علي تفسير هذه العلاقة (انظر المفصّل ، ج ٤ ص٣٢ ـ ٣٤) ، وعلى أية حال لا يعني وجود هذه العلاقة ضرورة كون الأحابيش من الحبشة .

(٢) انظر تاريخ العرب القديم ، ص٢٤٧ .

(٣) انظر الرد المفصّل على لامنس في كتاب د . عاقل سابق الذكر ، ص٢٤٧ ـ ٢٥١ .

(٤) انظر المفصّل ، ج ٤ ص٣٠ ـ ٣٦ .

(٥) انظر مكّة والمدينة ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ . وقد تجمّع لدي عدد آخر من النصوص تدعم ما ذهب اليه الباحثون السابقون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه (١) . فإذا لم يكونوا مملوكين لقريش ، فيجب أن يكونوا ـ تمشيا مع فرضية لامنس ـ مملوكين لبعض قبائل كنانة ، فقد كان سادتهم منها . ومن المعروف أن هذه القبائل كانت فقيرة (٢) ، فمن غير الممكن أن تمتلك آلافا (٣) من الأرقاء .

وإذا افترضنا ـ على سبيل الجدال ـ أن تلك القبائل كانت تمتلك هذه الأعداد الكبيرة من الرقيق المدرب القوى ، فما الطريقة التي اتبعتها هذه القبائل في السيطرة عليهم (٤) ؟ ، والتحرر حلم يظل يداعب خيال المسترق الضعيف ، فكيف القوى ؟ ! ، و هل امتلكت هذه القبائل البدوية مؤسسات مدنية متطورة تستطيع السيطرة بها على هؤلاء الأرقاء ؟ ؟ !

ومن الأسباب الأخرى التي تدعو إلى عدم قبول فرضية لامنس ، أن اشتراك الأحابيش في جيش مكة كان سيخلف ـ لو كان الأحابيش رقيقا ـ هجاء مرّا لقريش لاستخدامها الرقيق في القتال . ونحن لا نجد عند حسان بن ثابت مثلا ـ وهو الذى يلحّ في هجائه كثيرا على العبودية والعبيد (٥) ـ غير بيت واحد عن الأحابيش ، قال :

---

(١) انظر الأحابيش والنظام العسكرى .. ، ص ٥٣٨ .

(٢) انظر المقالة السابقة نفسها ، ص ١ وما بعدها ، حيث يورد لامنس كلاما مهما عن هذه القبائل وفقرها .

(٣) يروى أن أبا سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ، انظر تفسير الطبرى (شاكر) ، ج ١٣ ص ٥٣٠ . وأسباب النزول للواحدى ، ص ١٦ . والدر المنثور ، ج ٤ ص ٦٣ . وفي غزوة الأحزاب خرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف (مغازى الواقدى ، ج ٢ ص ٤٤٣) .

(٤) يلاحظ أن لامنس يقارن بين الأحابيش وجيوش متطورة مثل الحرس السويسرى (انظر الأحابيش والنظام العسكرى ، ص ١٨) وكتائب العسكر الأرتيرى في الجيش الايطالي (المقالة نفسها ، ص ٢١) . وهذا يدل على خلل في المنهج عنده ، فهو لا يأخذ اختلاف المستوى الحضارى بعين الاعتبار .

(٥) يلاحظ القارئ في ديوان حسان هذا الأمر بوضوح ، انظر أمثلة على ذلك : ق ٤٦ ص ١٤٧ ، و ق ٤٤ ص ١٤٥ ، و ق ٢٥ ص ١١٢ ، و ق ٥٧ ص ١٦٣ . وقد هجا حسان قريشا لاستخدامها بعض أرقائها ـ وهو صؤاب ـ في معركة أحد ، قال (الديوان ، ق ١٩٧ ص ٣٦٧) :

فخرتم باللّواء وشرّ فخرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ ... من الأمِ من يطا عَفَر التُّرابِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعتموها أحابيشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها (١)

فلم ينعتهم بالعبودية، بل بقلة الشرف والمال، ولو كانوا رقيقا لقال غير ذلك. أمّا كعب بن مالك فقد نستشف مما قاله الفخر بمقابلة قوم أشداء هم الأحابيش، قال:

فجئنا الى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنّعُ (٢)

وإذا كان الأحابيش على النحو الذي يفترضه لامنس، فلماذا لم يعد لهم ذكر بعد انتصار الاسلام؟، ولماذا لم يشكلوا جزءا من القوات الاسلامية؟، فلا يوجد لاسمهم ذكر بعد استقرار الدولة الاسلامية كما يذكر لامنس (٣). والذي يبدو أن حلف الأحابيش كان حلفا بين مجموعات قبلية عربية، انتهى كغيره من الأحلاف بانتصار الاسلام.

خامسا: الخدمة

كان اتخاذ الخدم شائعا عند العرب في العصر الجاهلي (٤)، وكان الخادم ضرورة من ضرورات الحياة عندهم، حتى عند غير الأغنياء، فيروى عن أسماء

---

(١) السيرة النبوية، ج ٣ ص ١٣٩. ورواية الديوان (بلا نسب)، انظر الديوان، ج ١ ص وأرجح رواية السيرة، وأرى أنها تتفق مع ما عرف عن الأحابيش أكثر.

(٢) كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م، ص ٢٢٥.

(٣) انظر لامنس، الأحابيش والنظام العسكري.. ص ٥٥٤. ويعلّل لامنس ذلك بأن مكة أصبحت ولاية متعلقة بحكومة المدينة، ولم أستطع فهم ما يقصده لامنس في هذا التعليل، فهل كون مكة تابعة لحكومة المدينة يمنع استخدام الأحابيش في جيش المسلمين؟!

(٤) يروى عن المستورد بن شداد قوله: «سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: من كان لنا عاملا، فليكتسب زوجة، ومن لم يكن له خادم، فليكتسب خادما...». (سنن أبي داود، ج ٣ ص ٣٥٤). ومن أمثال العرب.. (العبد من لا عبد له)، أي من لم يكن له عبد ولا كاف امتهن نفسه، انظر أمالي القالي، ج ١ ص ٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنت أبي بكر ، قالت: « تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف له فرسه وأستقي الماء ... حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني »(١) . ومما يدل على شيوع ظاهرة الخدم عندهم أن القرآن الكريم أشار إلى مشكلة عامة تتعلق بهم ، وهي دخولهم على سادتهم بغير استئذان (٢) .

وكانت كثرة الخدم من مظاهر العزّ والجاه ، قال الأضْبَط بن قُرَيْع :

ألم ترها باتت بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحَبَتْها الوصائف (٣)

وقال العبّاس بن مِرداس يصف امرأة مترفة :

أرادت لتنتاش الرّواق فلم تقم إليه ولكن طأطأته الولائدُ (٤)

وقال المُرقِّش الأكبر :

فلما تبنّى الحيُّ جئن اليهمُ فكان النّزول في حُجور النّواصِفِ (٥)

ويلاحظ أن هؤلاء الخدم كانوا ـ في أغلبهم ـ من الرقيق ، ولم أعثر على إشارات تدل على استخدام الأحرار في الخدمة ، سوى ما جاء من أن بعض الأحرار كانوا يخدمون النبي صلى الله عليه وسلم (٦) . ولا يقاس على هذا ، فخدمة النبي قد يقوم بها كبار الأشراف من صحابته .

---

(١) صحيح البخاري ، ج ٧ ص٤٦ . وانظر أيضا تاريخ دمشق لابن عساكر (تراجم النساء) ، ص١٦٥ .

(٢) انظر سبب نزول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ». (سورة النور ، آية ٥٨) عند الواحدي ، أبي الحسن علي بن أحمد ، أسباب النزول ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٢٣٢ .

(٣) شعر بني تميم ، ص٤١ .

(٤) العباس بن مرداس ، الديوان ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٨ م ، ص١١٦ .

(٥) المفضليات ، مفضلية ٥٠ ص٢٣٢ . والنواصف : الخدم .

(٦) من الأحرار الذين خدموا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنس بن مالك ، وأبو هند وأسماء ابنا حارثة من بني مالك بن أفصى . ويقول أبو هريرة عن ابني حارثة : « ما كنت اظنهما إلا مملوكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ». (أنساب الأشراف ، ج ١ ص ٤٨٥) . ويدل هذا القول على أن الخدمة هي أساسا من أعمال الرقيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأعمال التي كان يقوم بها الخدم هي كل ما يتعلق بشؤون السادة ، ومن ذلك القيام بالأعمال المنزلية . ويشير بعض الشعراء إلى الإماء الطاهيات ، قال النابغة الذبياني يصف قدرا :

يظلُّ الإماءُ يبتدرن قديحَها ... كما ابتدرت كلب مياه قراقر (١)

ويبدو أن الطبخ لم يكن مقصورا على النساء ، بل كان يشارك فيه الرجال أيضا ، فيروى أن عبيد مولى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يطبخ له (٢) .

وكان الأرقاء يطحنون ويعجنون ويخبزون (٣) . وكان الاحتطاب عملا أساسيا من أعمال الرقيق ، قال قيس بن الخطيم :

أصابت سراة م الاغرّ سيوفُنا ... وغودر أولادُ الإماء الحواطب (٤)

وقال النابغة الذبياني :

تحيدُ عن أسْتَنٍ سودٍ أسافلُها ... مثل الإماء الغوادي تحمل الحُزَما (٥)

---

(١) الديوان ، ص١٧٣ . وانظر أمثلة أخرى حول عمل الإماء في الطبخ في شعر : عمرو ابن احمر الباهلي (شعره ، جمع وتحقيق د . حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د . ت ، ص ١٤٩) . وطرفة بن العبد (الديوان ، ص٤٦) . والزبير بن عبد المطلب (أمالي القالي ، ج ١ ص١١٦) .

(٢) انظر أسد الغابة ، ج ٥ ص٢٤٨ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ١ ص٣٤١ . وربيع الأبرار ، ج ٤ ص٣٢٨ . والإصابة ، ج ١ ص٧٥٠ . وقال أحدهم (الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ م ، ج ٤ ص٥٤٨) :

وليل كتنور الإماء سجرته ... وألقَيْن فيه الجَزْل حتّى تضرَّما

(٤) الديوان ، ص٩١ .

(٥) الديوان ، ص٧٦ . والاستن : نوع من الشجر . والحزم : حزم الحطب . وانظر أمثلة أخرى على عمل الرقيق في الاحتطاب في شعر : الحطيئة (الديوان ، ص٣١١) . وعمرو ابن معد يكرب (الديوان ، ص٣٧) . وتميم بن مقبل (الديوان ، ص٢٧٥) . وزيد الخيل (الديوان ، ص٨٠) . ورشيد بن الحارث (أسماء خيل العرب للغندجاني ، ص ٢٥٥) . وعَميرة بن جُعَل (المفضليات ، مفضلية ٦٤ ص٢٥٩) . وسَلَمة بن الخُرشُب (المفضليات ، مفضلية ٥ ص٣٧) . وانظر أيضا بعض الأخبار في هذا المجال في (صحيح مسلم « بشرح النووي » ، ج ٩ ص١٣٨) . وفي (وفاء الوفا ، ج ٢ ص١٠٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الخدم من الرجال والنساء يستقون من الآبار، فيروى أن رباحا الأسود غلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يستقي له من بئر غرس مرة، ومن بيوت السقيا مرة (١) .

وكان العرب يكلون لخدمهم العناية بأطفالهم وحضانتهم، وقد أدّى ذلك إلى نشوء ظاهرة في أسماء العرب، وهي انتسابهم في بعض الأحيان إلى الأرقاء الذين حضنوهم، فيقال إن هُذَيما الذى تنسب إليه قبيلة سعد بن هُذَيم عبد حبشي حضن سعدا (٢) . ويروى أيضا إن بُنانة أمة حضنت سعد بن لؤى، ولذلك يقال لهم بُنانة (٣) . وبَجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت أبناء أنمار (٤)، وجُشَم كان عبدا للؤى بن غالب فحضنه فغلب عليه اسمه (٥) . ومن المعروف أن التي حضنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة تدعى أمّ أيمن .

وكانت الإماء تقوم أحيانا بارضاع الأطفال، فقد أرضعت ثويبة جارية أبي لهب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرضعت أيضا حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وسَلَمة بن عبد الأسد المخزومي (٦) . وفي رواية عن عقبة بن الحارث، قال : تزوجت

---

(١) انظر أنساب الأشراف، ج ١ ص ٥٣٥ . ووفاء الوفا، ج ٢ ص ٩٧٨ . وانظر أمثلة أخرى في : أخبار مكة، ج ٢ ص ٥١ . والمحبّر، ص ١٩٨ . وشرح ديوان الهذليين، ج ١ ص ٣١١ .

(٢) انظر النقائض، ج ١ ص ٧٥ . والمعارف، ص ١٠٤ . والأغاني، ج ٨ ص ٢٩٠ . والروض الأنف، ج ٤ ص ٢٥٢ . والإصابة، ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) انظر أنساب الأشراف، ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٤) انظر الأغاني، ج ٢٢ ص ١ . والروض الأنف، ج ١ ص ٩٧ .

(٥) انظر الأغاني، ج ١ ص ٤١ . وانظر أمثلة أخرى في هذا المجال في : معجم الشعراء، ص ٢٧٠ . وتاريخ الطبري، ج ٢ ص ٢٦٨ . وجمهرة أنساب العرب، ص ١٩٢، ٢٤٣ . وخزانة الأدب، ج ١ ص ١٣٩ . وانظر أيضا ابن حبيب البغدادي، ألقاب الشعراء . ومن يعرف منهم بأمه (ضمن نوادر المخطوطات)، ج ٢ ص ٣٢٢ . وابن جنّي، أبا الفتح عثمان، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، مكتبة القدسي، دمشق، ١٣٤٨ هـ، ص ٦٣ .

(٦) انظر السيرة النبوية، ج ٣ ص ١٠٢ . وطبقات ابن سعد، ج ١ ص ١٠٨ . وأنساب الأشراف، ج ١ ص ٩٤ . وتاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٩ . والروض الأنف، ج ١ ص ١٨٦ . وامتاع الأسماع، ج ١ ص ٥ . والإصابة، ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنت أبي اهاب ، فجاءت أمة سوداء ، فقالت : اني أرضعتكما ... (١) .

وكان من عمل الرقيق في البادية ، بناء البيوت وهدمها عند الرحيل ، قال النابغة الذبياني :

إلّا أوارىّ لأيًا ما أبيّنها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
ردّت عليه أقاصيه ولبّده ... ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأَدِ (٢)

وقال النابغة الجعدىّ :

ونؤى كأخلاق النضيح تعاونت ... عليه القيان بالسخاخين يضرب (٣)

وقال زهير بن مَسعود الضَبّيّ :

فوقفت تسأل هامدا كالكُحْـ ... ـل بين جوانح حُلْسِ
ومثلما رفع القيان لبيته ... عضديه حول البيت بالفأسِ (٤)

وقال تميم بن مقبل :

فطامس النؤى عاف لا يُثلّمُهُ ... صرف الليالي ولم يُجْعَل بجبّار
قدُّ الوليدة في صَلْفاءَ رابيةٍ ... حول الوسائد منْ بيضاء معطار (٥)

واستخدم العرب الرقيق رسلا في بعض الأحيان ، فيروى أن ناشب بن بشامة العنبرى ، عندما كان أسيرا في بني سعد بن مالك ، بعث أحد الأرقاء رسولا إلى قومه (٦) .

---

(١) الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، سنن الدارمي ، دار احياء السنة النبوية ، د . ت ، ج ٢ ص١٥٧ . وأسد الغابة ، ج ٥ ص٦٢٧ .

(٢) الديوان ، ص٣ـ٤ .

(٣) شعره ، ص٦ .

(٤) قصائد جاهلية نادرة ، ص٨٧ .

(٥) الديوان ، ص١٠٢ . والمعنى : أن هذا النؤى حفرته أمة في أرض صلبة مرتفعة حول خباء امرأة جميلة معطار .

(٦) انظر النقائض ، ج ١ ص ٣٠٥ . وابن دريد ، أبا بكر محمد بن الحسن ، الملاحن ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ص٤ ـ ٥ . وأمالي القالي ، ج ١ ص٦ ـ ٧ . والمرتضى ، علي بن الحسين الموسوى ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، تحقيق محمد أبو الفضل

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدم العرب الرقيق أيضا في أعمال خاصة كالتجسس ومعرفة أخبار الآخرين (١) ، وغير ذلك من خدمات خاصة (٢) .

ومن الأعمال التي كان يقوم بها الرقيق الخدمة في الحانات ومجالس اللهو والشراب . وقد استخدم العرب كلا الجنسين من الرقيق في هذا المجال ، قال عدى ابن زيد :

ثم ناد واعلى الصّبح فجاءت قينة في يمينها ابريق
قدّمته على سُلاف كعين الدّ يك صفّى سُلافها الراووق
قتلته بسيب أبيض صافٍ طيّب زان مزجه التصفيق (٣)

وقال أيضا :

ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ م ، ج ١ ص١٦ . والسيوطي ، جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي البجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، د . ت ، ج ١ ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

(١) قال عنترة (الديوان ، ق ١ ص٢١٤) . :

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتحسسي أخبارها لي واعلمي

ويروى أن قيس بن زهير دسّ غلاما للربيع بن زياد ليتجسس عليه (انظر النقائض ، ج ١ ص٩٣ . والاغاني ، ج ١٧ ص٢٠٠) . وقد فعل ذلك أيضا حذيفة بن بدر (انظر النقائض ، ج ١ ص٨٩ ـ ٩٠ . والاغاني ، ج ١٧ ص١٩٦ . وأمثال العرب للمفضل الضبي ، ص٨٨) .

(٢) هناك أمثلة كثيرة لاستخدام الرقيق في شؤون خاصة ، انظر أمثلة على ذلك في : أنساب الأشراف ، ج ١ ص٣٣ . والنقائض ، ج ١ ص٢٠٧ . والاغاني ، ج ١٧ ص٣٨٠ ، وج ٢٠ ص٤ . والسيرة النبوية ، ج ٢ ص٣٤٣ ، وعند نشوان الحميرى ، أبي سعيد ، الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ، ١٩٤٨ م ، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٣) عدى بن زيد العبادى ، الديوان ، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٥ م ، ص٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متكئا تقرع أبوابه يَشْعى عليه العبد بالكوب (١)

ويصف الشعراء هؤلاء الخدم بأنهم منتطقون ، وبعضهم يضع النُّطَف في أذنيه ، قال الأعشى :

يَشْعى بها ذو زُجاجات له نُطَف مُقَلِّصٌ أسْفَلَ السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ (٢)

وقال سَلامَة بن جَندل :

فبتُّ كأنّ الكأس طال اعتيادها عليّ بصافٍ من رحيقٍ مروّقِ

كريح ذكيّ المسك بالليل ريحُه يصفق في ابريق جَعْدٍ منطّقِ (٣)

وقال عَبْدة بن الطّبيب :

يَشْعى به منصفٌ عجلان مُنطقٌ فوق الخُوان وفي الصّاع التوابيلُ (٤)

والإماء اللواتي كن يقمن بخدمة الشاربين ، يختلفن عن الإماء اللواتي كن يقمن بالأعمال المنزلية أو رعي الابل ، فهن هنا منعّمات يلبسن الحرير ، قال أبو دُواد :

بعد حيّ تغدو القيانُ عليهم في الدِّمَقْس القَسِّيّ بسراحٍ سبيّة (٥)

ويصف الأسود بن يَعْفُر تلك القيان في مجلس من مجالس الشراب تلك ، قال :

والبيضُ يرمين القلوبَ كأنّها أدحيُّ بين صَريمةٍ وجَمادِ

ينطقن معروفا وهن نواعمٌ بيضُ الوجوه رقيقةُ الأجْسادِ

ينطقن مخفوضَ الحديث تهامسا فبلغنَ ما حاولن غير تنادى (٦)

ومن الواضح أن عمل تلك الإماء الجميلات المنعّمات لم يكن يقتصر على إعداد الشراب والطعام وتقديمهما .

---

(١) الديوان ، ص٦٧ . وانظر أمثلة أخرى مشابهه في : شعر عبدة بن الطبيب ، ص ٨١ . والعمدة لابن رشيق ، ج ٢ ص٢٢٠ . وعند القالي ، اسماعيل بن القاسم ، الذيل والنوادر (ضمن كتاب ذيل الأمالي والنوادر) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦م ، ص١٩٠ .

(٢) الديوان ، ق ٦ ص١٠٩ .

(٣) الديوان ، ص١٥٦ ــ ١٥٧ . والجعد إشارة الى جعودة شعر الساقي .

(٤) شعره ، ص٨٢ . والمنصف : الخادم .

(٥) أبو دُواد الايادى ، شعره (ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لغرنباوم ، ترجمة د . احسان عباس وآخرين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ص ٣٤٨ .

(٦) الأسود بن يعفر ، الديوان ، صنعة نورى حمودى القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، د . ت ، ص٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا : أعمال اللهو

استخدمت الإماء في العصر الجاهلي في أعمال اللهو ، ومن أهم هذه الأعمال : البغاء ، والغناء .

البغاء

لم يقتصر عمل الإماء في العصر الجاهلي على اشباع رغبات أسيادهن الجنسية ، بل كنّ يشغلن في البغاء لتحقيق المكاسب مما يدفعه الرجال ثمنا للمتعة التي نالوها ، ومما ينتج عن هذه العلاقات من أطفال قد يفديهم آباؤهم ، أو يضافون إلى رقيق السيد .

ويتبين من القرآن الكريم (١) ، ومن الأحاديث النبوية التي تنهى عن كسب الأمة (٢) ، ومن مشكلات النسب التي كانت تنتج عن المساعاة (٣) ، مدى انتشار ظاهرة استخدام الإماء في البغاء في العصر الجاهلي .

وكان للبغايا دور ينصبن أمامها الرايات ليعرفن بها . وصرن يعرفن بصواحب أو ذوات الرايات . وفي حديث عائشة عن أنواع النكاح في الجاهلية : « ... ونكاح رابع ، يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة ، لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، وكن ينصبن على أبوابهن رايات ، فتكون علما »(٤) . ويروى أن قوله تعالى : « الزاني لا ينكح إلا زانية ... » (٥) نزل في بعض من استأذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نكاح نسوة معروفات بالزنا ، ومن أهل الشرك كن صواحب رايات يكرين

---

(١) قال تعالى : « ... ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ... » (سورة النور ، آية ٣٣) .

(٢) انظر صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٢٣ . وصحيح مسلم (بشرح النووي) ، ج ١٠ ص ٢٣٢ .
وسنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٧٣٠ . والدر المنثور ، ج ٦ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٣) انظر تيسير الوصول ، ج ٤ ص ١٧٤ . والمساعاة : استخدام الإماء في البغاء .

(٤) صحيح البخاري ، ج ٧ ص ٢٠ . وانظر أيضا المحبّر ، ص ٣٤٠ . ونشوة الطرب ، ج ١ ص ٨٠ ، وج ٢ ص ٧٩١ . والدر المنثور ، ج ٦ ص ١٢٧ .

(٥) سورة النور ، آية ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنفسهن (١) . ويورد الطبرى في تفسير الآية السابقة قول ابن عباس: « كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، يؤاجرون فيها فتياتهم ، وكانت بيوتا معلومة للزنا (٢) .

وأشارت المصادر إلى أسماء بعض البغايا ، ومنهن النابغة ، وقيل النبّاغة أم عمرو بن العاص ، وكانت بغيًا لعبد الله بن جُدْعان ، ثم عتقت (٣) . وسميّة أمّ زياد بن أبيه ، وكانت من البغايا في الطائف (٤) . وأوردت بعض المصادر أسماء إماء عبد الله بن أبيّ بن سلول اللواتي كان يستغلهن في البغاء (٦) . وأورد الطبرى أسماء تسع من صواحب الرايات (٧) .

وقد انتشرت عادة استغلال الإماء في البغاء في مختلف أنحاء الجزيرة (٨) . وكانت الأسواق الموسمية من الأماكن التي تقام فيها دور البغاء (٩) .

---

(١) انظر تفسير الطبرى (دار الفكر) ، ج ١٨ ص ٧٠ . والدر المنثور ، ج ٦ ص ١٢٧ .

(٢) تفسير الطبرى (دار الفكر) ، ج ١٨ ص ٧٢ . وانظر أيضا أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٢١ .

(٣) انظر العقد ، ج ١ ص ٣٥٧ . وربيع الأبرار ، ج ٣ ص ٥٤٨ . وشرح نهج البلاغة (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) ، ج ٦ ص ٢٨٤ .

(٤) انظر مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧ . والإصابة ، ج ٢ ص ٦٤٠ .

(٥) انظر سنن النسائي ، ج ٦ ص ٦٦ . وأسد الغابة ، ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٦) انظر صحيح مسلم (بشرح النووى) ، ج ١٨ ص ١٦٣ . وأسد الغابة ، ج ٥ ص ٥٤٦ . والإصابة ، ج ٧ ص ٥١٧ . ويقال إن عبد الله بن أبيّ هو الذى أُنزل فيه قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » (سورة النور ، آية ٣٣) ، انظر تفسير الطبرى (دار الفكر) ، ج ١٨ ص ١٣٢ ــ ١٣٣ . وأسباب النزول للواحدى ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ . ولباب النقول للسيوطي ، ص ١٥٩ . ومن أشهر الذين كانوا يساعدون بإمائهم عبد الله بن جُدْعان ، انظر ص ٣٣ من هذه الدراسة .

(٧) انظر تفسير الطبرى (دار الفكر) ، ج ١٨ ص ٧٣ .

(٨) في (الأغاني ، ج ٢٢ ص ١٣) ذكر لبغيّ لبني أسد .

(٩) أشرت سابقا إلى امتلاك قبيلة كلب قفا كثيرا في دومة الجندل ، وكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء ، انظر المحبّر ، ص ٢٦٤ . ويروى أن معاوية ــ أخا الخنساء الشاعرة ــ قابل بغيّا في سوق عكاظ ، انظر الأغاني ، ج ٥ ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتدل الإشارات التي وصلتنا أن غالبية البغايا كنّ من الإماء ، أو ممّن عتق منهن (١) . وتشير العلاقة اللغوية التي تربط بين البغيّ والأمة إلى صحة ذلك (٢) ، قال الأعشى :

والبغايا يَرْكُضْنَ أكْسِيَةَ الإضْـ ـرِيجِ والشَّرْعَبِيِّ ذا الأذْيَالِ (٣)

وقالت دختنوس بنت لَقيط بن زُرارة :

فخر البغي بحدج ربّـ ـتها إذا الناس استقلّوا (٤)

ويرى القالي أن معنى البغي في القولين السابقين الأمة (٥) . وقال الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُرِيّ :

يحبوك بالزَّغْف الفيوض على هيمانها والدُّهْمِ كالغُرْسِ
وبالسَّبيك الصُّفْر يُضعفها وبالبغايا البيض واللُّعْسِ (٦)

وفيما نسب إلى هند بنت عتبة حين قالت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند مبايعته بعد فتح مكة «وهل تزني الحرة» (٧) ، إشارة إلى أن البغاء كان خاصا بالإماء .

---

(١) فمثلا يظهر من أسماء البغايا اللواتي ذكرهن الطبري (انظر هامش رقم ٧ ص ٦٩ من هذه الدراسة) أنهن كنّ جميعا من الإماء .

(٢) فقد تستعمل كلمة البغي للدلالة على الأمة دون أن يقصد بذلك أنها تمارس البغاء ، وفي لسان العرب (بغي) : «ويقال للأمة بغي وإن لم يرد به الذم» . وانظر أيضا الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، (بغي) . وتاج العروس (بغي) ، وفيه : «والبغي الأمة فاجرة كانت أو غير فاجرة» .

(٣) الديوان ، ق ١ ص ٥٩ . ويركضن : يمشين في .. والاضريج : الحرير الأصفر . والشرعبي : الحرير الأحمر .

(٤) شعر بني تميم ، ص ٣٣٨ . والحدج : عودج أو محفة تركبها النساء .

(٥) انظر أمالي القالي ، ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٦) شرح اختيارات المفضّل ، ج ٢ ص ٦٢٩ . ويفسر التبريزي البغايا هنا بالولائد . وفي ديوان الحارث تروى الآنسات بدلا من البغايا ، انظر الحارث بن حلزة ، الديوان ، أعاد تحقيقه ، هاشم الطعان ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٩ م ، ص ١٨ .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ، ج ٨ ص ٩٠ . والإصابة ، ج ٨ ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتشرت القيان المغنيات في العصر الجاهلي في مختلف أنحاء الجزيرة ، وخاصة في المناطق المستقرة كـالمدينة والطائف واليمامة ودُومَـة الجَندل (٢) .

وكانت بعض القيان من أصل عربي ، وبعضهن الآخر من أصول غير عربيـة مما أثر في الموسيقى العربية (٣) .

ويمكن تقسيم القيان في العصر الجاهلي إلى فئتيـن ، الأولى خاصـــة بمالك واحد ، ومثال ذلك قيان ملوك المناذرة والغساسنة وأشراف العرب وسادتهـم . والثانية قيان المواخير والحانات (٤) .

وتشير المصادر إلى أسماء عدد كبير من القيان في ذلك العصر (٥) .

ويمكن القول في ختام هذا الفصل إن عمل الرقيق في العصر الجاهلـي ، في المجالات الانتاجية وغيرها ، كان ذا أهمية بالغة ، وأدى إلى تغيرات مهمـــة في حياة القوم ، ولكن يجدر القول إن عمل الرقيق هذا لم يصل إلى مداه في تكويـن علاقات انتاج عبودية شاملة ، ويرجع ذلك ـ في رأيي ـ إلى سبب رئيس ، وهو أن البيئـة الطبيعية للجزيرة لم تكن تسمح باستقرار معظـم الجماعات القبلية المترحلة ، بسبـب الجفاف وقلة الأراضي الخصبة ، مما حـدّ من زيادة قطعان الإبل والماشية إلى درجة كبيرة ، ولم يسمح باستقرار معظم تلك الجماعات .

---

(١) لقد فصل د . ناصر الدين الأسد القول في هذا الموضوع، انظر كتابه القيان والغناء في العصر الجاهلي ، وسأعرض هنا بعض الخطوط العامة محيلا القارئ إلى كتاب د . الأسد .

(٢) انظر القيان والغناء .. ص٤٧ وما بعدها . وانظر أشعارا في فخر العرب بامتلاك القيان ص ٩١ من هذه الدراسة .

(٣) القيان والغناء .. ص١٢٤ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه ، ص٦٦ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه ، ص٧٣ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صحيح أنّ هناك بعض المناطق سمحت لها الظروف بالاستقرار، مثل اليمامة والطائف وبعض المناطق الجنوبية، وساد في هذه المناطق نمط انتاج يقوم على استخدام رئيسي للرقيق في العمل، ولكنّ هذا لم يساعد في تفسيخ العلاقات القبلية بصورة قوية، لأن هذه العلاقات بقيت سائدة في أغلب أنحاء الجزيرة، ولم تستطع هذه المناطق المستقرة المحاطة بمجموعات قبلية مترحلة أن تبتعد كثيرا عن جو العلاقات القبلية، وكانت مستهدفة بشكل لا يعطي استقرارها أيّ شعور بالأمان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تسعف المصادر في تكوين صورة وافية عن حياة الرقيق في العصر الجاهلي ، ولكنّي سأحاول عرض بعض جوانب تلك الحياة مما استطعت جمعه من هذه المصادر .

معاملة الرقيق

كانت هناك عوامل كثيرة تؤثر في المعاملة التي يتلقاها الأرقاء ، كنوع العمل الذى يقومون به ، وكأخلاق سيدهم ، وما إلى ذلك . ومع ذلك ، يمكن القول إن الأرقّاء كانوا ـ في الغالب ـ يعاملون معاملة قاسية .

فكان ضرب الأرقاء شائعا في حياة القوم ، نلاحظ ذلك من الأحاديث النبوية الكثيرة التي تنهى عن ضرب الرقيق وتعذيبه (١) .

ولم يقف التعذيب عند حد الضرب ، بل كان يصل أحيانا إلى التشويه الجسدى كالجدع والخصاء (٢) . وصورة العبد المجدّع أو الأجذم صورة معروفة عندهم (٣) . ويروى أن رجلا وجد غلاما له مع جارية ، فجدع أنف الغلام وجبّه (٤) .

ويبدو أنّ الأرقاء كانوا يأكلون أسوأ الطعام ، قال مُرّة بن دودان العُقَيْلي :

---

(١) واجه الإسلام ذلك . وهناك أحاديث نبوية كثيرة توصي بحسن معاملة الرقيق وتنهى عن تعذيبه ، انظر أمثلة على ذلك في : صحيح مسلم (بشرح النووى) ، ج ١١ ص ١٣٠ . وسنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٩٠٠ . وسنن أبي داود ، ج ٥ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٢) نهى الإسلام عن هذا العمل ، ويروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « من قتل عبده ، قتلناه ، ومن جدعه جدعناه » ، (سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٨٨ . وسنن النسائي ، ج ٨ ص ٢١) .

(٣) يروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « ولو أُمّر عليكم عبد مجدع ، فاسمعوا وأطيعوا » ، (سنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٩٥٥) . وقال بِشْر بن عُلَيْق الطائي (قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٨٨) :

عهدتك عبدا لست من أصل معشر ... عن المجد مقطوع السّواعد أجذما

(٤) انظر سنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٨٩٤ . وطبقات ابن سعد ، ج ٧ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ . والإصابة ، ج ٢ ص ٥٦٩ ، وج ٣ ص ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بل عبيدٌ زادُنا الهبيد (١)

وكان منهم من يجيع أرقاءه (٢) .

وكانوا ينظرون إلى الرقيق نظرة احتقار ، فالعبد عندهم يمثّل الذلّ والضعف ودناءة الأخلاق ، ومن أمثالهم : « عبد صريخه أمة »(٣) ، و « الحر يعطي والعبد يألم قلبه » (٤) ، و « أعطي العبد كراعا فطلب ذراعا » (٥) . وقال أبو دُواد الإيادي :

والعبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه المقالة (٦)

وقال حسّان بن ثابت :

كنتم عبيدا لنا نُخَوِّلُكُم من جاءنا والعبيدُ تُضْطَعَفُ (٧)

ويشار هنا إلى أن نظرتهم إلى الأمة العربية السبيّة كانت أفضل من نظرتهم إلى غيرها من الإماء (٨) . ولهذا نجد أن بعض أبناء الإماء يزعمون أن

---

(١) الأغاني ، ج ١٢ ص١١ ، وج ٢١ ص١٨ . والهبيد : الحنظل .

(٢) انظر الاستيعاب ، ج ٢ ص٣٤٩ .

(٣) ابن سلّام ، أبو عبيد القاسم ، كتاب الأمثال ، تحقيق د . عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، وبيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٢٣ . ومجمع الأمثال ، ج ٢ ص٣٢٢ . ونشوة الطرب ، ج ٢ ص٧٢٥ . ويضرب هذا المثل للضعيف يستنجد بمن هو أضعف منه .

(٤) كتاب الأمثال لابن سلاّم ، ص٣٠٨ . ونشوة الطرب ، ج ٢ ص٧٥٠ .

(٥) كتاب الأمثال لابن سلاّم ، ص٢٨١ . وفصل المقال ، ص٢٩٧ . والواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ، الوسيط في الأمثال ، تحقيق عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٧٥م ، ص١١١ .

(٦) شعره ، (ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لجرنباوم) ، ص٣٢٣ . وينسبه الجاحظ إلى يزيد بن مُفرِّغ ، ويقول إنّه أخذه من قول الفلتان الفهمي :

والعبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة

انظر البيان والتبيين ، ج ٣ ص٣٦ ـ ٣٧ .

(٧) الديوان ، ج ١ ق ٢١٣ ص٣٨٧ . وانظر تفصيلات أخرى ص ٩٣ وما بعدها من هذه الدراسة .

(٨) انظر شرح نهج البلاغة (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) ، ج ١٢ ص٣٩ . وكذلك ما كتبه د . أحمد الحوفي في كتابه « المرأة في الشعر الجاهلي » ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، د . ت ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّهم سبيّة ،وليست أمة مستوردة أو مولّدة (١) .

الأهلية القانونية للرقيق

إنّ فقدان العبد لحريته يعني أنّ قيمته الإنسانية أصبحت ناقصة ،ولهذا نجد أنّ دية العبد مثلا كانت عند العرب في العصر الجاهلي أقلّ من دية الحرّ، قال عمرو بن امرئ القيس :

لا يُرْفَعُ العَبْدُ فوق سُنَّتِهِ والحقُّ يُوفى به ويُعْتَرفُ (٢)

ويستشف من بعض الأحكام التي أكدها الإسلام ،أنّ الأرقاء كانوا لا يستطيعون عمل شيء مهم ،أو يتخذون قرارا يخصّهم دون اذن من السيد وموافقته . فهم مثلا لا يستطيعون الزواج (٣) ،ولا الاشتراك في القتال (٤) إلّا بموافقة سادتهم . وقد راعى الإسلام عدم اكتمال أهلية الرقيق ،ولذلك جاءت بعض الحدود التي تطبق عليهم أخفّ من تلك التي تطبق على الأحرار ،ومن ذلك الحدود في شرب الخمر والزنا (٥) . ولم يلزمهم حضور صلاة الجمعة كما ألزمها الأحرار (٦) .

ديانة الرقيق

يظهر من الإشارات الواردة عن الرقيق في العصر الجاهلي ،أنّ العرب

---

(١) من هؤلاء أولاد رَمْيلة ،وهي أم الشاعر الأشْهَب بن رُمَيلة ،انظر فرحة الأديب ،ص ١٩٠ . وخزانة الأدب ،ج ٦ ص ٣٠ .

(٢) جمهرة أشعار العرب ،ج ٢ ص ٦٧٤ . وانظر أيضا فرحة الأديب ،ص ٣٦٧ . وانظر الشعر وحكايته في : الأغاني ،ج ٣ ص ١٩ وما بعدها . والكامل في التاريخ ،ج ١ ص ٦٥٨ . وخزانة الأدب ،ج ٤ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩ . وانظر حول دية العبد بعض الأحاديث النبوية في : سنن النسائي ،ج ٨ ص ٤٦ .وتيسير الوصول ،ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) انظر تيسير الوصول ،ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٤) انظر مغازي الواقدي ،ج ٣ ص ٩٩٦ .

(٥) انظر تيسير الوصول ،ج ٢ ص ٤ ، ١٨ .

(٦) انظر سنن أبي داود ،ج ١ ص ٦٤٤ . ومغازي الواقدي ،ج ١ ص ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانوا ـ في الغالب لا يتدخلون في دين رقيقهم وعبادته (١) . ونجد في أخبار الأرقاء أن كثيرا منهم كان نصرانيا أو يهوديا . وفي تفسير قوله تعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (٢) ، يذكر عدد من أسماء الأرقاء النصارى الذين كانوا يقرأون كتابهم ويتعبدون دون مضايقة من سادتهم (٣) . وقيل إن عَدّاس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة كان عنده علم الكتاب (٤) . وكان لعثمان بن عبد الله الثقفي غلام نصراني قتل معه في حنين (٥) . وفي بعض المصادر إشارة إلى بعض الأرقاء من اليهود (٦) .

ويقود الحديث عن حرية التعبد التي مارسها الرقيق في العصر الجاهلي إلى الافتراض بأن الرقيق كانوا من الوسائل المهمّة التي تعرف العرب من خلالها إلى ديانات الأمم الأخرى . وبشكل عام يمكن إضافة الرقيق إلى الطرق الأخرى التي ذكرها أحمد أمين ورأى أنه تم من خلالها تعرف العرب في العصر الجاهلي إلى حضارات الأمم المجاورة (٧) . ويمكن الافتراض أن الأرقاء كان لهم دورهم في تأثر اللغة

---

(١) اختلف هذا الأمر حين جاء الإسلام ، فالإسلام لم يقف عند حدود العبادات ، بل أراد إحداث تغيير شامل في حياة القوم ، رأى الكثير منهم أنه يتعارض مع مصالحهم ، ومن هنا جاءت المعاملة القاسية التي لقيها الأرقاء المسلمون في أول الاسلام .

(٢) سورة النحل ، آية ١٠٣ .

(٣) انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٣ . ومغازي الواقدي ، ج ١ ص ٧٤ . وتفسير القرطبي ، ج ١٠ ص ١٧٨ . والإصابة ، ج ٤ ص ٤١٩ ، وج ٧ ص ٣٢٩ . والدر المنثور ، ج ٥ ص ١٦٨ .

(٤) انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ١١١ . وتاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٦ . والروض الأنف ، ج ١ ص ٢١٥ .

(٥) انظر تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٧٨ . والكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) انظر مغازي الواقدي ، ج ٢ ص ٨٦٦ . والإصابة ، ج ١ ص ٤٥٢ . ويشار هنا إلى أن كثيرا من الأرقاء كانوا على دين قبيلتهم ، وكانوا يشاركون في عبادات أهلها ، وفي رواية لابن الكلبي « كانت عكّ ، إذا خرجوا حجاجا قدّموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم ، فكانا أمام ركبهم ، يقولان : نحن غرابا عكّ » (الأصنام ، ص ٧) .

(٧) ذكر أحمد أمين ثلاث طرق تعرف العرب من خلالها على حضارات الامم الأخرى ، وهي : أ ـ التجارة ب ـ انشاء الفدن العربية المتاخمة للفرس والروم ج ـ البعثات اليهودية والنصرانية إلى جزيرة العرب ، انظر فجر الاسلام ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية باللغات الأخرى . وكذلك نقل الرقيق الأجنبي بعض العادات الاجتماعية من بلادهم إلى الجزيرة ، كما نقلوا بعض جوانب الحضارة في البناء والصناعات وما إلى ذلك (١) .

امتلاك الرقيق المال

سمح العرب في العصر الجاهلي لرقيقهم بامتلاك المال (٢) . ومع أن حدود تصرف العبد بماله كانت ضيقة ، وتقع في مجال نفقاته ونفقات أسرته الأساسية (٣) ، فإن سماحهم للرقيق بامتلاك المال قد جاء - فيما يبدو - ليساعد في التغلب على أهم مشكلة تواجه الاستثمار العبودي عادة ، وهي عدم وجود حافز يحفز الأرقاء للعمل الجاد .

وكان الأرقاء الذين يتقنون بعض المهن والحرف أكثر حظا في امتلاك المال ،

---

(١) أشرت سابقا إلى أن معظم العاملين في الصناعات كانوا من الأرقاء المستوردين ، وخاصة البيض منهم ، انظر الحديث عن عمل الرقيق في الصناعات في هذه الدراسة .

(٢) يروى أن عبادة بن الصامت قال : قضى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ... وأن مال المملوك لمن باعه ، إلا أن يشترط المبتاع ... تيسير الوصول ، ج ١ ص ٨٠ ، وقال : أخرجه الستة .

(٣) انظر الأموال ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد كان بعضهم يعمل في هذه المهن مقابل ضريبة يفرضها عليهم السيد ويحددها بنفسه (١) . ويروى أن الرسول ـ على الله عليه وسلم ـ أمر أهل واحد من الأرقاء الحجّامين بأن يضعوا عنه من خراجه (٢) . وكان بعض السادة يتركون أرقاءهم يعملون بعض الأيام لصالح الأرقاء أنفسهم (٣) .

ويروى أن بعض الأرقاء استطاع أن يجمع مالا كثيرا ، ومن هؤلاء نِسطاس ، وكان عبدا لأبي بكر الصدّيق ، ويقال إنه امتلك عشرة آلاف دينار وغلمانا وجواري ومواشي (٤) .

منافذ الخلاص

يتوق الأرقاء عادة للتحرر من عبوديتهم ، ويظهر ـ في الغالب ـ طريقان للخلاص ، طريق التمرد (الأبَق) ، والطريق السلمي (العتق والمكاتبة ..) . والطريق الثاني ـ في رأيي ـ من الوسائل التي يتم بها الحفاظ على النظام العبودي ، فبايهام الأرقاء أن في امكانهم الخلاص عبر هذا الطريق ، يتم تقليل الرغبة لديهم في التمرد الذي لا تضمن عواقبه ، ويتم في النهاية تخليص القليل من الأرقاء (لا يكون هذا

---

(١) تسمى هذه الضريبة خراجا ، انظر الأموال ، ص١٠٤ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، ج ٣ ص١٣٢ . وصحيح مسلم (بشرح النووي) ، ج ٩ ص٢٤٢ـ ٢٤٣ . والأموال ، ص١٠٥ . وطبقات ابن سعد ، ج ١ ص٤٤٤ . وأنساب الأشراف ، ج ١ص٥٠٦ . وتخريج الدلالات السمعية .. ، ص٧٥٦ .

(٣) روى عن سلمان الفارسي قوله : « كنت عبدا لامرأة ، فسألت سيدتي أن تهب لي يوما ، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من التمر ... » . الروض الأنف ، ج ١ ص٢٥١ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ، ج ٢٠ ص٨٩ . وقد يكون في هذه الرواية مبالغة ، ولكنها تشير إلى امتلاك بعض الأرقاء مالا كثيرا . ويشار هنا إلى أن السيد هو المالك الحقيقي لمال عبده ، فالعبد وماله لسيده .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاص كاملا ، فالعبد بعد تحريره يبقى مولى لسيده) بهذه الطريقة ، مقابل بقاء غالبيتهم في الرق .

وطريقا التحرر هذان عرفا في العصر الجاهلي ، وسأحاول فيما يلي الحديث عنهما ، وعن رابطة الولاء بين العبد المعتق وسيده .

الأبـــــق

انتشرت ظاهرة هرب الرقيق في العصر الجاهلي (١) ، كما هي الحال في معظم مجتمعات الرق (٢) . وكان الأرقاء ينتظرون أية فرصة تسح لهم بالهرب ، فيروى أن عبدا لأبي هريرة استغل فرصة سفره مع سيده للقاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهرب وهما في الطريق (٢) . وكان بعض الأرقاء يحاولون استغلال النزاعات بين القبائل العربية ، فيهربون من قبيلتهم إلى القبيلة المعادية ، ويخبرونها أسرار القوم طمعا في التحرر ، ويروى أن عبدا لبني بكر هرب فأتى بلاد تميم ، وأخبرهم أن قومه نزلوا في «مُبايِض»(٣) . وساعد غلام لأبي زبيد الطائي قبيلة

---

(١) يستدل على ذلك من الأحاديث النبوية التي تحذر العبد من الإباق ، فيروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « أيما عبد أبق من مواليه ، فقد كفر حتى يرجع اليهم » . صحيح مسلم (بشرح النووى) ، ج ٤ ص٥٧ . وانظر أحاديث نبوية أخرى في هذا المجال في المصدر نفسه ، ج ٢ ص٥٨ . وفي : سنن النسائي ، ج ٧ ص١٢٠ . وسنن أبي داود ، ج ٤ ص٥٢٨ . وانظر أمثلة على ظاهرة الإباق في : سنن ابن ماجة ، ج ٢ ص ٩٥ . والخراج لأبي يوسف ، ص٢٠٠ . والمنمّق ، ص٣١٥ . وأخبار مكة ، ج ٢ ص ٣٠١ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٧٥ . والأغاني ، ج ٤ ص٣٠٥ ، وج ٢٢ ص١٠ ـ ١٢ . والإصابة ، ج ٦ ص٤١٤ .

(٢) كانت هذه الظاهرة واسعة الإنتشار في المجتمع الروماني على سبيل المثال ، وقد وضع المشرع الروماني عقوبات قاسية جدا على العبد الآبق وعلى من يؤويه أو يساعده ، انظر فؤاد أفرام البستاني ، دائرة المعارف (الأبق) .

(٣) انظر صحيح البخارى ، ج ٥ ص٢٢٠ ـ ٢٢١ . وطبقات ابن سعد ، ج ٤ ص٣٢٦ .

(٤) انظر الأنوار ومحاسن الأشعار ، ج ٢ ص٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلهراء فيما جاءت إليه من غزو القوم الذين كان فيهم (١) .

وقد يعمل عدد من الأرقاء على الهرب معا ، فيروى أن زوج الفُرَيْعة بنت مالك بن سنان خرج في طلب أعبد له أبقوا ، فلما لحقهم قتلوه (٢) .

وكان بعض الأرقاء يلجأون إلى قتل سادتهم ثم الهرب بعد ذلك (٣) .

وأهم مشكلة كانت تواجه الآبقين ، هي المكان الذى سيؤويهم ، ويظهر من رواية مهمّة لابن سعد أنّ كثيرا من الأرقاء الآبقين كانوا يلتحقون بالصعاليك ، فيروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب إلى جمّاع كانوا في جبل تهامة ، قد غصبوا المارة ، وكانوا من كنانة ومُزينة والحَكم والقارة ، ومن اتبعهم من العبيد « ... أنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حرّ ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يُردّ إليها ... » (٤) .

العتق

كان العرب في العصر الجاهلي يعتقون بعض

---

(١) انظر الشعر والشعراء ، ص١٨٥ . والأغاني ، ج١٢ ص١٣٥ .

(٢) انظر سنن الدارمي ، ج ٢ ص١٦٨ . وسنن أبي داود ، ج ٢ ص٧٢٤ . وتفسير الطبرى (شاكر) ، ج ٥ ص٢٥٩ . والإصابة ، ج ٨ ص٧٤ .

(٣) ويروى أن غلاما وجارية قتلا سيدتهما ثم هربا ، انظر طبقات ابن سعد ، ج ١ ص٤٥٧ . وأسد الغابة ، ج ٥ ص٦٢٦ . ويبدو أن قتل العبد سيده كان شائعا عندهم ، قال دويلة بن أبي دويلة ، الذى كان ملكا على « ربيعة بن نزار » :

اذا قتل العبد المجدّع ربّه فليس لنا منه سوى قتلة العبد

(الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير (الكتاب العاشر) ، تحقيق محب الدين الخطيب ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م ، ص ٩٦) . ويروى أن أبا جهل قال لعبد الله بن مسعود حين أراد عبد الله قتله في معركة بدر : « لست بأول عبد قتل سيده » . (مغازى الواقدى ، ج ١ ص٩٠ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص٢٩٩) .

(٤) طبقات ابن سعد ، ج ١ ص٢٧٨ . ويشار إلى أنّ جبال السّراة ضمت أعدادا كبيرة من الصعاليك ، انظر الأصمعي ، أبا سعيد عبد الملك بن قريب ، فحولة الشعراء ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، ص٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرقائهم (١) . ومن الأسباب المباشرة التي كانت وراء عتقهم للرقيق ، أسباب دينية وأخلاقية ، فيروى أن حكيم بن حزام ، قال للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعبدا يا رسول الله ، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية ، وصدقة وعتاقة وصلة رحم .. ؟ (٢) . ويروى أنه كان من سننهم في الجاهلية أن كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك على من علاها ، ولا يجمعون بين عز علوّها وذلّة الملك (٣) .

وقد يوعد العبد بالعتق إذا قام بمهمّة خطرة لسيده ، فقد كان على وحشيّ أن يقتل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو قريبا له حتى ينال حريته (٤) . ويروى أنّ جماعة من قبيلة فَهْم حاولوا اقناع عبد لهم بمواجهة عمرو ذى الكَلْب ، الذى كان مختبئا في مغارة ، مقابل حريته (٥) .

وقد يعتق السيد بعض أرقائه إذا شعر بالسعادة لخبر أتوا به أو لفعل قاموا به ، فيروى أنّ العباس بن عبد المطلب ، عندما علم بفتح المسلمين خيبر ، أعتق غلاما له يكنى أبا زُبَيْنة (٦) . ويخاطب حاتم الطائي غلامه بقوله :

اوقد ، فإن الليل ليلٌ قَرُّ

---

(١) هناك إشارات كثيرة ترد في هذا المجال ، منها : أن أبا لهب أعتق ثويبة ، وهي الأمة التي أرضعت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، انظر تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٩ . والروض الأنف ، ج ٣ ص ٦٧ . وأعتق عبد الله بن جُدْعان صهيبا الرومي ، انظر المعارف ، ص ٢٦٤ . والعقد ، ج ٣ ص ٣١٠ . وأعتق أبو حذيفة بن المغيرة عمّار بن ياسر ، انظر أنساب الأشراف ، ج ١ ص ١٥٧ . وأعتقت أمّ أنمار بنت سباع الخزاعي خبّاب بن الأرتّ ، انظر الروض الأنف ، ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) جمهرة نسب قريش ، ج ١ ص ٣٦٢ . وفي رواية أخرى أن حكيم بن حزام وقف مئة وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقة الفضة قد نقش عليها (عتقاء الله عن حكيم بن حزام ...) ، المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٥٦ .

(٣) الحيوان للجاحظ ، ج ٣ ص ١٤٠ . وانظر أيضا ثمار القلوب ، ص ١٨ . وربيع الأبرار ، ج ٢ ص ٣٠١ .

(٤) انظر مغازى الواقدى ، ج ١ ص ٢٨٥ . وأنساب الأشراف ، ج ١ ص ٢٨٦ .

(٥) انظر ابن حبيب البغدادى ، أسماء المغتالين في الجاهلية والاسلام (ضمن نوادر المخطوطات) ، ج ٢ ص ٢٤١ . والأغاني ، ج ٢٢ ص ٣٥٢ .

(٦) انظر مغازى الواقدى ، ج ٢ ص ٧٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والربيع يا موقِد ربع صِرُّ
عسى يرى نارك من يمرُّ
ان جلبت ضيفا فأنت حرُّ (١)

ويروى أن بني عجلان سمّوا بهذا الاسم ،لأن جدهم عجّل القرى لقوم من طيء نزلوا به،،فبعث إليهم بقراهم عبدا له ،وقال له اعجل عليهم ،ففعل العبد ،فأعتقه لعجلته ،فقال القوم : ما ينبغي أن يسمّى إلا العجلان ،،(٢) . وأعتق قيس بن زهير أمة له لأنها تجسست على الربيع بن زياد وأتته بخبر رآه نافعا (٣) .

المكاتبة

كانت مكاتبة الأرقاء معروفة في العصر الجاهلي (٤) ،وقد حض الإسلام على ذلك ،قال تعالى : ،، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم،فكاتبوهم ،، (٥) .

وكانت المكاتبة تتم على مقدار من المال يؤديه المسترق منجما (٦) . وقد تكون المكاتبة على انجاز عمل معين إضافة للمال ،فيروى أن سلمان الفارسي كاتب على إحياء ثلاثمئة نخلة بالإضافة إلى قدر من المال (٧) .

---

(١) الديوان ،ص٢٧١ .
(٢) الحصرى ،أبو اسحاق ابراهيم بن علي ،زهر الآداب وثمر الألباب ، دار الجيل ،بيروت ،ط ٤ ،ج ١ ص ٥٤ . وخزانة الأدب ،ج ١ ص٢٣ .
(٣) انظر الأغاني ،ج ٣ ص٢٠١ . وخزانة الأدب ،ج ٨ ص٣٦٩ .
(٤) انظر د . ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ،ص ٧٤ . والمفصّل ،ج ٧ ص٤٦٦ .
(٥) سورة النور ،آية ٣٣ .
(٦) انظر المفصّل ،ج ٧ ص٤٦٦ .
(٧) انظر السيرة النبوية ،ج ١ ص٣٣٤ـ ٣٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــــــولاء

لا تنتهي علاقة العبد بسيده بعد العتق ، بل تصبح هناك رابطـــــة جديدة بينهما هي رابطة الولاء (١) . وهذه الرابطـة يفيد منها الطرفـان ، فالعبـد المعتـق ليس له قبيلـة تحميه ، وهـو بحاجـة ـ بعد أن أصبح حرا ـ إلى قوم ينتمي إليهم في ذلك المجتمع القبلي ، قال عمرو بن هُمَيْـل :

ويمنعك الولاء وأنـت عبـدٌ وامنع حيث كنـت إذا لقيـت (٢)

وفي مقابل ذلك يقدم المحررون خدمات لسادتهم السابقين ، ويكون لهؤلاء السـادة سلطة من نوع ما عليهم (٣) ، وهم يرثونهم . وتبرز أهمية رابطة الولاء بالنسبـة للسادة في أنهم كانوا يبيعونه ، وقد نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عـن ذلك (٤) . وفي حكاية عتق بريرة مولاة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، إشارة إلى أهمية الولاء عندهم ، فقد أصرّ سادة بريرة على حقّهم في الولاء بعد عتـق عائشـة لها ، وقد حسم الرسول الخلاف بين عائشـة وسـادة بريرة ، فقرر أن الولاء لمن أعتـق (٥) . وكان الولاء يورث كما يورث المال (٦) .

وقـد عرف العرب ظاهرة تبنّي الأرقاء المعتقين ، فقد تبنى الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيد بن حارثة (٧) ، وتبنى الخطّاب بن نفيـل واقد بـن

---

(١) عرفت هذه الظاهرة في مجتمعات عبودية أخرى مثل المجتمع الروماني ، انظر عبد السلام الترمانيني ، الرق : ماضيه وحاضره ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٩م ، ص٨٣ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ، ج ٢ ص٨٢٢ .

(٣) يروى أن أبا قحافة قال لابنه أبي بكر الصدّيق : « يا بني ، أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلـو أنك إذ فعلـت مـا فعلـت ، أعتقت رجالا يمنعونك ، ويقومون دونك » . السيـرة النبوية ، ج ١ ص٣٤١ . وانظر أيضا نهاية الأرب للنويرى ، ج ١٦ ص٢٣٠ . وامتـاع الأسماع ، ج ١ ص١٩ .

(٤) انظر تيسير الوصول ، ج ٢ ص٥٩ .

(٥) انظر المصدر نفسه ج ٤ ص٩ .

(٦) انظر المصدر نفسه ج ٤ ص٩ .

(٧) انظـر تفسير قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلمـوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبدالله (١) . وتبنّى أبو حذيفة سالما الذى أعتقته ثُبَيْتَة بنت يَعار سائبة (٢) .

آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ... » . (سورة الأحزاب ، آية ٥) في تفسير الطبرى (دار الفكر) ، ج ٢١ ص ١٢٠ . ويبدو من هذه الآية أن ظاهرة تبني الأرقاء كانت منتشرة في العصر الجاهلي .

(١) انظر السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٧٨ .

(٢) انظر الروض الأنف ، ج ٢ ص ٢٢٨ . وكان بعضهم يعتق رقيقه لأسباب دينية ـ سائبة لا ينتفع بولائه ، انظر تفسير الطبرى (شاكر) ، ج ١١ ص ١٢٣ . ونهاية الأرب للنويرى ، ج ٣ ص ١١٧ . ويجوز للعبد المعتق سائبة أن يوالي من يشاء ، وقد والى سالم هذا أبا حذيفة قبل أن يتبناه ، انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٣٣٥ . وطبقات ابن سعد ، ج ٣ ص ٨٦ . والمعارف ، ص ٢٧٣ . والإصابة ، ج ٣ ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر تتبع الإشارات الواردة عن الرقيق في شعر الجاهليين الأحـــرار، أن مواقف هؤلاء الشعراء من الرقـيق كانت ـ في الغالب ـ بعيدة عن النظرة الانسانية المتعاطفة . ولم أجد في هذا المجال سوى بيتين للسُّلـيك بن السُّلكة (١) ، يتألـم فيهما لرؤية الإماء يلقين الضيم والهوان ، وهو لا يملك مالا لتخليصهن :

أشاب الرأس أنّي كلّ يـوم ٍ أرى لي خالةً وسْـط الرّحـال
يشقّ عليّ أن يَلْقَين ضيمـا ً ويعجزُ عن تَخَلُّصِهنّ مالـي (٢)

واحساس السّليك بالاضطهاد ، إلى جانب تحذره من أمـة يفسّر موقفه هذا . ولا نجد مثل هذا الموقف عند خُفاف بن نُدبة ، وهو شاعر من أبناء الإماء ، لكنّه لم يكن يحس بالاضطهاد ، فقد كان فارسا من فرسان قومه وسادتهم (٣) ، ولا يظهر في شعره أثر لتحذره من أمـة سوداء (٤) .

---

(١) السّليك واحد من أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم ورجيلائهم ، وهو منسوب إلى أمّـه السُّلَكة ، وكانت أمة سوداء ، وكان السُّليك يحسّ بالاضطهاد ، فيروى عنه قوله : « اللهـم إني لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ، ولو كنت امرأة لكنت أمـة » . انظر ترجمته في (الشعـر والشعراء ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١) . ولعلّ شعور السُّليك بالاضطهاد هو الذى دفعـه للتصعلك ، وبسبب ذلك كان لونه الأسود مشكلة من مشكلاته :

هزئت أُمامة أنْ رأت بي رقّـةً وفما بـه فَقَـمٌ وجلدٌ أَسْـود

(شعر بني تميم ، ص ٦٧) .

(٢) شعر بني تميم ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٣) انظر الأغاني ، ج ١٨ ص ٧٤ .

(٤) يشير د . نورى القيسي أيضا إلى مثل ذلك ، انظر خُفاف بن نُدبة ، شعره ، جمعه وحققـه د . نورى حمودى القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧م ، ص ٨ . وأشرت سابقـا إلى عدد من المصادر التي ذكرت أن نُدبة أمّ خفاف ، كانت أمـة سوداء ، وأنّ خفافـا كان أسود اللون ، انظر ص ٣٣ من هذه الدراسة ، وقال سَنيح بن رياح الزنجي يذكـر فضل السود :

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الحطيئة فقد عانى من مشكلة كانت من نتاج مجتمع الرق في ذلك العصر. إذ كانت أمّه (الضرّاء) أمة لا تعرف ممن حملت به، ولعلّها كانت تخفي ذلك:

تقول لي الضراء لستَ لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيف شرْكُ أولئكا
وأنت امرؤٌ تبغي أبا قد ضللته هَبِلْتَ ألمّا تستفق من ضلالكا (١)

وقد أدّى ذلك إلى شعور الحطيئة بالمرارة التي قد تفسر نزوعه الحاد إلى الهجاء بطريقة بدت غير مألوفة في عصره[٢]، فقد هجا أمّه (٣)، و قومه، و ممّا قاله فيهم:

لهم نَفَرٌ مثل الدّيوس ونسوة مماجيرُ مثل الآتُن النّعِرات (٤)

ومما قاله لاحد أقربائه من بني بجاد، وهو الحُصَيْن بن لُقمان العبسي:

وأمُّك حمراءُ زَوْنِيّةٌ لنقل الحشيش جُراز الحطبْ
نَبيتُ الغُواةِ على نَفْرِها كنَبْتِ الثّعالب جُحْرَ السَّرَبْ (٥)

ولم يكن من المألوف أن يهجو الشاعر ضيفه كما فعل الحطيئة:

وسلّم مرتين فقلتُ مهلا كفتك المرةُ الاولى السّلاما
ونقنق بطنُه ودعا رؤاسا لما قد نال من شَبِعٍ ونامَا (٦)

كان ابن نُدبةَ فيكم من نجلنا وخُفاقٌ المُتحمّل الاثقالا

(أبو تمام، حبيب بن أوس، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٢ م، ص٨٨).

(١) ديوان الحطيئة، ص٣٣١.

(٢) راجع دراستي ايليا حاوي: أ ـ الحطيئة في سيرته ونفسيته وشعره، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠ م، ص٢٣ ـ ٧٩. ب ـ فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص١١٩ ـ ١٨٠.

(٣) انظر ديوانه، ص١٠٠، ١٠١، ١٠٢.

(٤) الديوان، ص١١٣. ومماجير: أصله في الضأن، يقال نعجة ممجر إذا عظم ولدها في بطنها وكانت مهزولة، ويروى السكّري (مماجين).

(٥) الديوان، ص٣١١ ـ ٣١٢. وزونية: قصيرة دميمة، ويروى دُومِيّة، نسبها إلى دُومَة الجندل. والنفر: الفرح.

(٦) الديوان، ص٣١٥. ورؤاس: من بني كلاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن غالبية الشعراء الأحرار، وموقفهم من الرقيق، فيمكن الحديث عن أربع رؤى ظهرت فيها هذه المواقف .

أولا : الرقيق سلعة

كان الشاعر الجاهلي يشير إلى الرقيق باعتباره سلعة قيّمة ، قال عدي ابن وداع :

إن كنتَ تَسْتَأسِنَ لا بدَّ قالـ ـمعروفُ منّا أختَنا فاسألي
العبدَ أو بكرتَنا الحرّةَ الزّهْراءَ أو مُنْصِفَةَ النُّزَّلِ (١)

وكان امتلاك الرقيق من دلالات الثروة ، فما ينسب الى نُبَيْه بن الحجّاج :

فَلعلّي إنْ يَكثُرِ المالُ عندي وتُخلّى من المغارم ظَهْري
وتَرى أعبدًا لنا وأواقٍ ومناصيفُ من ولائد عَشْرِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

ولبيبٌ أيّدٌ ذو حيلةٍ مُحْكَمِ المِرّةِ مأمون العُقَدْ
حصّه الدّهْرُ وغطّى حَزمَه وانتضاه من عبيد وسَبَدْ (٣)

وقال ساعِدة بن جُؤيّة يرثي ابنه :

ولو سامني الماني مكان حياته أناعيم دَهْرٍ من عباد وجامِلِ (٤)

---

(١) قصائد جاهلية نادرة ، ص٥٢ . والبكرة : الفتية من الإبل . والمنصفة : الخادمة .

(٢) نسب قريش ، ص٤٠٤ . وانظر البيتين باختلاف في : المنمق ، ص٥٣ . والاغاني ، ج ١٧ ص٢٨١ . ونسبا أيضا إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، انظر البيان والتبيين ، ج ١ ص٢٣٥ . وشرح شواهد المغني ، ج ٢ ص٧٨٧ . ونسبهما آخرون الى زيد بن عمرو بن نُفَيل ، انظر عيون الأخبار ، ج ١ ص٣٤٨ . وخزانة الأدب ، ج ٦ ص٤١٠ .

(٣) امرؤ القيس بن حجر ، الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ق ٤٧ ص٢١٩ . وأيّد : شديد . والمِرّة : شدّة الفتل . والسَبَد : الشعر ، وأراد به الماعز .

(٤) شرح أشعار الهذليين ، ج ٣ ص١١٨١ . والماني : القادر ، وأراد هنا الدهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال حسّان بن ثابت يذكر ما تركه لابنه عبد الرحمن :

أبلغ عبيدا بأنّي قد تركتُ له ... من خير ما يترك الآباء للولدِ
الدارُ واسطةٌ والنّخلُ شارعةٌ ... والبيض يرفلن في القَسّيّ كالبَردِ (١)

وكان امتلاك الرقيق ، والقيان خاصة مما فخر به الشاعر الجاهلي ، قال عمرو بن الإطنابة :

إنّ فينا القيان يعزفن بالضر ... ب لفتياننا وعيشا رخيّا (٢)

وقال سَلامة بن جَنْدل :

لنا خباءٌ وراووقٌ ومُسمِعةٌ ... لدى حِضاجٍ بِجَون القارِ مَربوبِ (٣)

وقال بُرْج بن مُسْهِر الطائيّ :

وفينا مُسمعاتٌ عند شَرْبٍ ... وغزلان يعدّ لها الحميمُ (٤)

وقال المُعقّر البارقيّ :

فباتوا لنا ضَيْفا وبتنا بنعمةٍ ... لنا مُسمعاتٌ بالدّفوف وزامِرُ (٥)

وكان إهداء الرقيق من المفاخر التي ذكرها الشعراء لممدوحيهم ، قال الأعشى :

جئتُه يوما فأدنى مجلسي ... وحباني بلجوج في السَنَنْ
وثمانين عشارٌ كلُّها ... آركات في بريم وحَضَنْ
وغلامٍ قائمٍ ذي عَدْوةٍ ... وذَلولٍ جَسْرةٍ مثل الفَدَنْ (٦)

---

(١) الديوان ، ج ١ ق ١٣٨ ص ٢٨٤ .

(٢) عيون الأخبار ، ج ١ ص ٢٨٠ . وانظر الأغاني ، ج ١١ ص ١٢١ . ونشوة الطرب ، ج ٢ ص ٥٨٨ .

(٣) الديوان ، ص ٢٣٢ . والحضاج : الزق الضخم . ومربوب : مطلي .

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ، ج ٣ ص ٢٤١ .

(٥) العقد ، ج ٦ ص ١٣ . وانظر البيت باختلاف في : الأغاني ، ج ١١ ص ١٦١ . وقصائد جاهلية نادرة ، ص ١١٠ .

(٦) الديوان ، ق ٧٨ ص ٤٠٩ . ولجوج : صفة للفرس أو الناقة . والسنن : سنن الطريق . وآركات : أي ترعى شجر الأراك . وبريم وحضن : موضعان . والعدوة : المَرة من العدو . والفدن : القصر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال النابغة الذبيانـــي :

الواهبُ المئة الابْكـار زيّنهـــا سَعْدان توضِحَ في أوْبارها اللِّبَـدِ
والرّاكضاتِ ذُيولَ الرّيطِ فَتْقَهـا بَرْدُ الهَواجر كالغِزلان بالْجَـرَدِ (١)

وقال زهير بن أبي سُلمـى يذكر النّعمان بن المنذر ، إذ طلبه كسرى ليقتلـــه ، ولم يجـد مـــن يحميـه :

فأين الّذين كان يُعطي جيـادَه بأرسانِهـنَّ والحســانَ الغَواليـا (٢)

وقـال المُنَخَّـل اليَشْكُرِيّ :

فُضُلا على ظهر الطريـــــق إليك علقمة بن صـــــير
الـواهب الكوم الصّفـــــا يا والأوانـس في الخـــدور (٣)

وقـال أوس بن حَجَـــر :

وَيحبو الخَليل بخير الحِبـــا ءِ غيرَ مُكـبٍّ ولا قـاطِـــــبِ
برأس النّجيبةِ والعبد والـــ ـوليدة كالجُؤذُر الكاعـــــبِ (٤)

وكان إهداء القيان عندهم من غاية الكرم ، قال قاسم بن أميّة بـــن أبـــي الصلـــت :

فإذا نزل الحريب أناخ وسط بيوتهم ردّوهُ ربَّ صَواهـلٍ وقيـــانِ (٥)

---

(١) الديوان ، ق ١ ص١٦ ــ ١٧ . والسعدان : نبت ترعاه الإبل له حسك يتعلق بأوبارها .
والراكضـــات : الجـوارى اللـواتـــي إذا مشين وطئن ثيابهـــن .
والريط : ثياب ناعمة .

(٢) شعره ، ق ١٧ ص١٧٢ .

(٣) الاغاني ، ج ٢١ ص ٦ .

(٤) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيـــروت ، ١٩٦٠م ، ص ١١ .

(٥) الوحشيات ، ص٢٦١ . وانظر الشعر والشعراء ، ص٣٠٢ . والعقد ، ج ١ ص ٩٨ . والاغاني ، ج ٤ ص ١٢٠ . ومعجم الشعراء ، ص ٢١٣ . وعند ابـــن الشجرى ، هبة الله بن علي ، الحماسة الشجرية ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشـــق ، ١٩٧٠م ، ج ١ ص ٣٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينسب الى الاسود بن يَعْفُر قوله :

لا يعترى شربنا اللّحاء وقد توهب فينا القيان والحُلَل (١)

وقال بشر بن أبي خازم :

الواهب البيض الكواعب كالدّمى حورا بأيديها المزاهر تعزفُ (٢)

وقال الاعشى :

هو الواهب السّمعات الشُّرو ب بين الحرير وبين الكَتَنْ (٣)

ومن مظاهر تعاملهم مع الرقيق باعتباره سلعة ، أنهم كانوا يعدون عقل القيان من أغلى الديات ، قال عبد مناف بن رِبْع الجُرَبيّ :

أعجلت قومي ولم أحفل لذلكُمُ عَقْلَ القيان وعقل الدَّلَحِ الدُّلُفِ (٤)

وكانوا يعدون الفداء بالقيان من أعظم الفداء ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

يَودّون أنْ يَفدونني بنفوسهم وَمِئتي الأواقي والقيان النَّواهِدِ (٥)

ثانيا : الرق أدنى المراتب الاجتماعية والإنسانية .

جاء الرقيق في الشعر الجاهلي رمزا لما تدنّى من الأخلاق ، ولما ساء من القيم ، قال عدى بن زيد :

واذكُرِ النِّعمى التي لم أَنْسها لك في السَّعْي إذا العَبْدُ كَفَرْ (٦)

---

(١) الديوان ، ص٦٨ .

وينسب أيضا لعدى بن زيد (الديوان ، ص٩٨) ، وللنمر بن تولب (الديوان ، صنعة د . نورى حمودى القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، د . ت ، ص١٢٧) .

(٢) الديوان ، ص١٥٥ .

(٣) الديوان ، ق ٢ ص٧١ .

(٤) شرح ديوان الهذليين ، ج ٢ ص٧٧ : ٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ص١٩٢ .

(٦) الديوان ، ص٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال حسان بن ثابت :

حربا يَشيبُ لها الوليد وإنّما يأتي الدنيّةَ كلُّ عبد نَحْنَـــج (١)

وقد شكل الرقيق مادة أساسية في شعر الهجاء الجاهلي ، فبوصف المهجو بالعبد ، يكتف الشاعر كل معاني الذل والهوان والضعف . قال ابن الزِّبَعْرى يهجو مَوهَب بن رياح :

فإنّ العبدَ مثلكَ لا يُنـــاوى سُهيلا ضلّ سعيُك من تُعـادى (٢)

وقال الأعشى يهجو بني قُمَيْئَة بن سعد بن مالك :

عبـدانُ بين عاجـــزٍ وَوَغْـــــدِ (٣)

ومن صور الهجاء في الشعر الجاهلي قذف الرجل بنسبه ، وأسوأ هـــذا القذف وصف المهجو بأنه ابن أمة أو عبد أو كليهما ، وقد كثر هذا في شعرهم ، ومن ذلك قول الأسود بن يَعْفُر :

أبني نجـيح إنّ أمكـــم أمـة وإن أباكـــمُ وَقْـــبُ (٤)

ويروى لأوس بن حجر :

أبني لبينى إنّ أمكـــــم أمـة وإن أباكـــمُ عبـــدُ (٥)

---

(١) الديوان ، ج ١ ق ٢٠٠ ص ٣٧٢ .

(٢) شعره ، ص ٣٣ .

(٣) الديوان ، ق ٥ ص ٣٢٣ . وانظر أمثلة أخرى في : شعر بشر بن أبي خازم (الديوان ، ص ٥٩) . وشعر ميمونة بنت عبد الله (الإصابة ، ج ٨ ص ١٣٢) . وشعر زيد بن عمرو بن الحارث (الإكليل ، ج ١٠ ص ٩٣) .

(٤) الديوان ، ص ١٩ . والوقب : الرجل الأحمق .

(٥) الديوان ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الأعشى يهجو بني قَميئة بن سعد :

إنّ بني قَميئة بن سعدٍ
كلهم لِمُلْصَقٍ وعَبْدِ (١)

وقال ابن أحمر الباهليّ :

إذا سبّنا منهم دَعيٌّ لأمّه خليلان من خُوذان قِنٌّ مولّدُ (٢)

وقال واثِلة بن ربيعة النهديّ :

وما أنتم إلا عبيدٌ نِساؤكم ترى فَضْلَنا إن أصبح الشرُّ بادِيا (٣)

وقال مَعْدان بن عبيد بن عدى الطائيّ :

عَجبتُ لِعبدانٍ هَجَوْني سَفاهةً أن اصطبَحوا من شائِهم وتقيَّلوا (٤)

وقال عبد الله بن رَواحة :

زعمتم أنّما نلتم ملوكا ونزعم أنّما نلنا عبيدا (٥)

وقال هُرَيْم بن جوّاس التميمي يهجو الأغلب العِجْليّ :

قبّحت من سالفةٍ ومن قفا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا (٦)

وقال تميم بن مقبل :

فما أرضعت من حرّة آل مالكٍ وما حَملتْهم من حَصانٍ على طُهْرِ
ولكن رَمَتْ إحدى الإماء برأسه سروقُ البِرام كالسَّلوتيّةِ المُجْري (٧)

ويجمع عَميرة بن جُعَل بين وصف مهجويه بالأعبد وبين قذفه لانسابهم :

ليالي إذْ أنتم لِرِقْطِيَ أعبدٌ بِرَمّانَ لمّا أجْدَبَ الحَرَمانِ

---

(١) الديوان ، ق ٥ ص٣٢٣ . والملصق : الدعيّ .

(٢) الديوان ، ص٥١ .

(٣) البحترى ، أبو عبادة الوليد بن عبيد ، الحماسة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٢٩م ، ص٣٣٨ . وسيشار إليه لاحقا هكذا : حماسة البحترى .

(٤) شرح الحماسة للتبريزى ، ج ٤ ص٣٨ .

(٥) عبد الله بن رواحة الانصارى ، الديوان ، تحقيق د . حسن محمد باجودة ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص٩١ .

(٦) الأغاني ، ج ٢١ ص٣٠ . وانظر معجم الشعراء ، ص٤٧٣ . والإصابة ، ج ٦ ص٧٤ .

(٧) الديوان ، ص١١١ . والبِرام جمع البَرَمة وهي ثمرة الأراك . والسّلوتية : الكلبة . والمجرى: أى التي لها جراء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدّاكما عَبدا عمير بن عامر وأُمّاكما من قَيْنةٍ أمتان (١)

ومن الأبيات المقذعة في الهجاء قول عمرو بن معديكرب :

وكنتم أعبدا أولاد غَيْلٍ بني آمٍ مررّ على السّفاد (٢)

فنعتهم بالعبيد أولاد الإماء البغايا . وقال عمرو ذو الكلب مظهرا القبح والهوان لتحدّر الرجل من أمة :

فلستُ لحاصنٍ إن لم تَرَوْني ببَطنِ صَريحة ذات النّجالِ

وأُمّي قينة إن لم تَرَوْني بعَوْرشَ وَسْط غَرْعَرها الطّوالِ (٣)

وكان أبناء الإماء صيدا سهلا لمعاديهم من الشعراء ، وقد ألحّ الأعشى في هجائه لجُهْنّام شاعر بني عبدان بن سعد بن قيس ، على كون جُهْنّام ابن أمة ، ومما قاله فيه :

دعوتَ خليلي مِسْحَلا ودَعوا لَهُ جُهْنّام ، جَدْعا للهجين المُذَمَّمِ (٤)

وقال يهجوه بأمه ونسبه :

أتاني ما يقول لي ابن بُظرى أقَيْنٌ يا ابن ثعلبة الصّباحِ

لِعَبْدانَ ابن عاهرةٍ وخِلْطٍ رجوف الأصْلِ مَدْخول النّواحي (٥)

ومن هذه القصيدة :

لأمْك بالهجاء أحقُّ منّا لما ابْلَتْك مِن شَوْط الِفضاحِ

وكانت النابغة ، أمّ عمرو بن العاص ، وهي أمة من البغايا (٦) ، مادة ضعف استغلها حسّان بن ثابت في هجاء عمرو ، ومّما قاله فيه :

زعم ابن نابغة اللئيم بأننا لا نجعل الأحساب دون محتدِ (٧)

ومن هذه القطعة :

---

(١) المفضليات ، مفضلية ٦٤ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) الديوان ، ص ٦٥ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ، ج ٢ ص ٥٧٢ . وانظر مثال آخر مشابه لحسان بن ثابت (الديوان ، ج ١ ق ١١٥ ب ٣ ص ٢٤٣) .

(٤) الديوان ، ق ١٥ ص ١٧٥ .

(٥) الديوان ، ق ٧٣ ص ٣٩٥ .

(٦) أشرت لذلك سابقا ، انظر ص ٦٩ من هذه الدراسة .

(٧) الديوان ، ج ١ ق ٥٤ ص ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـوم ابـن نابغة اللئام أذلّـةً لا يُقبلون على صفـير المُرعِدِ (١)

وقال في قصيدة أخرى :

أما ابن نابغة العبد الهجين فقد أُنحي عليه لسانـا صـارما ذَكَـرا
ما بال أمّك راغت عند ذي شَـرفٍ إلى جذيمة لمّا عفّـت الاثُـرا
ظلّت ثلاثا وملحـانٌ معانقُهـا عند الحَجُون فما ملّا وما فتـرا (٢)

ومن أشدّ صور الهجاء في الشعر الجاهلي وصف المهجوين أو تشبيههـم بالإماء البغايا ، أو الإماء اللواتي يقمن بالأعمـال التي كانت محتقرة ، أو الإماء وهـن في وضع سيء . قال عَطّاف بن وَبَرَة العُذْريّ :

فإن أنتمُ لم تثـأروا بأخيكُـمُ فكونوا إماء تبتغـي مـن تؤاجرُ (٣)

وقال الحطيئة :

أريحوا البلاد منكم ودبيكـم بأعراضنـا فعل الإماء العواهـرِ (٤)

وقال غَنْم بن مالك المُعاريّ في قتله عبد الله بن كعب بن كلاب :

فغادرته يكبو علـى حرّ وجهـه تثيـر عليـه نقعهـا بالسّنابـكِ
يُنادي بأعلى الصّوت يا آل عامرٍ وقد أدْبَرَتْ فِعْلَ الإماء الفـوارك (٥)

وقال زيد الخيل :

يا نصر نصر بني قعـين إنّمـا أنتم إماء يتبعـن الاشُتـرا (٦)

وقال امرؤ القيس :

ألا قبّح الله البراجم كلّهـا وجدّع يربوعـا وعفّـر دارمـا
وآثر بالملحاة آل مجاشـع رقاب إماء يقتنـين المغارِما (٧)

وقال مالك بن نويرة :

---

(١) الديوان ، ج ١ ق ٥٤ ص ١٥٩ .
(٢) الديوان ، ج ١ ق ١٨٠ ص ٣٤٦ . وذى شرف : كبير بالسن . وملحان : عبد لخزاعة ، انظر الديوان ، ج ٢ ص ٢٤٩ .
(٣) حماسة البحترى ، ص ٣١ .
(٤) الديوان ، ص ٣١٣ .
(٥) الأنوار ومحاسن الأشعار ، ج ١ ص ٢٦٨ .
(٦) الديوان ، ص ٦٣ .
(٧) الديوان ، ق ١٩ ص ١٣٠ . والمغارم جمع مغرمة وهي خرقة تتخذها النساء للحيض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأسأل من لاقى فوارس منقذٍ رقاب إمـاء كيف كان نكيدُهـا (١)

وقال عَلقمة الفَحـل :

لحى الله دَهْرا نَدْعَ عالمَ كلّهُ وسَوَّد أشبـاهَ الإماءِ العَـوارك (٢)

ولعلّ من أهم ما جعـل العرب يكرهون السواد ويضيقون به ، ارتباطـه بلون الرقيق لديهم (٣) . وضمّ الشعر الجاهلي إشارات كثيرة تدل على كرههـم للبشرة السوداء وعدّها صفة من صفات الأرقاء ، ومن ذلك قول سَلامة بن جَندل :

يجلو أسنّتها فتيـان عاديـةٍ لا مُقرفين ولا سـودٍ جعابيب (٤)

وقول كعب بن زهير :

يمشون مشي الجمال الزُّهْرِ يَعْصِمُهم ضَـرْبٌ إذا عـرّد السود التنابيلُ (٥)

وقول النابغة الذبياني :

ليست من السود أعقابا إذا انصرفت والبائعات بشطّيْ نخلـة البُرَمـا (٦)

وقول حاتم الطائـي :

فمهلا فداك اليوم أمّـي وخالتـي فـلا يأمرنـي بالدنيّـة أسـودُ (٧)

ويتكرر ذكر السواد في شعر الهجاء كثيرا ، ومن ذلك قول عِتياض بـن كثير بن جابر الضبّي :

أتاني قولٌ عن رجال كأنّهـم جـداء الحجاز اليافِعات الحَبَلَّقُ

---

(١) ابتسام مرهون الصفار ، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، مطبعة الارشاد ، بغـداد ، ١٩٦٨ م ، ص٦٨ .

(٢) علقمة الفحل ، الديوان ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتـاب العربي ، حلب ، ١٩٦٩ م ، ص١٣٠ . والعوارك : الحُيّض .

(٣) أشرت سابقا إلى أن غالبية الارقاء في العصر الجاهلي كانوا من السود ، انظر ص ٤ من هذه الدراسة .

(٤) الديوان ، ص١١٠ . والمقرفين جمع المقرف وهو الذي أمّه عربية وأبوه ليس بعربي .

(٥) شرح الديوان ، ص٢٤ . والتنابيل : القصار .

(٦) الديوان ، ق١٣ ص١٠٥ والبرما جمع البرمة وهي القدر من الحجارة .

(٧) الديوان ، ص٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنابلةٍ سود خفافٍ حلومهـــم ذَوى نَيْرَبٍ بالحيّ يغدو ويطْـرقُ (١)

وقول عامـر بن الطفيـل :

ســـودٌ صَناعِيـةٌ إذا ما أُوردوا صَدَرتْ عَتومَتُهُـمْ ولمّـا تُحْلَـــبِ (٢)

وقول أبـــي إهاب عزيز بن قيس:

مالي أرى أسدا تغلي صدورهم كأنّما وهنت منهـــا الظنابيبُ

وبيت فضـل لعبد الدّار دونكم وأنتم نفر ســـود جعابيـــبُ (٣)

ومن وسائل الإغاظة والتحريض عند الشعراء وصف القوم بالعبيد إذا مـــا رضخوا لأعدائهم ، قال بُرج بن مُسْهر الطائي :

لقد أعجبتموني من جســـومٍ وأسلحـةٍ ولكـن لا فـــؤادا

فكونوا أعْبـدا لبني ركيـــضٍ وعقْـدة سِنْبسٍ وذَروا البِعـادا (٤)

وقال المسيّـب بـن عَلَـس :

فدوخـوا عبيـدا لأربابِكُـــم وإن ساءكم ذاكُـمُ فاغْضَبُـوا (٥)

ولذلك كان الشعـــراء يفخرون بأنّهم ليسوا من العبيد الخاضعين ، قـال صخـــر الغـيّ :

ولست عبدا للموعديـــن ولا أقبـل ضيمـاياتـى بـه أحـــد (٦)

وقال المُتلمّس الضُبعـيّ :

---

(١) د . حاتم صالح الضامن ، قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص٦٤ . والحبلق : غنم صغار لا تكبر . واليعار : صـــوت الغنـم . والنيرب : الشر والنميمة .

(٢) الديوان ، ص٢٩ . والصناعية هنا : الحُذّاق بتربية النياق . والعَتومة : الناقـــة غزيرة اللبـن .

(٣) المنمّق ، ص٦٣ . وأسَد هنا : بنو أسَد بن عبد العزّى . والظنبوب : حرف عظم السـاق مـن قـدم .

(٤) نوادر أبـي زيـد ، ص٧٨ . وتنسب أيضا إلى عامر بن جوين الطائي ، انظر الوحشيـات ، ص٢٣٣.

(٥) المفضل بن سلمة ، الفاخر ، تحقيق عبد العليم الطحـاوى ، دار احياء الكتب العربيـــة ، مصر ، ١٩٦٠ م ، ص٢٤٠ .

(٦) شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ص٢٥٩ . وانظر الاغاني ، ج ٢٢ ص٣٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا تَقْبلَنْ ضَيما مَخافَةَ مِيتَـــةٍ ومُوتَنْ بها حرّا وجِلْدُكَ أملَـــسُ (١)

ثالثـا : الرقيق وسيلة لتحقيق المتعة

وظهر هذا الأمـر في علاقتهم بالإماء خاصـة(٢)، فكانت الأمة تقدّم هديـة للاستمتاع بها ، قال حسان بن ثابت يذكر كيف أعطى صالح بن عِلاط النّدامى قيانَـه ليستمتعوا بهن ، بعدما كن قد غنين وعزفن وقدّمن الشراب :

ربّ لهو شهدتـه أمّ عمـرٍو بين بيضٍ نواعـم في الرّيـاطِ
مع ندامى بيض الوجـوه كـرامٍ نبّهـوا بعد خفقـة الأشـراطِ
لكميت كأنّها دم جَـوْفٍ عتقـت من سُـلافةِ الأنبـاطِ
فاحتواها فتى يُهين لها الما ل ونادمت صالح بن عِـلاطِ
ظلّ حولي قيانـه عازفـات مثل أدْمٍ كوانـسٍ وعـواطِ
طُفن بالكأسِ بين شَرْبٍ كـرامٍ مهّدوا حرّ صالـح الأنْمـاطِ
ساعةً ، ثم قال : هنّ بـدادٌ بينكم ، غير سمعـة الاختـلاطِ (٣)

وقال لَقيط بن زُرارة يذكر الأشياء الممتعة التي تُعطى للفرسان :

إنّ الشّواء والنشيـل والـرّغـف
والقينـة الحسنـاء والكـأس الأنُـف
وللضاربين الخيـل والخيـل قُطُـف (٤)

---

(١) المتلمس الـضبعي ، الديوان ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٧٠ م ، ص١١١ .

(٢) يشار هنا إلى أنه كان عندهم نوعان من الإماء ، الإماء اللواتي يقمن بالخدمة ورعاية الإبـل والماشية وما إلى ذلك ، والإماء اللواتي يخصصن لمتعة السادة .

(٣) الديوان ، ج ١ ص٩١ .

(٤) الشعر والشعراء ، ص٤٧٥ . وانظر النقائض ، ج ٢ ص٦٦٣ . والكامل للمبرد ، ج ٢ ص ٨٧٨ . والأغاني ، ج ١١ ص١٤٥ . والتمثيل والمحاضرة ، ص٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلّف اتصال الشعراء بالإماء والقيان في دور البغاء ومجالس اللهو والشراب ـ الخاصة منها والعامة ـ شعرا كثيرا يؤكد أن تلك الإماء كنّ وسيلة للمتعة ، قال الأعشى يصف اتصاله ببعض البغايا :

وقبلك ساعيت في رَبْرَبٍ ... إذا نام سامر رقّابها
تنازعني إذ خلعت بُردَها ... مفضّلةً غير جلبابها
فلمّا التقينا على بابها ... ومدّت إليّ بأسبابها
بذلنا لها حكمها عندنا ... وجادت بحكمي لألهى بها
فطورا تكون مهادا لنا ... وطورا أكون فيُعلى بها
على كلّ حال لها حالةٌ ... وكلّ الأجاريّ يُجرى بها (١)

وقال أيضا يصف اتصاله بتلك الإماء في مجلس من مجالس اللهو :

ولقد أرجّل جُمّتي بعشيّةٍ ... للشّرْب قبل سنابك المُرْتادِ
والبيض قد عَنَسَتْ وطال جراؤها ... ونشأن في قنّ وفي أذوادِ
ولقد أخالِسُهُنّ ما يمنعنني ... عُصُرا يَمِلْنَ عليّ بالأجْيادِ (٢)

وقال المُتنخّل الهُذليّ يذكر كيف كان يلهو وحده بعدد من الإماء الجميلات المترفات (٣) :

فحورٍ قد لهوت بهنّ وحدي ... نواعمَ في المروط وفي الرّياطِ
لهوتُ بهنّ إذ مَلَقي مَليحٌ ... وإذْ أنا في المَخيلة والنّشاطِ
أبيتُ على معارىً فاخراتٍ ... بهنّ مُلوّبٌ كالدم العباطِ
يقال لهن من كرم وحسن ... ظباءُ تَبالة الأدْمُ العَواطي
يُمشّي بيننا حانوت خمرٍ ... من الخُرْسِ الصّراصِرة القِطاطِ (٤)

ويبدو أن ظاهرة لهو الرجل بغير واحدة كانت من الظواهر المعروفة لديهم، يتبين هذا من قول المُتنخّل السابق ، وكذلك من قول أُحَيْحة بن الجُلاح :

---

(١) الديوان ، ق ٢٢ ص ٢٢١ .
(٢) الديوان ، ق ١٦ ص ١٨١ . والجُمة: شعر الرأس. والجراء : الصدر من جارية .
(٣) يدل لهوه بهن وحده في مجلس واحد على أنهن من الإماء ، فيبعد أن ترضى الحرات ذلك . ويظهر البيت الأخير أنّ الشاعر كان في مجلس من مجالس الخمر واللهو .
(٤) شرح اشعار الهذليين ، ج ٣ ص ١٢٦٨ . وَملَقي : لين كلامي . ومعارى جمع مَعرى . والخرس الصراصرة القطاط : يريد الأعاجم جعاد الشعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو أنّني أشا لَنَعِمتُ بالا ... وباكرني صَبوحٌ أو نَشيلُ
ولاعبني على الانْماط لُعْسٌ ... على أنواهِمِنَّ الزَّنْجَبيلُ (١)

ويلاحظ في وصف الشعراء للإماء والقيان اهتمامهم بوصف أجسادهن ، مما يدل على سيطرة رغباتهم الجنسية في هذا الوصف . قال النابغة الجعدي :

ولدينا قينةٌ مُسمعةٌ ... ضخمة الارْداف من غير نفش (٢)

وقال الأعشى يصف بعضهن :

وشغاميم جسامٍ بُدَّنٍ ... ناعماتٍ من هَوانٍ لم تُلَحْ
كالتماثيلِ عليها حُلَلٌ ... ما يُوارين بُطون المُكْتَشَحْ
قد تَغَتَّقْنَ من الغُسن إذا ... قام ذو الضَّرَّهُزالا ورَزَحْ (٣)

وقال سَلامة بن جَندل :

وعندنا قينةٌ بيضاء ناعمةٌ ... مثل المهاة من الحور الخراعيبِ
تُجرى السواك على غرٍّ مفلّجةٍ ... لم يَغْذُها دَنَسٌ تحت الجلابيبِ (٤)

وقال تميم بن مقبل :

والمُسمعات لدى الشّروب كأنّها ... أُدْمُ الظّباء نواعِمُ الأبْشارِ (٥)

ويصف بعض الشعراء ملابس تلك الإماء التي صممت لتقبل مداعبات الندامى ، قال الأعشى :

وقد أقطع اليوم الطويل بفتيةٍ ... مَساميحَ تسقى والخباءُ مُرَوَّقُ
ورادِعَةٌ بالمسك صفراء عندنا ... لجسّ النّدامى في يد الدِّرْعِ مَفْتَقُ (٦)

وقال طَرَفَة :

نداماىَ بيضٌ كالنّجوم وقَينةٌ ... تروح علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ

---

(١) جمهرة اشعار العرب ، ج ٢ ص٦٥٨ . واللُّعْس: اللواتي في شفاههن سواد .
(٢) شعره ، ص٢٤٥ .
(٣) الديوان ، ق ٣٦ ص٢٩٣ ، ٢٩٥ . وشَغاميم : نساء طوال ، جمع شغموم . ولم تلح : لم تهزل . والكشح : الجنب . والغسن : الشحم . ورزح : سقط من الهزال .
(٤) الديوان ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ . والخراعيب : اللينات المتثنيات .
(٥) الديوان ، ق ١٥ ص١٢٠ .
(٦) الديوان ، ق ٣٣ ص٢٦٩ . والرواق : سقف في مقدمة الخباء . والدرع: القميص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها رَفيقةٌ بجسِّ النَّدامى بضَّةُ المُتجرَّدِ (١)

واهتم الشعراء الجاهليون بالحديث عن غناء القيان وعزفهن (٢) وما يمنحهم ذلك من متعة ، قال تميم بن مقبل :

وغناءُ مُسمعة جررت لصوتها ثوبي ، ولذّة شاربٍ وفِضالِ
صدَحتْ لنا جيداءُ تركضُ ساقُها عند الشُّروب مجامِعَ الخَلخالِ
فُضُلا تنازعها المحابضُ صوتَها بأجشّ لا قطع ولا مِصْحالِ (٣)

وقال امرؤ القيس :

وإن أمْسِ مكروبا فيا ربّ قينةٍ منعّمةٍ أعملتها بكِرانِ
لها مِزْهَرٌ يعلو الخميس بصوته أجشّ إذا ما حركته اليدانِ (٤)

وقال الأعشى يصف مجلس غناء :

وشاهدُنا الوردُ والياسمي ـنُ والمسمعاتُ بقصّابها
ومزهَرُنا مُعْمَلٌ دائمٌ فأيّ الثلاثة أزرى بها
ترى الصّنجَ يبكي له شجوَهُ مخافة أن سوف يُدْعى بها (٥)

وقال عَبْدة بن الطَّبيب :

صِرْفا مِزاجا ، وأحيانا يُعَلِّلُنا شِعرٌ كمُذْهَبةِ السَّمّانِ محمولُ
تُذري حواشيَهُ جيداءُ آنِسةٌ في صَوتها لسماعِ الشَّرْبِ ترتيلُ
تغدو علينا تُلهّينا ونُصفِدُها تُلقى البُرود عليها والسَّرابيلُ (٦)

وقال لبيد :

وبيضٍ تربّتها الهوادجُ حِقْبةً سرائرها ، والمُسمعاتُ الرّوافِلُ

---

(١) الديوان ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٢) كان لغناء القيان وعزفهن أثرهم في الشعر الجاهلي ، في موضوعاته وألفاظه وموسيقاه ، راجع القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ص١٦٩ وما بعدها .

(٣) الديوان ، ق ٣٣ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ . وفضلا : متبذلة في ثوب واحد . والمحابض: الأوتار . والقطع : الصوت المتقطع . والمصحال : من الصحل ، وهو انشقاق الصوت وعدم استقامته .

(٤) الديوان ، ق ٨ ص٨٦ . والكران والمزهر : اسمان للعود .

(٥) الديوان ، ق ٢٢ ص٢٢٣ . وقصّاب جمع قاصب ، وهو الزامر في القصب . والصنج : آلة من الآلات الوترية . وانظر مثال آخر ق ٦٤ ب ٢٢ ـ ٢٣ ص٣٦٩ .

(٦) شعره ، ص٨٢ ـ ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تروح إذا راح الشَّروب كأنّهـا ظبـاءُ شقيق ليس فيهنّ عاطِـلُ
يجاوبن بُحّا قد أعيدت وأسمحت إذا احتثَّ بالشُّرْع الدقاق الأنامِـلُ (١)

وقال الحارث بن ظالم :

اعزفـالي بلـذّة قينتيـــا قبـل أن يبكـر المنـون عليّـا (٢)

ويبدو أن بعض الإماء كن قد تركن أثرا في بعض الشعراء ، فذكروهن فـي شعرهم بأسمائهن ، فيقال إن مُلَيْكَة التي يذكرها أُحَيْحة بن الجُلاح كانت قينـة لـه (٣) ، وفيها قال :

يشتاق قلبي من مُلَيْكَة لـو أمسـت قريبـا مما يُطالبهـا
ما أحسن الجيد من مُليكـة والـ لبات إذ زانها ترائبهـا (٤)

ويروى أيضـا أن هـرّا وفرتنى اللتين يذكرهما امرؤ القيس في شعره كانتا أمتين (٥) ، ولا نعثر في شعره على إشارة صريحة لذلك ، ولكن قد يستشف صحة ذلك من قوله :

أُغادي الصّبح عند هرٍّ وفرتنـى وليدا ، وهل أفنى شبابـي غير هرّْ
إذا ذُقْتَ فاها قلت طَعْمَ مُدامةٍ مُعتّقةٍ مما يجيء بهـا التُّجُـرّْ
هما نعجتان من نعاج تبالـةٍ لدى جؤذرين أو كبعض دُمى هَكِـرّْ

---

(١) الديوان ، ق ٣٦ ص٢٦٣ ــ ٢٦٤ . والروافل : اللواتي يجررن ذيولهن . والبُحّ جمـع أبح وهو صفة للعود . والشرع جمع شرعة وهو الوتر الدقيق .

(٢) الأغاني ، ج ١١ ص ١٢٢ . وانظر أمثلة أخرى في هذا المجال في شعر : عبيد بن الأبرص (الديوان ، تحقيق د . حسين نصار ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصـر ، ١٩٥٧ م ، ق ٨ ، ب ٥ ص٢٥) . وبِشْر بن عمرو بن مَرْثَد (المفضليات ، مفضلية ٧١ ب ٦ ــ ٧ ص٢٧٦) . والأسود بن يَعْفُر (الديوان ، ق ٢٣ ب ٢٨ ــ ٢٩ ص٤١ ــ ٤٢) . وعبد المسيح بن عَسَلَة (المفضليات ، مفضلية ٧٢ ب ١ ــ ٣ ص٢٧٩) . وعبد الله بن ثـور العامريّ (قصائد جاهلية نادرة ، ص١٥٧) . وعديّ بن وَداع (قصائد جاهلية نادرة ، ص ٦٣) . وثَعْلَبة بن صُعَيْر (شعر بني تميم ، ص٣٨٣) .

(٣) انظر الأغاني ، ج ١٥ ص٣٩ .

(٤) الأغاني ، ج ١٥ ص٣٦ .

(٥) انظر ديوان امرئ القيس ، ص١١٠ . وهناك خلاف حول شخصية هرّ في شعر امرئ القيس ، فمنهم من قال هي أمـة ، ومنهم من قال هي حرّة وعين نسبها ، راجع الخلاف في هذه الروايات عند محمد صالح سمك في كتابه « أمير الشعراء في العصر القديم (امرؤ القيس) » ، دار نهضة مصـر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص١٧٠ ــ ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصّبا جاءت بريح من القُطُر (١)

فلهوه عندهما في مجلس واحد ـ كما يبدو ـ يشير لذلك . ومما يرجح أن فرتنى كانت من الإماء ، ما يُذكر أن فرتنى اسم يُطلق على الأمة ، قال أبو عبيدة في شرح بيت جرير :

مَهْلا بُعيثُ فإنّ أمّك فرتنى حمراء أتخنت العلوج رُداما

يقال للأمة فرتنى وترنى (٢) .

ويروى أن الأعشى كان يردد أسماء بعض الإماء في شعره ، أمثال قتلة (أو قتيلة) وهريرة (٣) . ويتبين من قراءة القصائد التي ترد فيها هذه الأسماء ، أنه من الصعب الحكم في كثير منها على أن تلك النساء كنّ من الإماء (٤) ، بل أن ما ورد في عدد من تلك القصائد يدل على أنهن كنّ من الحرائر ، فهو مثلا يقول في قتلة :

ليست بسوداءَ ولا عِنْفِص تسارقُ الطّرفَ إلى الدّاعِر

عَبْهَرةُ الخَلْقِ بلاخيّةٌ تشوبه بالخُلُقِ الطّاهر (٥)

ويصرّح في موضع آخر بانتماء قتلة للأحرار :

حرّة طفلةُ الأنامِلِ كالدّمـ ـيَةِ لا عابسٌ ولا مِهزاقُ (٦)

---

(١) الديوان ، ق ١٤ ص ١١٠ .

(٢) النقائض ، ج ١ ص ٤٠ ـ ٤١ . وانظر أيضا ج ١ ص ٦٤ . ويروى عن ابن سلام : « فرتنى : الأمة بنت الأمة » (الأغاني ، ج ٤ ص ٢٣٧) . وانظر مزيدا من التفاصيل في : لسان العرب (فرتن) .

(٣) راجع الروايات التي تذكر ذلك واختلافاتها في (القيان والغناء .. ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١). ويقول د . الأسد عن هذه الروايات : « ... حتى ليكاد يظن أنّها وضعت لتفسير الشعر ، فقد اعترضت هذه الأسماء سبيل الرواة ، وكان لا بدّ من خبر عنها ، فكانت ـ فيما أرى ـ هذه الروايات » .

(٤) يقول د . الأسد : « وليس في هذه القصائد جميعها إشارات قريبة أو بعيدة إلى أنهن قيان » (القيان والغناء ، ص ٢٤٢) .

(٥) الديوان ، ق ١٨ ص ١٨٩ . وعنفص : بذيئة قليلة الحياء . والعبهرة : الرقيقة البشرة والناصعة البياض والسمينة الممتلئة . وبلاخية : طويلة .

(٦) الديوان ، ق ٣٢ ص ٢٥٩ . وطفلة : ناعمة . ومهزاق : كثيرة الضحك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكننا قد نميل إلى أنّ قتيلة التي يصفها الأعشى فيما يلي ، أمة من الإمـــاء اللواتـي كـن يستخدمـن للّهـو ، قـال :

لها قدمٌ ريّا سباطٌ بنانُهـا ... قد اعتدلت في حُسْن خَلْقٍ مُبتَّلِ
وساقان مار اللحم مورا عليهما ... إلى منتهى خَلخالها المُتَصَلْصِلِ
إذا التُسِتْ أُرْبِيَّتاها تمانـدت ... لها الكفُّ في راب من الخَلْقِ مُفْضِلِ
إذا انبطحت جافى عن الأرض جَنْبُها ... وخوّى بها رابٍ كهامـة جُنْبُـلِ
اذا ما علاها فـارس متبـذل ... فنعم فراش الفارس المتبـذل (١)

فهذا الوصف الشهواني ، والإشارة إلى أنّ الذى يعلوها فارس متبذل تحملني إلى أن أميل ذلك الميل .

وأقول فيما يظهر من تناقض بين كون قتيلة أمة في هذه القصيدة ، حرّة في غيرها (٢) ، أنّه ليس هناك من تناقض إذا اعتبرنا أنّ الأسماء التي ترد في القصائد لا تدلّ بالضرورة على امرأة بذاتها (٣) ، وانما يوظف الشاعر المرأة ، في كثير من الأحيان ، توظيفا فنيا يحقق فيه غرضا خاصا في القصيدة . وما يهمنا هنا في قصيدة الأعشى السابقة ، ما لديه من خبرة بالحياة اللاهية ، واتصاله بالإماء فيها ، وقد استطاع توظيف ذلك فنيا بوصفه امرأة جميلة تفيض بالشهوة ، وتفنن في ابراز مفاتنها كي يدرك المتلقي أنّ صحوته عنها لم تكن شيئا سهلا :

صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدمـا ... يكون لها مثل الأسير المُكَبَّـلِ

وهو بالرغم من كل جمال هذه المرأة ، التي تُبطر المرء عقله وتُصبي الحليم :

تهالك حتّى تُبطِـرَ المرءَ عَقْلَـه ... وتُصبي الحليم ذا الحجا بالتقتُّلِ

---

(١) الديوان ، ق ٧٧ ص ٤٠١ . ومبتل : متناسق . ومار : ترجرج . والأُرْبيّة : أعلى الفخذ . والجنبل : القدح الضخم يتخذ من الخشب .

(٢) يشير د . الأسد إلى هذا التناقض ، ويحاول أن يعلل ذلك باختلاف الأحوال التي يرى فيها الأعشى تلك النساء « فهو يراهن في بيوتهن منعّمات ، فيصفهن بما توصف به الحرائر ، أما حين يراهن في مجالس اللهو وهن يفتن الشرب بأصواتهن وأجسادهن ، فيصفهن وصفا تتنزى فيه عوامل الشهوة والاغراء » (القيان والغناء .. ص ٢٤٥) . ولا أميل إلى هذا التعليل كما سيتضح .

(٣) يدل على ذلك الخلاف الواسع الذى يعرفه دارسو الشعر الجاهلي حول أسماء النساء في مطالع القصائد الجاهلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستطيع تركها ، والانصراف عنها للأعمال الجادة :

فدَعْها وسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ ... تَزِيْدُ في فضل الزِّمام وتعتلي
فأيّةَ أرضٍ لا أتيتُ سراتَها ... وأيّةَ أرضٍ لم أُجِبْها بمِرْجَلِ
ويوم حِمامٍ قد نزلناه نَزْلةً ... فَنِعْمَ مناخ الضّيف والمُتَحَوَّلِ

وهو يؤكد في ذلك لأقربائه من بني عجل ، ويبدو أن هناك خلافا بين قوم الأعشى وبينهم ، أنّ كل جمال تلك المرأة واثارتها ، لا يقعده عن الأفعال الكريمة ، أي أن قومه لا تقعدهم الملذّات عن الأفعال التي تليق بالكرام :

فأبلغ بني عجل رسولا وأنتُمُ ... ذوو نَسَبٍ دانٍ ومَجْدٍ مؤثَّلِ
فنحن عقلنا الألف عنكم لأهْلِهِ ... ونحن وَرَدْنا بالغبوق المعجَّل
ونحن وَرَدْنا الفارسيين عَنْوةً ... ونحن كَسَرْنا فيهم رُمْحَ عَبْدَلِ
فأيّ فلاح الدّهرِ يرجو سراتُنا ... إذا نحن فيما ناب لم نتفضَّلِ
وأيّ بلاء الصدقِ لا قد بلوتُمُ ... فما فُقِدت كانت بَليّةَ مُبتلي

وقد نلمح في القصيدة شبها بين بني عجل وتلك المرأة ، فهي تامة الحسن وحبّ الشاعر لها كبير :

فقد كملت حسنا فلا شيء فوقها ... وإنّي لذو قول بها متنخَّلِ
وقد علمت بالغيب أني أحبّها ... وأني لنفسي مالك في تَجَمُّلِ

وبنو عجل لهم مجد مؤثل ، ونسبهم دان من الشاعر وقومه ، وبذلك فقد يلمح الشاعر إلى أن قدرته على ترك تلك المرأة التي ختلته تعني قدرته على ترك أقربائه إذا هم غيروا من موقفهم منه ومن قومه ، ولذلك نجده يقول أثناء وصفه للمرأة :

وإني إذا ما قلت قولا فعلته ... ولست بمِخلاف لقولي مُبَدِّلِ

رابعا : الرقيق جزء من البيئة

وظهر هذا الأمر في اتجاهين :

الأول : ذكر الأرقاء وما يتعلق بهم في معرض حديث الشعراء عن أشياء كثيرة متنوعة (١) ، مثل ذكرهم الإماء في مطلع القصائد وهنّ يردن الإبل استعدادا

(١) كثير من الاستشهادات الشعرية التي سقتها في الباب الأول ، وخاصة في الفصل الثاني منه ، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للرحيل ، قال عَلْقمة الفَحل :

رَدّ الإماءُ جمال الحيّ فاحتملوا ... فكلّها بالتزيديات معكوم (١)

وقال زهير :

رَدّ القيان جمال الحيّ فاحتملوا ... إلى الظهيرة أمرٌ بينهم لَبِكُ (٢)

ويصف عَميرة بن جُعَل ما يتبقى من الدّيار :

فلم يبق منها غيرُ نؤيٍ مُهدّمٍ ... وغيرُ أوارٍ كالرّكيّ دِفانِ

وغيرُ حطوبات الولائد ذَعْذَعتْ ... بها الرّيح والأمطارُ كلّ مكانِ (٣)

ويصف تميم بن مقبل عمل الإماء الشاق الذى يدل على كرم سادتهن :

في دارحي يهينون اللحام وهم ... للجار والضيف يغشاهم مكاريم

فتيان صدق إذا ما الأمرجدّ بهم ... أيدى حواطبهم دامٍ ومَكلوم (٤)

وقال عمرو بن قَميئة يذكر عمل الإماء ويشبههن بأرومة الشجر :

ورأيت الإماء كالجِعْثِن البا ... لي عُكوفا على قُرارة قِدْرِ (٥)

الثاني : اتخاذ الرقيق وما هو به بسبب في تكوين الصورة الشعرية ، فقد لفت الشاعر الجاهلي في هذا المجال لون الأرْقاء الأسود ، ومن الصور المتكررة في الشعر الجاهلي تشبيه النعام بالأرْقاء السود ، أو بالأحباش ، قال أوس بن حَجَر :

تمشي بها رُبَّد النّعام كما ... تمشي إماءٌ سربلت جُببا (٦)

وقال طرفة :

لا أرى إلا النّعام به ... كالإماء أشرفت حزمه (٧)

يدخل في هذا الباب ، ودفعا للتكرار رأيت أن أقتصر هنا على أمثلة قليلة لم تذكر هناك .

(١) الديوان ، ق ٢ ص٥١ .

(٢) شعره ، ق ٥ ص٧٨ .

(٣) المفضليات ، مفضلية ٦٤ ص٢٥٩ .

(٤) الديوان ، ق ٣٥ ص٢٧٥ .

(٥) الديوان ، ص٢٠٠ .

(٦) الديوان ، ق ١ ص١

(٧) الديوان ، ص٧٦ . والحزم هنا حزم الحطب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الأخْنَس بن شِهاب التغلبي :

تظلُّ بها رُبْد النعام كأنهـا اماء تزجي بالعشي حواطب (١)

وقال بِشر بن أبي خازم في ناقته :

يبرى لها خربُ المشاشِ مُصَلَّمٌ صَعْلٌ هِبَلٌ ذو مناسِفَ أسْقَفُ

أكَلٌ تنوّم النّقاع كأنّه حبشيٌّ حازِقةٍ عليه القَرْطَفُ (٢)

وقال كعب بن زهير يصف زوجا من النّعام :

راحا يَطيران مُعْوَجّيْنِ في سَرَعٍ ولا يَريعان حتّى يَهْبِطا أُنُفا

كالحبشِيّين خافا من مَليكهما بعضَ العذاب فجالا بعدما كُتِفا (٣)

وقال في قصيدة أخرى عن زوج من النعام أيضا :

وكأنّها نوبية وكأنّه زوج لها من قومها مشعوفُ (٤)

وقال النابغة الجعدى :

وإذا نحن بإجلٍ نافرٍ ونعامٍ خيطُه مثل الحبش (٥)

وقال عدى بن زيد :

ومَجودٍ زَعَلٍ ظِلمانُهُ كرجال الحُبْشِ تَرْدي بالعَمَدْ (٦)

وقال لَبيد :

ورَقاقٍ عُصَبٍ ظلمانُه كحزيق الحَبَشيّين الزُّجَل (٧)

---

(١) المفضليات ، مفضلية ٤١ ص ٢٠٤ . والبيت باختلاف في : شرح الحماسة للتبريزى ، ج ٢ ص ٢٤٢ . والحيوان ، ج ٤ ص ٤١٤ . وعند العسكرى ، أبي هلال بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين ، تحقيق محمد علي البجاوى و محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ م ، ص ٨٥ .

(٢) الديوان ، ق ٣١ ص ١٥٤ . ويبرى لها : يعرض لها . وخرب المشاش والمصلم والصعل : صفات للظليم . والأسقف : الطويل العنق . وذو مناسف : أراد منقاره . والقرطف : كساء من قطيفة لها خمل .

(٣) شرح الديوان ، ص ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥) شعره ، ص ٢٤٥ . والإجل : القطيع . والخيط : جماعة النعام .

(٦) الديوان ، ق ٤ ص ٤٣ .

(٧) الديوان ، ق ٢٦ ص ١٧٤ . والرقاق : الصحراء المتسعة . والحزيق : الجماعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورة أخرى في الشعر الجاهلي تعتمد على لون الجسد الأسود ، هي تشبيه زقّ الخمر بجسد الحبشي ، قال لبيد :

وفتيان صِدْقٍ قد غدوتُ عليهمُ ... بلا دَخِنٍ ولا رَجيعٍ مُجنَّبِ
بمجتَزَفٍ جَوْنٍ كأنّ خفاءه ... قرا حبشي في السَّرَوْمَطِ مُحْقَبِ (١)

قال الأعشى :

تحسب الزقّ لديها مُسندا ... حبشيا نام عمدا فانبطح (٢)

ويروى التبريزى لأحدهم في صفة الزقّ :

كأنه حبشيّ بادنٌ سُلبت ... منه المعاوز عن صَدْرٍ وعن كفل (٣)

وكانت حياة الرقيق وعمله في العصر الجاهلي مادة في بناء الصورة الشعرية عندهم ، قال طَرَفة بن العبد في ناقته :

وذالت كما ذالت وليدةُ مَجْلِسٍ ... تُرى ربّها أذيال سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٤)

وقال تميم بن مقبل يشبه الرماد في الأرض بالكحل الذى يتناثر من أيدى القينات :

كأنّ خصيف الجَمر في عرصاتها ... مزاحفُ قيناتٍ تجاذبن إثمدا (٥)

وقال امرؤ القيس يشبه عنق الناقة بقطعة خشب طويلة أضرم فيها الوليد النار :

وسالفةٌ كسَحوق اللُّبا ... ن أضرم فيها الوليد السُّعُرّ (٦)

وقال السليك بن السلكة :

كأن مفالق الهامات منهم ... صرايات تهاداها جوارى (٧)

وقال ضرار بن الخطاب في خشية على مصير قريش ـ بعد فتح مكة ـ ومستعطفا

---

(١) الديوان ، ق ٢ ص ٦ . وبلا دخن : أى بشواء لم يصبه الدخان . والرجيع : الشراب . وبمجتزف : أى بمشترى جزافا . والخفاء : جلد يجعل فيه الزق . وقرا حبشي : ظهر حبشي . والسرومط : الحبل . ومحقب : مشدود خلف الناقة .

(٢) الديوان ، ق ٣٦ ص ٢٩٣ .

(٣) شرح اختيارات المفضّل ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٤) الديوان ، ق ١ ص ٢٨ . وذالت : ماست في مشيتها . والسحل : ثوب أبيض .

(٥) الديوان ، ق ٧ ص ٥٦ .

(٦) شرح شواهد المغني ، ج ٢ ص ٦٣٦ . وفي الديوان : الغويّ بدلا من الوليد (ق ٢١ ص ١٦٥) .

(٧) شعر بني تميم ، ص ٦٣ . والصرايات جمع صراية وهي الحنظلة إذا اصفرّت ، وجمع الحنظل كان في الغالب عملا من أعمال الإماء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسول صلى الله عليه وسلم :

لتكونَنَّ بالبطـــاح قريـــشٌ قعقعة القاع في أكفّ الإمـــاء (١)

وقال أبو ذؤيب الهذلي يشبه التراب الذى يخرجه الحفّارون من القبر بالإمـــــاء القواعـــد على شيء يـــعملنـــه :

وقد أرسلوا فرّاطـــهم فتأثّلوا قليبا ، سفاهـا كالإماء القواعـد (٢)

وقال أيضـا يصف حمار الوحش :

صَخِبُ الشّوارب لا يزال كأنّـــه عبد لآل أبـي ربيعـــةَ مُسْبَـعُ (٣)

وقال تميم بن مقبـل يصـف نشاط فـرسـه ويشبهـه بالذى ينشـد ضالتـــه وينادى عبدا في مرقبـــة (٤) :

حتّى دُفِعتُ لمستورى على عَجَـلٍ في جوزه ونصيـل الرأس تقديـمُ

كأنّه ناشِدٌ نادى لموعـــده عبدَ مناف إذا اشتدّ الحيازيـمُ (٥)

وقال قيـس بن زهـير :

سوالفها كخـدود الإمـــا ء صدّت عن الذنب أن تُلطما (٦)

وكانت القيان المغنيات كذلك صادة في تكوين الصورة الشعرية مثل الإماء ، قـال أبو ذؤيـب الهذلي :

ضفادعـه غرقى رواء كـأنّهـــا قيان شروب رَجعهـنّ نشيـــجُ (٧)

وقال أسماء بن خارجـة يصـف مكانا خاليا :

---

(١) الاستيعاب ، ج ٢ ص٣٦ . وانظر الروض الأنف ، ج ٤ ص١٠١ . وتخريج الدلالات السمعية ، ص٣٦٦ . ونهاية الأرب للنويرى ، ج ١٧ ص٣٠٤ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ، ج ١ ص١٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص١٢ .

(٤) أشرت سابقا إلى أن العرب كانوا يتركون بعض عبيدهم في مكان عال ، كي ينذروهـــم إذا ما داهمهم خطر ، وأشرت إلى بيت لتميم بن مقبل يشبه فيه صخب الحمار الوحشـــي بصياح عبد أغار العدو على أهلـه ، انظر ص٥٦ من هذه الدراسة .

(٥) الديوان ، ق ٣٥ ص٢٧٨ ــ ٢٧٩ . والمستور هنا : الكلأ خرج يرودة . وجوزه : وسطه . ونصيل الرأس : أعلاه .

(٦) البرصان والعرجان .. ص٢٤٥ ، ٤٥٧ .

(٧) شرح ديوان الهذليين ، ج ١ ص١٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبه الصَّدى والعَزْفُ تَحسِبُـــه صَدْحَ القِيان عزفن للشَّـــرْبِ (١)

الســـــــبي

وفي السبي ما يتصل بالرق في العصر الجاهلي ، فهو أحد مصادره الرئيسة ، ويلاحظ دارس الشعر الجاهلي أن الحديث عن السبي احتل مكانة كبيرة في هـــذا الشعر ، ويعود ذلك للصراع الدائم في حياة القوم .

ويمكن ايجاز حديث السبي في الشعر الجاهلي بما يلـي :

الفخـر بالســـبي

كان سبي النساء من الأعمال التي فخر بها الشاعر الـجاهلـــي ، ففـي ذلك إذلال العدو والصاق العار به . وقد تجمّع لدىّ أثناء البحث مـــادة شعريـة كبيرة في هذا المجال ، ومن ذلك قول زيد الخيل :

نحوى التّهاب ونحوى كلّ جاريـة كأنّ نقبتهـا في الخـدّ دينـــار (٢)

وقال عامر بن الطفيل :

فأبنا غانمين بما استفـأنـا نسـوق البيض دعـواهـا الأليـل (٣)

وقال عبيـد بن الأبرص :

وأوانس مثـل الـدمـــى حـور العيـون قـد استبينـا (٤)

والسـبي من دلالات القوة ، قال مـالك بـن زرعـة :

وجئنا بأمثال المها مـن نسائهـم صدور القنـا والمشرفـيّ مهـورهـا (٥)

وقال طفيـل الغنـوى يفخـر بسـبي قبيلته نساء طـيء اللواتي لم يستطـــــع أحـــد غـيرهم سبيهـــن :

---

(١) الأصمعيات ، أصمعية ١١ ص٥٠ .

(٢) الديوان ، ص٦٠ . وانظر مثالا آخـر ص٩٦ .

(٣) الديوان ، ص٩٧ . وانظر مثالا آخـر ص٥١ .

(٤) الديوان ، ص١٣٨ .

(٥) قصائد جاهلية نادرة ، ص١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقتلنا سراتهم جهارا ... وجئنا بالسّبايا والنّهاب
سبايا طيّءٍ أبرزن قسرا ... وأبدلْنَ القصورَ من الشّعاب
سبايا طيّءٍ من كل حيٍّ ... بمن في الفَرْع منها والنّصاب
وما كانت بناتهم سبيتا ... ولا رَغْباً يُعَدُّ من الرِّغاب (١)

ويفخر الأفوه الأوديّ بقدرة قومه على سبي نساء الآخرين، بينما لم يستطع أحد سبي نسائهم :

نقاتل أقواما فنسبي نساءهم ... ولم ير ذو عزٍّ لنسوتنا حِجْلا (٢)

ويفخر خُفاف بن ندبة بطعنته القوية التي استطاع بها سبي امرأة يعشقها زوجها ، وهي تحبّ قومها :

ومعشوقةٍ طلقْتُها بمَرَشّةٍ ... لها سنن كالأتحميّ المُخَرَّقِ
فباتت سَليبا من أُناسٍ تُحبّهم ... كئيبا ولولا طعنتي لم تُطَلَّقِ (٣)

خوف النساء من السبي

وصف الشعراء الجاهليون خوف النساء من السبي وكيف كان حالهن وقت الغارة ، أو عندما كنّ يُهددن بالسبي . وصور الشاعر الجاهلي النساء وهن يكشفن وجوههن ويبرزن محاسنهن كي يظن الأعداء أنّهن من الإماء فيزهدوا فيهن

---

(١) الديوان ، ص٩٧ .

(٢) الأفوه الأوديّ ، الديوان (ضمن الطرائف الأدبية) ، تصحيح وتخريج عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص٢٢ .

(٣) الديوان ، ص٣١ . وانظر أمثلة أخرى على فخر الشعراء بالسبي في شعر : الحارث بن حلزة (الديوان ، ق ١ ص١٢) ، وجنوب أخت عمرو ذي الكلب (شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ص٥٨١) ، والنابغة الجعديّ (شعره ، ص٦٧) ، وقيس بن عاصم (شعر بني تميم ، ص١٦٠) ، وزيد الخيل (الديوان ، ص٨٦) ، والأضبط بن قُريع (شعر بني تميم ، ص٤٢) ، وعامر بن الطفيل (الديوان ، ص٩٧ ، ص١١١) ، وقرط بن السفيح (الأنوار ومحاسن الأشعار ، ج ١ ص١٨٨) ، وأفنون التغلبي (الأنوار ومحاسن الأشعار ، ج ١ ص٢٣٧) ، وحاجز بن عوف (الأغاني ج ١٣ ص٤١٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا يُسبين ، قال سَبْرة بن عمرو الفَقْعَسيّ :

ونسوتكم في الرَّوْع باد وجوهُها يُخلْنَ إماء والإماء حرائرُ (١)

وقال حسّان بن ثابت :

وأبدت معاريها النّساء وأبرزت من الترع كابي حسن ألوانها الزُّهْرِ (٢)

وقال عَوف بن عَطيّة بن الخَرِع التيميّ :

ولنعم فتيان الصّباح لقيتُم وإذا النّساء حواسِرٌ كالعُنْقُرِ (٣)

وقال باعث بن صريم يصف امرأة خائفة من السبي خرجت حاسرة الرأس فحافظ عليها وصانها :

وخِمارغانيةٍ عَقَدْتُ برأْسِها أُصُلا وكان مُنَشَّرا بِشمالها (٤)

ومن طرائق الشعراء في وصف شدّة المعركة الإشارة إلى شدّة فزع النساء ، قال تميم بن مقبل :

يا أختآل شهاب هل علمت إذا أنسى الحرائرَ حُسنَ اللبسة الفزعُ (٥)

وقالت الخنساء :

وهم منعوا جارهم والنساء يحفز أحشاءها الخوف حَفْزا (٦)

وقال الحطيئة يمدح علقمة بن عُلاثة :

وأشْجَع في الهيجاء من ليث غابة إذا مُسْتَبَاةٌ لم تشق بحليل (٧)

التحريض على القتال

كان من أشدّ ما يثير الفارس الجاهلي ويدفعه للاستبسال في القتال معرفته أن هزيمة قومه تعني سبي نسائهم ، قال عمرو بن كلثوم :

---

(١) شرح الحماسة للتبريزي ، ج ١ ص٢٣٣ .

(٢) الديوان ، ج ١ ق ١٤١ ص٢٨٩ .

(٣) المفضليات ، مفضلية ٩٤ ص٣٢٧ . والعنقر : أصل البقل والقصب والبردى ما لم يتلون بلون ولم ينشر .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ، ج ٢ ص٥٣٥ .

(٥) الديوان ، ق ٢٣ ص١٧٧ .

(٦) الديوان ، ص١١٦ .

(٧) الديوان ، ص٤١ . ومستباة : امرأة سبيت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على آثارنـا بيـضٌ حِسـانٌ نحاذر أن تُقسَّمَ أو تهونـا (١)

وقـال معاوية بن مالك السُّلمـيّ :

لما رأيتُ نساءَ قومي حُسَّـرا وترت إليّ النّفس غير مـزاحِ

أقدمت حتّى لم أجد متقدّما وعلمت أنّ اليوم يـوم فِضـاحِ (٢)

وقد عمد بعض الشعراء إلى اتّخاذ غيرة الفرسان على نسائهم عاملا مـن عوامـل التحريض ، قـال لقيط بن معمر :

يا قوم لا تَأْمَنوا إن كنتم غُيُـرا على نِسائِكُم كسرى ومـا جَمَعا (٣)

وكانت النساء تشارك في التحريض ، فيروى أنّه كان لنساء العرب دور تحريضي فـي معركـة ذى قار ، فيروى أنّهـن كنّ ينشدن :

ان تَهـزمـوا نُعانـق ونفـرش النّمـارق

أو تُهـزمـوا نفـارق فـراقَ غـير وامِـق (٤)

التعيـير بالسـبي

سـبي نساء القبيلة يعني الحاق العار بها ، وقد استخدم الشاعـر الجاهلي ذلك في هجائـه ، قـال المطرّح بن عثمان التغلـبي :

هم أنكحوا بالغَصْب من فتياتكـم جهارا ومن شرّ المجاهرة الغَصْبُ (٥)

ومن صور الهجاء في الشعر الجاهلي التعيير بالفرار عن النساء في المعركـة وتركهن للأعداء يسبوهنّ ، قـال الحطيئة :

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٤٢١ .

(٢) معجم الشعراء ، ص ٣١٢ .

(٣) لقيط بن معمر الإيادى ، الديوان ، تحقيق د . عبد المعين خان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٧ .

(٤) النقائض ، ج ٢ ص ٦٤١ . ويروى أن نساء قريش كن يحرضن المقاتلين يوم أحد بمثل هذا القول ، انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص ٧٢ . ومغازى الواقدى ، ج ١ ص ٢٢٥ . وانظر أشعارا فـي هذا المجال لبعض نساء بني شيبان وبني عجل عند المرزباني ، أبو عبيد محمد بن عمران ، أشعار النساء ، تحقيق د . سامي مكي العاني ، و هلال ناجي ، دار الرسالة للطباعـة ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ١٨٨ ، ٢٠٦ .

(٥) الأشباه والنظائر ، ج ١ ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَبَّحَ الإله قبيلة لم يمنعوا يوم الجُمَيْمِر جارَهُم من فَقْعَسِ
تركوا النّساء مع الجياد لمعشَرٍ شمس العداوة في الحروب الشُّوَّسِ (١)

وقال عمرو بن معديكرب :

تركوا النّدام لنا وكلّ خريدةٍ بيضاء خرعبةٍ وأخرى ثيِّبِ (٢)

ويبدو أن ترك النساء في المعركة قد ترك أثرا في بعضهن ، مما دعاهن إلى رفض العودة لقبيلتهن ، فيروى أنّ حُسينة بنت جابر بن بجير العجلي قالت لزوجها تمّام بن سوادة ، وكان قد فرّ عنها حين سباها الحارث بن تَوْلَب ، فاختارت البقاء عنده :

تمّام قد اسلمتني لرماحِهم ومضيت تركض في عِجاج القَسْطَلِ
وتلومني ألاّ أكرّ إليكمُ وفررت عنّي في الرعيل الأوّلِ (٣)

وصف حال المسبيات

وصف الشعراء الجاهليون ما يصير إليه حال المسبيات ، وما يلقين من هوان بعد السبي ، ولعلّ النابغة الذبياني من أكثر الشعراء الذين اهتموا بتصوير حال المسبيات ، ومما قاله :

لا أعرفن رَبْرَبا حورا مَدامِعُها كأنّهُنّ نِعاجٌ حَوْلَ دُوّارِ
ينظرن شَزْرا إلى من مرّ عن عُرُضٍ بأوْجُهٍ مُنْكِرات الرّقّ أحْرارِ
خلف العَضاريط من عَوْذى ومن عَمَمٍ مُرَدَّفاتٍ على أحْناءِ أكْوارِ
يُذرينَ دمعَ مَزادٍ دمْعُها دِرَرٌ يأمُلنَ رِحلَةَ حِصْنٍ وابن سَيّارِ (٤)

وقال يذكر ما يصرن إليه في قصيدة أخرى :

شُمْسٌ موانعُ كلَّ لَيْلَةِ حُرّةٍ يُخْلِفْنَ ظنَّ الفاحِشِ المِغْيارِ

---

(١) الديوان ، ص١٠٣ ، وانظر مثالا آخر ص١١١ .
(٢) الديوان ، ص٣٢ .
(٣) أشعار النساء للمرزباني ، ص٢٠٨ . وانظر أمثلة أخرى على التعبير بترك النساء في المعركة في شعر : بَدّاء بن سلمان (الإكليل ، ج ١٠ ص٧١) ، ومالك بن حَريم (الاكليل ، ج ١٠ ص١٦٢ ــ ١٦٣) ، وعمرة بنت العجلان (شرح شواهد المغني ، ج ١ ص١٠٦) .
(٤) الديوان ، ق ٧ ص٨١ ــ ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَنُكِحْنَ أبكارا وهنّ بآســـــةٍ أعْجَلْنَهنَّ مَظِنَّـــةُ الإعـــذارِ (١)

وقال ساعدة بن جُؤَيّة يصف حال المسبيات وحزنهن :

وحُرّةٍ من وراء الكور واركـــــةٍ في مركب الكره أو تمشي على جَشَمِ
يذرين دمعا على الأشفار منحدرا يَرْفُلْنَ بعد ثياب الخال في السُّرُدِم (٢)

وقال مُجَمِّع بن هلال :

وعاثرة يوم الهُمَيْمَا رأيتهـــــا وقد ضمّها من داخل الخِلْبِ مَجْزَعُ
لها غَلَلٌ في الصدر ليس ببـــارحٍ شجيٌّ نَشِبٌ والعين بالماء تـدمَـعُ
تقول وقد أفردتها من حَليلهـــا تَعَسْتَ كما أتعستني يا مُجَمِّـــعُ
فقلت لها بل تَعْسَ أخت مُجاشعٍ وقومِك حتّى خدُّك اليوم أضْـــرَعُ (٣)

وصورة المسبيات مع العضاريط(٤) أو مع العبيد من الصور التي تتكرر في الشعر الجاهلي ، فلإغاظة الأعداء الذين سبيت نساؤهم ، تصور المسبيات وهي تلهو مع العضاريط والعبيد ، قال سويد بن أبي كاهل :

ظَلَلْنَ يُنازعنَ العَضاريطَ أزْرَهـا وشيبان وسط القطقطانة حضَّـــر (٥)

وقال ضَمْرة بن ضَمْرة النَّهْشَلِيّ :

جعلت النّساء المرضعاتِك حَبْوَةً لرُكْبان سنٍّ والعُمور وأضْجَمـــا
تبزُّ عضاريطُ الخميس ثيابَهـــا فأبأَشت ربّا يوم ذلك وابْنمـــا (٦)

---

(١) الديوان ، ق ١٢ ص ١٠٣ ــ ١٠٤ . وانظر أيضا ق ٥ ب ٣١ ، ٣٢ ص ٧٢ .

(٢) شرح أشعار الهذليين ، ج ٣ ص ١١٣٨ . وتمشي على جشم : تمشي على كره . والثوب السردم : المرقع . والخال : برود جميلة .

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ، ج ٢ ص ٧١٦ ــ ٧١٨ . وانظر أمثلة أخرى في وصف حزن المسبيات وهوانهن في شعر : لبيد بن ربيعة (الديوان ، ص ٢٠٦) ، وعروة بن الورد (الديوان ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، د . ت ، ص ٨٦ ــ ٨٧) ، وامرئ القيس (الديوان ، ق ٤٥ ص ٢١٠) ، وعامر بن الطفيل (الديوان ، ص ٥١) ، وعمرو بن براق (قصائد جاهلية نادرة ، ص ١٣٠) .

(٤) العضاريط : الخدم والتبّاع .

(٥) سويد بن أبي كاهل ، الديوان ، جمع وتحقيق شاكر العاشور ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٠ .

(٦) شعر بني تميم ، ص ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال زيد الخيل :

وسائل بنا جار بن عوف فقد رأى حليلته جالت عليها مقاسمي
تلاعب وِحدان العضاريط بعدما جلاها بسهميه لقيط بن حازم (١)

وقال الأفوه الأودي :

تُناغي العضاريط المُشاةَ خرائِدٌ تُمشّح أطراف القلاص ذيولُها (٢)

ويصف الشعراء كيف كانت المسبيات تقسم بين المقاتلين بعد المعركة ، فتجعل على أسهم يخاض عليها بالقداح ، قال الأعشى :

فما بَرِحوا حتى استُحِثّت نساؤهم وأجروا عليها بالسُّهام فذَلّتِ (٣)

الشعر في طلب رد السبي

كان من المألوف ، في الوفود التي كانت تذهب لرد السبي ، أن يقف شاعر من بين الوفد يمدح ويستعطف في رد السبي ، ومن ذلك ما قاله المُثَقِّب العبدي لعمرو بن هند :

فأنْعِمْ أبيت اللّعنَ إنك أصبحت لديك لُكَيْزٌ كهلُها ووليدُها
وأطلِقْهُمُ تمشي النّساء خِلالهم مُفَكَّكَةً وَسط الرّحال قيودُها (٤)

وقال أبو صَرْد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ضمن وفد هوازن للرسول بعد معركة حنين يستعطف في ردّ سبايا هوازن :

امنن علينا رسول الله في كرم فانّك المرء نرجوه ونـدّخِر

---

(١) الديوان ، ص٩٨ .

(٢) الديوان (ضمن الطرائف الأدبية) ، ص٢٢ . وانظر أمثلة أخرى مشابهه في شعر: طفيل الغنوي (الديوان ، ص٤٦) ، وبشر بن أبي خازم (الديوان ، ص١٩) ، وعمرو بن هميل (شرح أشعار الهذليين ، ج ٢ ص٨١٥ ـ ٨١٦) .

(٣) الديوان ، ق ٤٠ ص٣١١ . وانظر أمثلة أخرى في تقسيم المسبيات في شعر : عمرو بن معديكرب (الديوان ، ص٧٧) ، والحصين بن الحمام (الاغاني ، ج ١٤ ص١٤) ، والصامت ابن أصرم (الاغاني ، ج ٢٢ ص١١٣) ، والفارعة بنت معاوية (أشعار النساء للمرزباني ، ص٩٦) ، والحارث بن غزوان الزيدي (الأشباه والنظائر ، ج ١ ص٩٣) .

(٤) المثقب العبدي ، الديوان ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٧١م ، ص١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امنن على نسوة قد عاقها قـــدرٌ مفرّقٌ شَمْلهـــا فـي دَهْرِهـــا غِيَرُ (١)

وقـال زيـد الخيل لما اسـره بنو اسـد واخذوا سبايا من قومه :

بني أُسد ردّوا علينـا نساءنـا وابناءنا واستمتعوا بالأباعِـــــرِ

وبالمال إنّ المال أُهون هالـكٍ إذا طرقَت إحدى الليالي الغوابـرِ

ولا تجعلوها سنّة يَقْتدى بهـــا بنو أسد واغفوا باید قـــوادر (٢)

وبعد اعتاق السبي يمدح الشعراء من قام بهذا الفعل الكريـــــم ، ومن ذلك قصيـدة النابغة الذبياني في مدح النعمان بن جبلة بعد اطلاقه سبايـــا بـني مـرّة من بني ذبيـان (٣) ، ومدح دريد بن الصمة يزيد بن عبد المدان بعـد اطلاقـه السبايا (٤) .

---

(١) مغازي الواقدي ، ج ٣ ص ٩٥٠ . وانظر الأبيات باختلاف في : العقد ، ج ٤ ص ١٢٩ . وتاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٨٦ ــ ٨٧ . والروض الأنف ، ج ٤ ص ١٦٦ . وعيون الأثـــر .. ، ج ٢ ص ٢٥٤ . وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ، ص ٥٠٤ .

(٢) الديوان ، ص ٦٤ ــ ٦٥ .

(٣) انظر ديوان النابغة ، ق ٣١ ص ١٦٧ وما بعدها .

(٤) انظر ديوان دريد بن الصّمّة ، ص ٤٢ . ومن الأمثلة الأخرى شعر امرأة من بني مجاشع في مدح علقمة بن سيف التغلبي ، انظر الأنوار ومحاسن الأشعار ، ج ١ ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم أعثر إلا على قليل من شعر الأرقاء في العصر الجاهلي (١) إذا استثنينا شعر عنترة العبسي ، وسحيم عبد بني الحسحاس . ومن هنا اتجهت إلى درس شعرهما بشيء من الأناة والريث . أما تفسيري للقلّة في المقطوعات التي عثرت عليها للأرقاء ، فقد يتضح مما أراه في الأسباب التالية :

١ ـ إن سعة طبقة الرقيق في العصر الجاهلي لا تعني سعة الرقيق العربي بينها ، بل إن غير العرب بينها كان هو الأوسع .

٢ ـ والأهم من ذلك أن الشاعر في العصر الجاهلي كان ـ في الغالب ـ مرتبطا ارتباطا وثيقا بالقبيلة ، ويعدّ شعره مفخرة من مفاخرها ، وكان الرقيق يعيش على الهامش من الحياة القبلية ، وإذا افترضنا أن عددا من الأرقاء كانوا يقولون الشعر في ذلك العصر ، فإن الاهتمام بروايته وإذاعته بين الناس أمر ليس باليسير ، إلا إذا حمل هذا الشعر شيئا خاصا مميزا ، ووجد الناس فيه وفي سيرة صاحبه ما يستحق الرواية من وجهة نظرهم كما كان الحال مع عنترة وسحيم .

وبدا لي في قسم من المقطوعات التي عثرت عليها منسوبة لبعض الأرقاء الصعوبة في تبين الأثر الواضح من الرق فيها ، إذ يتحدث بعض هذه المقطوعات عن عواطف إنسانية عامّة ، ومن ذلك مقطوعة تنسب للسُّلكة أمّ السُّليك في رثائه ، ومطلعها :

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك (٢)

ولا يظهر في هذه المقطوعة أثر لصدورها عن أمة ، وإنما هي مشاعر تتشابه فيها كلّ الأمهات . وهناك أيضا بيتان ينسبان لبلال بن رباح قالهما حين هاجر من مكة إلى المدينة ، يذكر فيهما حبّه لمكّة :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بوادٍ وحولي إذْخرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يوما مياه مِجنَّةٍ وهل تَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطفيل (٣)

---

(١) أعني هنا الأرقاء الذين تحرروا والذين بقوا في الرق ، فالذين تحرروا لا يستطيعون الخلاص من ماضيهم العبودي ، ولعل عنترة أكبر الأمثلة على ذلك كما سيتضح .

(٢) انظر المقطوعة كاملة في (شعر بني تميم ، ص ٩٣) .

(٣) صحيح البخاري ، ج ٧ ص ١٥١ ، ١٥٨ . وانظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٢٢٩ . وفتوح =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المقطوعات التي يظهر أثر الرق فيها ، فمنها قول جندل مولى عدى ابن حاتم يفخر بأنه مُحرَّر الرجال دون النساء :

وما فك رقّي ذات دلّ خريدة ولا أخطأتني غرة وحجول
تماني إلى العلياء أبيض ماجد فأصبحت أدري اليوم كيف أقول (١)

وبعض هذه المقطوعات تعبر عن حالة المسترق الذي سبي وهو صغير ، وينسب إلى أحد هؤلاء (واسمه جحيش) قوله :

أما لك أمّ فتدعى لها ولا أنت ذو والد يُعْرَفُ
أرى الطير تخبرني أنني جحيش وأن أبي حرشَفُ
يقول غراب غدا سانحا وشاهده جاهدا يحلفُ
بأنّي لهمدان في غرّها وما أنا جافٍ ولا أهيفُ
ولكنني من كرام الرجال إذا ذكر السيّد الأشرفُ (٢)

البلدان ، ص٢٥ . وسمط اللآلي ، ج ١ ص٥٥٨ . والحماسة البصرية (تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م) ج ٢ ص١٣١ . ومعجم البلدان (شامة) ، و(مجنة) ، و(مكة) ، و(فخ) . ووفاء الوفا ، ج ١ ص٥٦ . والروض المعطار ، (شامة) ، و(طيبة) ، و(طفيل) . والإذخر والجليل : نباتان طيبان . وشامة وطفيل : موضعان . وفي (طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص٢٣٥) يروى بيت آخر لبلال .

ومن الأرقاء الذين ينسب لهم بعض الأبيات ، أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، (انظر طبقات ابن سعد ، ج ٢ ص٣٣٢-٣٣٣) وعامر بن فُهَيرة (انظر السيرة النبوية ، ج ٢ ص٢٣٨ - ٢٣٩ . وفتوح البلدان ، ص٢٥ . ووفاء الوفا ، ج ١ ص٥٧) . وهناك بيت لإحدى الولائد في (صحيح البخاري ، ج ١ ص١١٩) . وفي (ديوان الهذليين) مقطوعة لشاعر اسمه حبيب أخو عمرو بن الحارث ، ويروى أنه كان من الأرقاء (انظر شرح أشعار الهذليين ، ج ٢ ص٨٦٩ - ٨٧٠) .

(١) ربيع الأبرار ، ج ٣ ص٢٤ . والبيتان في (البيان والتبين ، ج ٣ ص٣١٢) منسوبان لجندل ابن صخر .

(٢) مجمع الأمثال ، ج٢ ص ١٠٧ . وهناك شعر ينسب إلى زيد بن حارثة قاله وهو عند الرسول صلى الله عليه وسلم (انظر طبقات ابن سعد ، ج ٣ ص٤١ . والروض الأنف ج ١ ص٢٨٦ . والإصابة ج٢ ص٥٩٩ . وخزانة الأدب ، ج ٢ ص٣٠٦) . وتبدو الصنعة في شعر هؤلاء ، إلا أنه قد يصلح للتمثيل على ما يظن أنه قد قيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذه الاشارات السريعة إلى شعر بعض الأرقاء المغمورين ، سأحاول تبيّن أثر الرق في شعر أهم شاعرين انتميا لطبقة الرقيق في العصر الجاهلي : عنترة وسحيم .

عنترة

تنقسم القصائد والمقطوعات التي يضمها ديوان عنترة (١) من زاوية اهتمام دراستي هذه ، ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يظهر فيه أثر الرق بأشكال مختلفة (٢) ، وسيكون هذا القسم محطّ اهتمامي في الحديث عن شعر عنترة .

٢ ـ قسم لم أستطع أن أتبين الأثر الواضح للرق فيه ، وبدا لي صعوبة تلمس شخصية عنترة في هذا الشعر (٣) . وأميل هنا إلى التشكك في صحة نسبة بعض هذا الشعر إلى عنترة ، فالقصيدة (رقم ٢٤) مثلا يعلو فيها حس الفخر الجماعي القبلي ، ويخفت فيها الحس الفردي خفوتا ليس معروفا في شعر عنترة ، ولا يتفق مع شخصيته التي يميّزها الطابع الفردي (٤) .

٣ ـ قسم بيّن المخالفة لشخصية عنترة ولما يمكن أن يصدر عنه ، فمثلا ينسب إليه قوله يمدح الفرسان :

ليسوا كأقوام علمتُهُمُ سودِ الوُجوه كمَعْدِنِ البُرْمِ (٥)

فكيف لعنترة الأسود أن يجعل السّواد نقيصة في الإنسان ؟!

---

(١) أعني هنا الديوان الذي حققه محمد سعيد مولوي معتمدا أساسا على ديوان الشعراء الستة الجاهليين وشرحه .

(٢) من أهم هذه الأشكال الشعور الحاد بالنقص وعدم الاستقرار النفسي ، وسيتضح هذا في تحليلي بعض قصائده ، وتظهر بعض الأبيات في القصيدة (رقم ٤) مدى تأثر الشاعر بقربه من الإبل ورعايته لها (انظر الابيات ٨ ـ ١١ ص٢٣٦ ـ ٢٣٨) .

(٣) من ذلك مقطوعات عديدة في الفخر بالقوة ، انظر مثلا المقطوعات رقم ١٣ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٤) يشير راوي الديوان إلى أن هذه القصيدة منحولة ، انظر الديوان ، ص٢٩٧ .

(٥) الديوان ، ق ١٢ ص ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدا لي أن الطريقة المثلى لبيان أثر الرق في شعر عنترة تحليل بعض نماذجه الدّالة ، وسأحاول فيما يلي تحليل ثلاث قصائد ، وهي الأكثر طولا في القسم الذى يعنينا من شعره (١) .

قصيدة رقم "١" (المعلقة)

يبدأ الشاعر قصيدته (٢) بالمقدمة الطللية التقليدية :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهّمِ
أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصمّ الأعجم
ولقد حبست بها طويلا ناقتي أشكو الى سُفُعٍ رواكدَ جُثّمِ

تظهر أزمة الشاعر منذ مطلع القصيدة ، ويشي هذا المطلع بما يشعر به الشاعر من نقص وتخلف عن الآخرين . ويجسد البيت الثاني مأساة عنترة ، فبعد كل هذا الكفاح للتساوى مع الآخرين ، لم يصل إلى النتائج المؤملة ، وكان حديث الدار ـ الحياة ـ رغم ما بذله في دفعها إلى الافصاح حديث الأصمّ الأعجم الذى يجمجم ولا يبين .

ولكن الشاعر يتشبث بدعوة الدار إلى الكلام :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

وفي طلب الشاعر من الدار ـ الحياة ـ أن تتكلم ودعوته لها بالسلامة ، تأتي المرأة كالحلم :

دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيذة المتبسم

فإذا سلمت له الحياة تصبح المرأة طوع العناق لذيذة المتبسم (٣) .

وتغيب لحظة الحلم ، ويعود الشاعر إلى طلله وشكواه وحسرته على رحيل

---

(١) نهجت هذا النهج لسببين متداخلين ، الأول : أن شعر عنترة الذى يعنينا هنا أغلبه مقطوعات قصيرة تقصر دون توضيح الفكرة كاملة ، على عكس القصائد الطويلة التي تسمح بتحليل أكثر اقناعا . والثاني : أن تحليل القصيدة كاملة يعطي الفرصة لبيان بعض القضايا التي لا يمكن أن يوضحها أسلوب الإشارة إلى بعض الموضوعات العامة في القصائد .

(٢) انظر الديوان ، ص ١٨٥ ـ ٢٢٢ .

(٣) سيتضح لاحقا ، في هذه القصيدة وغيرها ، أن عنترة كان يعاني من صدّ المرأة له ، ولهذا يأتي وصلها هنا كالحلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة :

فوقفت فيها ناقتي وكأنّها ... فَدَنٌ لأقضي حاجة المُتلوِّم
وتحلّ عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصّمّان فالمتثلّم
حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
شطّت مزار العاشقين فأصبحت ... عَسِرا عليّ طِلابُك ابنة مَخْرَم

الحبيبة بعيدة الآن ، والشاعر عاجز عن الوصول إليها ، فلا بدّ من تبرير لهذا العجز (١) ، علّ نفسه تجد بعض الراحة :

عُلّقتها عرضا وأقتل قومها ... زَعْما وربّ البيت ليس بمزعم

وإشارته إلى أن قتل قومها كان زعما ، ومحاولته الدفاع عن هذا الزعم ، تدلان على احساس الشاعر بأن ذلك مجرد تبرير لعجزه في الوصول إليها . وفي هذا التبرير نلحظ الأساس الذي يعتمد عليه الشاعر في محاولته الوصول إلى التوازن والاستقرار النفسي ، وهو فعل القوة التي تحطّم الآخرين .

ويتكرر الحديث عن رحيل المرأة وعجزه عن الوصول إليها ، فيبدو أن هذا الأمر يؤرقه كثيرا :

كيف المزار وقد تربّع أهلها ... بعنيزتين وأهلنا بالغَيْلَم
إن كنت أزمعت الفراق فإنما ... زُمّت ركابكم بليل مظلم
ما راعني إلا حمولة أهلها ... وسط الدّيار تسفّ حبّ الخُمْخُم
فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسْحَم

يحاول الشاعر تبرير عجزه فسي الوصول للمرأة ببعد مكانها ، وحين حدث الفراق كان مفاجئا مما ترك الشاعر عاجزا لا يقدر على شيء . ومما يلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يشير إلى السواد مبيّنا جماله ونفاسته (الشاعر أسود) ، فالنياق السود نادرة وثمينة في المجتمع الجاهلي ، ويصبح الغراب الأسود نذير الشؤم عند العرب ، صورة للخير والندرة والنسب الكريم .

---

(١) يشير د . كمال أبو ديب في دراسته لقصيدة عنترة هذه غير مرة إلى عجز الشاعر أمام المرأة ، ومحاولته تبرير هذا العجز أو التغلب عليه ، راجع كتابه : الرؤى المقنعة ((نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي))، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٦٤ ــ ٢٩٠ . وقد أفدت من بعض ما جاء في هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحديث عن الرحيل مرة أخرى يمتد لحلم آخر :

إذ تستبيك بأعلتيّ ناعم ... عَذْبٍ مقبّله لذيذ المَطْعَم
وكأنما نظرت بعينيّ شادنٍ ... رشأ من الغزلان ليس بتوأم
أو روضة أنفا تضمّن نبتها ... غيث قليل الدّمن ليس بمَعْلَم
(أو عانقا من أذرعات معتّقا ... مما تعتقه ملوك الأعجم)
جادت عليها كلّ عين ثرّة ... فتركن كلّ حديقة كالدرهم
سحّا وتسكابا فكلّ عشيّة ... يجرى عليها الماء لم يتصرم
فترى الذباب بها يغنّي وحده ... هزجا كفعل الشارب المترنّم
غردا يسنّ ذراعه بذراعه ... فعل المكبّ على الزناد الأجذم

وبعد هذا الحلم الطويل الجميل الذى يحاول به الشاعر العثور عما يعوضه من رحيل المرأة وعجزه أمام هذا الرحيل ، يصحو على الحقيقة :

تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة ... وأبيت فوق سراة أدْهَم مُلْجَم
وحشيّتي سرج على عَبْل الشّوى ... نَهْدٍ مراكِلُه نبيل المَحْزِم

ولا يفصح البيتان عن البعد بين الشاعر والحبيبة وحسب ، بل قد نحسّ وكأن الشاعر حانق على الحبيبة التي تنام على حشيّة ، بينما ينام هو على ظهر الجواد ، ونلحظ أيضا أن الشاعر يلجأ مرة أخرى للحديث عن قوته وفروسيته لتغطية عجزه أمام المرأة .

المرأة بعيدة الآن ، ولا بد للشاعر من الوصول إليها ، فما الذى يمكنه من ذلك ، هل تستطيع القوة المتمثلة بناقة قوية ضخمة فيها أكمل صفات الحيوية والنشاط فعل ذلك :

هل تبلغنني دارها شدنية ... لعنت بمحروم الشّراب مصرّم
خطّارة غبّ السُّرى زيّافة ... تقص الإكام بكلّ خفّ مَيْثَم
وكأنما أقص الإكام عشيّة ... بقريب بين المنسمين مُصَلَّم
يأوى إلى حِزَق النّعام كما أوت ... حزقٌ يمانية لأعجم طَمْطَم
يتبعنَ قُلَّة رأسه وكأنّه ... زوج على حرج لهنّ مُخيَّم
صَعْلٍ يعود بذى العشيرة بيضه ... كالعبد ذى الفرو الطويل الأصْلَم
شربتْ بماء الدّحْرُضَيْن فأصبحت ... زوراءُ تنفر عن حياض الدّيْلم
وكأنّما ينأى بجانب دفّها ... الوحشي بعد مخيلة وتزغُّم
هرّ جنيب كلما عطفت له ... غضبى اتقاها باليدين وبالفم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبقى لها طول السّفار مُقرْمَـــدا سَنَدا ومثل دعـائـــم المُتخيَّم
بركت على ماء الرّداع كأنّمـــا بركت على قَصَب أجشّ مهضَّـــم
وكأنّ رَبّا أو كُحَيْلا مُعقَـــدا حشّ القيان بـه جوانب قُمْقُـــم
ينباع من ذفرى غَضوب حـــرة زيّافـة مثل الفنيـق المُقْـــرَم

وإذا كان من المعتاد أن يشبه الشعراء الجاهليون الناقة بالظليم ، فعنترة يستغـــل تشابه لونه بلون الظليم، ويوظّف هذا التشبيه توظيفا خاصا به ، فيجعل الظليم سيّـــدا تأوى إليه حزق النعام ويتبعن رأسه المرتفع عاليا ، ويتبين مراد الشاعر في تشبيهـــه لحزق النعام هذه بجماعات اليمانيين التي تأوى إلى أعجم طمطم (صورة غريبـــة)، ولكنّها توضح ما في نفس الشاعر ، فالأعجم هنا حبشي (كما يشير شارح الديـــوان وكما أرجح ، فالحبشة هي الأقرب لليمـن وكانت تحتلها) والشاعر أسود وأمه حبشيـــة ، فـالحبشي إذن سيد الجماعات اليمانية العربية ، هل يرضي هذا نفس الشاعر التي ذاقت كثيرا من العرب بسبب أصل أمه ؟ ويغدو تشبيه الشاعر بالظليم بالعبد بعـد ذلك ، ليس من أجل تشابه لونيهما ، بل يصبح هذا التشبيه تكريما للعبد (للشاعر) .

ويتبين من الأبيات السابقة شبه الناقة بالشاعر وتوحده بها أحيانا ، فالناقـة تنفر عن حياض الأعداء ، وتبقى في غاية القوة والنشاط . ويتضح توحدهما أكثر فـي نهاية وصف الناقة ، فهي غضوب حرة ، ويلقي هذا الوصف ضوءا على أزمة الشاعر ، فهـو لا يريد أن ينال حرية الانعتاق من العبودية وحسب ، بل يريد أن يكون غضوبا أيضـا ، وهذه من صفات السادة الأحـرار .

وقد تستطيع القوة المتمثلة بالناقة أن توصل جسد الشاعر إلى الحبيبـــة ، لكنها لا تستطيع دفع الحبيبة إلى تقبل الشاعر وحبه :

إن تغدفي دوني القناع فإننـــي طبّ بأخذ الفـارس المُستلئـــم
أثني علي بما علمت فـإننـــي سَمْحٌ مُخالقتي إذا لـم أُظلـــم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باســـل مـرّ مذاقته كطعـــم العلقـــم

بعد كل هذا الجهد تغدف دونه القناع، يصاب الشاعر بصدمة قوية ، وتبدو كلمـــة تغدف مرة قاسية ، ويبدو القناع الذي أغدف ستارة سوداء غطّت كلّ الأشياء الجميلـــة التي كان يحلم بها . وبسرعة ، وقبل أن يصرعه الموقف، يحاول الشاعر موازنة نفســـه فهو قويّ يعرف كيف يصرع الفارس المستلئم ، ومن جديد تبرز القوة أمام عجزه قبالـــة المرأة .

وقد نحـس في دعوة الشاعر الحبيبة للثناء عليه ، وحديثه عن مرارة طعـــم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظلمه ، وكأنّ هناك وعيدا مبطّنا للمرأة ، ويبدو هذا الأمر غريبا ، هل يفكّر الشاعر في الحصول على حبها بالقوة أيضا ؟! ويظهر هذا الأمر شدّة ضيق الشاعر من موقف المرأة (أشرت سابقا إلى شعوره الحانق عليها) ، فهي تهزمه دائما وتظهر عجزه مما يحدث الاضطراب في نفسه ، ونفسه تتوق للاستقرار ، وهو يواجه هذا دائما بالحديث عن فعل القوة والبطولة لديه .

ويعي الشاعر أن الحديث عن القوة أمام المرأة ليس كافيا ، فلا بدّ من صفات أخرى :

ولقد شربت من المدامة بعدما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرّة ... قرنت بأزهر في الشّمال مُفَدَّم
فإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يُكْلَم
وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرّمي

فهو ليس فارسا قويا وحسب بل سيد مترف كريم أيضا . ولا يكاد الشاعر يترك حديث قوته حتى يسارع بالعودة إليه مفضّلا القول فيه في مشاهد متعددة :

وحليل غانية تركت مجدّلا ... تحكو فريصته كشدق الأعلم
عجلت يداى له بمارن طعنة ... ورشاش نافذة كلون العَنْدَم

وهذان البيتان يشيان بالكثير ، فالذى اختاره الشاعر ليصرعه مظهرا قوته أمام الحبيبة ، حليل غانية ، والشاعر لم يستطع أن يكون حليلا للغانية التي يريد . وصورة الدم المتفجر الذى يلون معظم المشهد تظهر شدة حقد الشاعر على حليل الغانية هذا (ستتكرر هذه الصورة لاحقا) .

وتتوالى مشاهد القوة في محاولة لإقناع المرأة الرافضة ، أو لإحداث التوازن في نفس الشاعر :

هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح ... نهد تعاوره الكُماة مكلَّم
طورا يعرّض للطّعان وتارة ... يأوى إلى حصد القِسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقائع أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم

فالخيل تعرفه إذا لم تعرفه المرأة ، وعندما يكون الشاعر فوق حصانه يتوحدان ، فهما يتعرضان للطعان تارة ، ويأويان إلى حصد القسي تارة أخرى . وفعل القوة عند الشاعر ليس وسيلة لكسب الغنائم كما هي الحال عند أكثر القوم ، بل هو أساس وجوده الفردى ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطريقة الوحيدة لإثبات هذا الوجود .

ويواصل الشاعر التغنّي بقوته في صورة أخرى :

ومدجّج كره الكماة نزالـــه ... لا ممعن هربا ولا مستسلـــم
جادت يداى له بعاجل طعنة ... بمثقّف صَدْق القنـاة مقـــوَّم
برحيبة الفرغين يهدى جَرْسُها ... بالليل معتسّ السّباع الضُـــرَّم
كمشت بالرمح الطّويل ثيابـــه ... ليس الكريم على القنا بمحـــرّم
وتركته جزر السبـاع ينشنـــه ... ما بين قلة رأسه والمِعْصَـــم

يحاول الشاعر هنا أن يسبغ كل صفات القوة على خصمه ، كي تكون القوة المنتصرة هـــي الأعظم والأكمل . والصورة التي يصرع فيها الشاعر خصمه صورة مروعة مفزعة تفصح عـن حقد الشاعر العميق على هذا الخصم . ولا نجد في النص مسوغا واضحا لكل هذا الحقد ، فالفارس المصروع لم يكن قد قتل حبيبا أو قريبا للشاعر ، أى أن الرغبة في الانتقام التي قد تبرر مثل هذا الحقد ليست موجودة هنا . ولكنّ هذا الفارس كريم النسب ، وتضيء كلمة الكريم ما يختبيء في نفس الشاعر وتفضحه ، فالشاعر يختار خصمه هذا من ذوى النسب الكريم ، ويشير ذلك إلى مشكلة النسب التي يعاني منها الشاعر بشكل حاد .

ويتضح الأمر السابق من الصورة الأخرى التي يرسمها الشاعر لخصمه :

ومشك سابغة هتكت فروجهـــا ... بالسيف عن حامي الحقيقة معلـم
رَبِذٍ يداه بالقداح إذا شتـــا ... هتّاك غايات التجار مُلـــوَّم
بطل كأن ثيابه في سَرْحـــة ... يُحذى نعال السبت ليس بتـــوأم
لما رآني قد قصدت أريـــدُه ... أبدى نواجِذَه لغيـــر تبسُّـــم
فطعنته بالرمح ثم علوتـــه ... بمهنّد صافي الحديدة مِخْـــذَم
عهدى به شدّ النهار كأنمـــا ... خُضِب اللّبان ورأسه بالعِظْلِـــم

الفارس المصروع هذه المرة حامي الديار والقبيلة ، وهو غني جواد من علية القوم ، فـــلا يحذى إلا نعال الملوك . ويلاحظ أن أغلب صفات هذا الفارس ليست متصلة بالقـــوة ، بل بالسيادة وعلوّ المكانة ، وهذا قلق عنترة وهمّـه . ومرة أخرى يظهر حقد الشاعر على خصمه السيد ، فهو يقتله ويجعل دمه يغطي صدره ورأسه (يغطي لون الدم مـــرة أخرى على المشهد) ، وتفصح لفظة (علوته) عن مكونات نفس الشاعر ، هل هذا حقـــد على هذا العلو ؟! أم محاولة لتحقيق العلو الأكمل ؟!

وأمام ما يلاحظ من تكرار للحديث عن الدم الذى يفجره الشاعر من خصومـــه ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلح سؤال : لماذا كل هذا الإلحاح على تفجير الدم ؟ هل يساعد هذا التفجير في التنفيس عن الشاعر وفي تفريغ شحنات غضبه عندما يواجه رفض المرأة له أو عندما تذكره القبيلة بأصله ؟ هل تفجير الدم من الجسد يجعله يشعر بالراحة لأنه يفجّر أساس النسب الذى يسعى إليه (١) ؟ أم أن هذا التفجير محاولة لاثبات المساواة بين الناس؟ فلون الدم واحد للعبد والحر ، للأبيض والأسود .

بعد عرض الشاعر المفصّل لقوته ، هل يستطيع نوال الحبيبة ؟ :

يا شاة ما قنصٍ لمن حلّت لـه ... حرمت عليّ وليتها لم تَحْـرُم

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ... فتحسسي أخبارها لـي واعلمي

قالت رأيت من الأعادى غـرّة ... والشاة ممكنة لمن هـو مرتـم

فكأنما التفتت بجيد جدايـة ... رشأ من الغزلان حرّ أرثـم

يبدو أن كل ما سبق كان عبثا ، فالمرأة حَرمت عليه ، ومع أن الأمر يبدو وكأنه قد انتهى ، فان الشاعر يحاول أن يجد طريقا ، ويركن إلى القوة مرة أخرى ، هل يحاول الشاعر الحصول على الحبيبة بالقوة ؟ ولكن القوة أخفقت في السابق ، فهل هذه تعزية للنفس فقط ؟ يبدو ذلك ، فالشاعر يسكت عن حديث المرأة ويتوجه إلى العلاقة الأخرى التي تؤرقه ، علاقته مع القبيلة :

نُبئت عمرا غير شاكر نعمتـي ... والكفر مخبثة لنفـس المُنْعَـم

تبدو العلاقة مع القبيلة ، أو مع بعضها ، غير سوية ، ويبدو أنهم لا يعترفون به كما يُحبّ ، وينظرون إليه نظرة تذكره بعبوديته على الرغم من أنه يخوض معاركهم :

ولقد حفظت وصاة عمّي بالضُّحى ... إذ تَقْلِص الشفتان عن وَضَح الفـم

---

(١) في ضوء الحديث عن أبناء الإماء في الباب الأول من هذه الدراسة ، حيث حاولت أن أثبت أن العرب لم تكن تستعبد أبناءها من الاماء كما كان يظن (انظر ص ٣٢ـ٣٥) وفي ضوء شعر عنترة ، أرى أنّ قصة انتساب عنترة لشدّاد مشوشة ، وأميل إلى أن عنترة لم يكن ابنا لشداد ، أو أن شدادا لم يكن متأكدا من صحة انتساب عنترة إليه ، وحصول عنترة على الحرية والنسب كان بفضل قوته في مجتمع يقيم شأنا عاليا للقوة ، ولكن هذه القوة لم تستطع أن تمنح عنترة ـ في جميع أوقاته ، وخاصة في أوقات السلم ـ اعتراف الناس الكامل به وبسيادته ، ومن هنا جاء حقده على النسب الذى بدونه لن يصبح سيدا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حومة الموت التي لا تشتكي غمراتها الأبطال إلا تَغمغم

وهو الذى يحمي القبيلة التي تتقي به الأسنة ، ويكر حين يتذمّر فرسانها :

إذ يتقون بي الأسنة لم أخِم عنها ولو أنّي تضايق مُقْدمي

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمَّم

ويمضي الشاعر بالتغنّي ببطولته وفروسيته ، علّه يجلب الراحة لنفسه التي آلمها موقف القبيلة التي لا تشكر نعمته :

يدعون عنتر والرّماح كأنّها أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتّى تسربل بالدّم

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرةٍ وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى أو كان يدرى ما جواب تكلّمي

والخيل تقتحم الغبار عوابسا ما بين شيظمة وأجرد شيظم

وهكذا يعود الشاعر إلى حصانه ، إلى صديقه الذى يقبله، ويتوحد فيه، في حين ترفضه القبيلة وتعمل على فصمه عنها .

ويأتي البيت التالي ليوضح بجلاء سبب الاضطراب في نفسية الشاعر ، وسبب قلقه وحزنه وغضبه :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر قَدِّم

فنفسه مصابة بعقدة النقص التي لمحناها في مطلع القصيدة ، ولن يشفيها إلا اعتراف القبيلة بأهميته وسيادته ، والقتال يوفر له هذا ، ولذلك فهو يعشقه في كل وقت ، ويكثر من التغني به ، ففيه لحظات النشوة والرضا ، في المعركة يعترف به الجميع ويصبح سيدا أمام الجميع ، ولا ينسى الشاعر أن يضيف لقوته رجاحة عقله :

ذلل جمالي حيث شئت مشايعي لُبّي وأحفزه بسرأى مبرم

وإذا كانت القبيلة تعترف به وقت الحرب ، فإنّه يحتاج إلى اعتراف المرأة وقت السلم ، كي ينالها ، وبما أنّه يعرف ما في ذلك من صعوبة ، فإن الحديث عن القتال والسيادة وشفاء النفس فرصة مناسبة لتبرير العجز الذى يبقى أمام المرأة :

إنّي عداني أن أزورك فاطمي ما قد علمت وبعض ما لم تعلمي

حالت رماح بني بغيض دونكم وزوت جوانبي الحرب من لم يجرم

فهو مشغول بالحرب ، ولا مجال لزيارة المرأة ، ولعل الشاعر يحاول بذلك تهدئة نفسه ، ولكن الأبيات تشي أيضا بعجز الشاعر الدائم أمام المرأة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأتي الأبيات الأخيرة لتؤكد خيار القوة الذى يواجه الشاعر به كل مشكلاته:

ولقد كررت المهر يدمى نحـره ... حتى اتقتني الخيل بابني حذيم
ولقد خشيت أن أموت ولـم ... تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهمـا ... والناذرين إذا لم ألقهما دمـي
إن يفعلا فلقد تركت أباهمـا ... جزرا لخامعة ونسـر قشعم

توضح القصيدة (المعلقة) أزمة عنترة، وهي شعور حاد ومعذب بالنقص، ويتنامى هذا الشعور في القصيدة، ويتشكل في صور مختلفة تتضح فيها رؤية الشاعر الخاصة للعلاقات في مجتمعه، ويظل الشاعر يلهث باحثا عن التوازن، فيصبح فخره دفاعا عن النفس، فهذا الفخر يأتي بعد أن يشعره الآخرون بضآلته، المرأة ترفضه وتغدف دونه القناع، ويقف أمامها عاجزا، والقبيلة لا تشكر نعمته، وتحاول القصيدة الوصول إلى الاستقرار النفسي والتوازن، وذلك بالتغني بالقوة والبطولة والفروسية.

قصيدة رقم ٦

يبدأ الشاعر قصيدته (١) بالوقوف التقليدى على الطلل:

طال الثواء على رسوم المنـزل ... بين اللكيك وبين ذات الحَرْمَل
فوقفت في عرصاتها متحيّرا ... أسل الديار كفعل من لم يَذْهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها ... والرامسات وكل جَوْن مُسْبِل
أفنن بكاء حمامة في أيكة ... ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل
كالدرّ أو فضض الجمان تقطعت ... منه عقائد سلكه لم يوصل

يبدو الشاعر متحيرا في وقفته هذه، فلماذا هذه الحيرة؟ ألأنه لا يستطيع تفسير ما يحدث للديار (لا يستطيع تفسير الرحيل)، أم أنه لا يستطيع تفسير ما يحدث له مع قبيلته (سيتضح هذا لاحقا). والشاعر لا يترك الأطلال خالية من الحياة بعد أن لعبت بها السيول والأنواء، بل يشير إلى وجود حمامة حزينة كالشاعر، ويلوح سؤال: لماذا اختار الشاعر الحمامة هنا للدلالة على وجود الحياة؟ وكثير من الشعراء يختارون الظباء والنعام والبقر الوحشي، ألأن الحمامة طائر، والطائر مثل أسمى للحرية التي يشكل البحث عن شكلها الكامل أزمة الشاعر؟.

---

(١) الديوان، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنتقل القصيدة الآن للحديث عن فعل البطولة لدى الشاعر :

لما سمعت دعاء مرّة إذ دعـا ودعاء عبس في الوغى وتحـلّـل
ناديت عبسا فاستجابوا بالقنـا وبكلّ أبيض صارم لـم ينجـلي
حتى استباحوا آل عوف غـوةً بالمشرفيّ وبالوشيج الذُبّـل

هنـو الفارس الذى يستجيب للدعاء ، لكنه ليس كأى فارس ، هو أحد سادات القبيلة الذين يدعون أيضا فيجاب دعاؤهـم .

ويوضح البيت التالي أزمة الشاعر بجلاء ، فهو يحاول إحداث التوازن بيـن نسبه وقوتـه :

إني امرؤ من خير عبس منصبـا شطرى وأحمي سائرى بالمنْصُـل

فالشاعر هنا يدافع عن نفسه ، وقد أشرت سابقا إلى أننا نحس أن الدفاع هو المسيطر في فخر عنترة ، وفي هذا الدفاع يذكر الشاعر مآثره على قومه :

إن يلحقوا أكرر وإن يُستلحمـوا أشدد وإن يُلفوا بضنـك أنـزل
حين النزول يكون غاية مثلِنـا ويفرّ كلّ مضـلّل مُستوهِـل
ولقد أبيت على الطّوى وأظلّـه حتى أنال به كريـم المأكـل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيرا من معـمّ مُخْـول

فهو الذى ينقذهم حين يُحاط بهم ويُدركون ، وهو الذى يحميهم حين يفر الجبناء ، وهو لا يطمع في الغنائم فلديه قدرة كبيرة على الجوع ، ولكنه يطمع في أن يعترف به سيدا كريما . ويواصل الشاعر الدفاع عن نفسه أمام نظرات القوم غير المحببة ، فهـو خير من معم مخول ، وتشي هذه الأبيات بالحيرة التي برزت في الحديث عن الطلـل ، فما دام أمره كذلك ، فلماذا يعامل معاملة لا تتناسب مع فعله ودوره ؟

ويواصل الشاعر التغني بقوته معنى وجوده :

والخيل تعلم والفوارس أننـي فرّقت جمعهم بطعنة فيصـل
إذ لا أبادر بالمضيق فوارسـي أولا أوكّـل بالرعـيل الأوّل
ولقد غدوت أمام راية غالـب يوم الهياج وما غدوت بأعـزل

وتوضح هذه الأبيات انشغال عنترة بالتفكير بالسيادة ، فالصفات التي يذكرها لنفسه هنا صفات السادة الفرسان .

ولكـنّ كثرة العراك والقتال تودى إلى الموت ، والشاعر يدرك أن من عـاش بالسيف مات به ، لكن القتال عند الشاعر له أهمية قصوى تتعلق بوجوده الفردى قبـل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أى شيء آخر ، فالقتال هو الذى يعطي وجوده معنى ، هو الحرية ، هو لحظات الحياة الحقيقية التي فيها يعترف به الجميع ، لكن النفس تخاف الموت ، فلا بدّ من تهدئتها :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل ... لا بدّ أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... إنّي امرؤ سأموت إن لم أُقتل

وبهذه الرؤية البسيطة يحاول الشاعر أن يعيد الهدوء إلى نفسه الخائفة من الموت ، ولكن الأمر ليس سهلا ، والنفس تريد شيئا أكثر اقناعا ، وبما أن الشاعر لا يستطيع إلا أن يكون مقاتلا ، فلا سبيل إذن إلى الانتصار على الموت إلا بأن يكون هو الموت نفسه :

إن المنية لو تمثّل مُثّلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل
والخيل ساهمة الوجوه كأنّما ... تُسقى فوارسُها نقيع الحنظل

فقد يساعد ذلك نفس الشاعر التي تدرك أن القتال خيار واع لا مجال لغيره :

وإذا حملت على الكريهة لم أقل ... بعد الكريهة ليتني لم أفعل

قصيدة رقم ٧

إذا كانت القصيدة السابقة تشير إلى طبيعة العلاقة بين عنترة والقبيلة ، فهذه القصيدة (١) تشير إلى علاقته بالمرأة . وتبدأ هذه القصيدة بالحديث عن الصدّ واللامبالاة التي يلقاها الشاعر من المرأة :

عجبت عبيلة من فتى متبذّل ... عارى الأشاجع شاحب كالمُنصل
شعث المفارق منهج سربالُه ... لم يدّهن حولا ولم يترجّل
لا يكتسي إلا الحديد إذا اكتسى ... وكذاك كل مغاور مستبسل
قد طال ما لبس الحديد فانّما ... صدأ الحديد بجلده لم يُغسل
فتضاحكت عجبا وقالت قولة ... لا خير فيك كأنها لم تَحفل
فعجبت منها كيف زلّت عينها ... عن ماجد طلق اليدين شَمَرْدَل

يحاول الشاعر تبرير صدّ المرأة له ، وعدم قبولها منظره ، بكثرة حروبه ولبسه الحديد ،

---

(١) الديوان ، ص٢٥٣ ــ ٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحسّ الشاعر بضعف هذا التبرير، فيصرّح بموقف المرأة التي لا ترى فيه خيرا مهما يفعل، فعدم قبولها له ليس متعلقا بكل ذلك، بل بشيء آخر يعرفه الشاعر ويصرّ على اخفائه، ولكن الأبيات تشي به . ويحاول الشاعر تجاهل ذلك والتعجب من موقفها ولا يَخفى أن هذا العجب لا يعدو تعزية للنفس التي تشعر بعمق ألمها .

وفي محاولة يائسة يطلب الشاعر من المرأة أن لا تتسرع وتراجع فيه البصيرة (وليس البصر الذى سيكون في غير صالحه) :

لا تصرميني يا عبيل وراجعي ... فيّ البصيرة نظرة المتأمل

وأمام هذا الموقف يلجأ الشاعر للحديث عن مزاياه، علّه يعيد لملمة نفسه التي تشظّت :

فلربّ أملح منك دلا فاطمي ... وأترّ في الدنيا لعين المُجتلي

وصلت حبالي بالذى أنا أهله ... من ودّها وأنا رخيّ المطول

يبدأ بالمرأة، فقد وصلته من هي أجمل من عبلة، ولكن الحديث عن المرأة الواصلة ينتهي سريعا، فالشاعر يستعجل الحديث عن جوهر وجوده وأهم مزاياه :

يا عبل كم من غمرة باشرتها ... بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي

فيها لوامع لو شهدت زهاءها ... لسلوت بعد تخضّب وتكحّل

إمّا تريني قد نحلت ومن يكن ... غرضا لأطراف الأسنّة ينحل

وهكذا يأتي الحديث عن القوة لموازنة النفس التي صدمها هذا الصدود .

ويمضي الشاعر يفصّل حديث بطولته :

فلربّ أبلج مثل بعلك بادنٍ ... ضخم على ظهر الجواد مُهبَّل

غادرته متعفرا أوصاله ... والقوم بين مُجرّح ومُجدّل

فيهم أخو ثقة يضارب نازلا ... بالمشرفيّ وفارس لم يَنْزل

ورماحنا تكف النّجيع صدورها ... وسيوفنا تُخلي الرقاب فتختل

والهام تندُر بالصّعيد كأنّها ... تلقى السيوف بها رؤوس الحنظل

تفضح القصيدة الشاعر، وتبدو لكلمة أبلج هنا أهمية خاصة (ومعنى الأبلج هنا ـ فيما أرى ـ ليس النقي بين الحاجبين أو البين الفضل المشهور كما يشير الشارح، وإنما هو الأبيض الناصع (١)) إذن لم يكن رفض المرأة للشاعر كثرة حروبه ودوام لبسه الحديد، بل سواده الذى يذكرها بعبوديته، وتبرز صورة حقد الشاعر على هذا

---

(١) من معاني الأبلج : الأبيض الحسن الواسع الوجه، انظر لسان العرب (بلج) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأبلج بشكل سافر ، فقد غادره متعفرا بدمه ، وترك قومه بين مجدّل ومجرّح والسيوف تخلي رقابهم ، ورؤوسهم تتساقط ، منظر مروّع يحاول به الشاعر أن يشفي نفسه العاجزة أمام المرأة .

ويبدو أن الشاعر لا يحس بكفاية ما فعله في المشهد السابق ، والنفس غير راضية بعد ، فيصور مشهدا آخر يواجه فيه الموت ويشقّ الجماجم :

ولقد لقيت الموت يوم لقيته ... متسربلا والسيف لم يتسربل
فرأيتنا ما بيننا من حاجز ... إلا المِجنّ ونصل أبيض مِقْصَلِ
ذكر أشق به الجماجم في الوغى ... وأقول لا تُقطع يمين الصيقل

ويأتي المشهد الأخير للشاعر مع صديقه الذى يقبله دائما ، وهو الحصان :

ولربّ مشعلة وزعت رعالها ... بمقلّص نهد المراكل هيكل
سلس المعذّر لاحق أقرابُه ... متقلب عبثا بفأس المسحل
نهد القطاة كأنها من صخرة ... ملساء يغشاها المسيل بمحفل
وكأنّ هاديه إذا استقبلته ... جِذعٌ أذلّ وكان غير مُذلّل
وكأن مخرج روحه في وجهه ... سربان كانا مَوْلجين لجَيْأَل
وكأن متنيه إذا جرّدته ... ونزعت عنه الجلّ متنا أيّل
وله حوافر موثق تركيبها ... صمّ النّسور كأنها من جَنْدَل
وله عسيبٌ ذو سبيب سابغ ... مثل الرّداء على الغنيّ المُفضل
سلس العِنان إلى القتال فعينه ... قبلاء شاخصة كعين الأحول
وكأن مشيته إذا نهنهته ... بالنّكل مشية شارب مستعجل

فإذا لم يستطع الشاعر أن يكون مع المرأة ، وأن يسخّر شعره لوصفها فليفعل ذلك مع الحصان الذى به يتحقق وجوده ، ونلاحظ في الوصف الدقيق لأجزاء الحصان كيف سخّر الشاعر شعره لوصف صديقه الذى يعرفه جيدا بدلا من وصف جسد الحبيبة التي يبدو أنه لم يستطع الوصول إليها .

وتنتهي القصيدة بالصداقة مع الحصان دون المرأة ، فمعه تُحقق النفس توازنها واستقرارها :

فعليه أقتحم الهياج تقحما ... فيها وأنقضّ انقضاض الأجدل

توضح القصائد الثلاث السابقة أزمة الشاعر الذى ظلت عبوديته تلاحقه حتى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد أن تحرر وانتسب للسادة ، وظلّ ثقل هذه العبودية يلازمه حتى في أوج انتصاراته ، ولعلّ من أكثر ما يمكن أن يبرز أزمة الشاعر، عبر علاقته مع كلّ من المرأة والقبيلة، ومن تتبّع هذه العلاقة يُخلص إلى ما يلي :

١ ـ كانت المرأة دائما تصدّه وترحل عنه ولا تأبه به (١) ، ويحاول الشاعر في أغلب المواقف أن يواجه رفض المرأة بالحديث عن بطولته وقوته ، وللتفريج عن النفس المعذبة يكون فعل هذه البطولة في الآخرين مروّعا ومفزعا وحادا .

٢ ـ عند احساس الشاعر بسيطرة ماضيه العبودى على نظرة القبيلة إليه ، يلجأ للحديث عن قوته وبطولته ، ويفخر بما تقدمه هذه القوة للقبيلة ، ولهذا نجد حسّه الفردى طاغيا في فخره ، وحين يتحدث عن بطولة القبيلة في أحيان قليلة يشير إلى أنه مُحرك هذا الفعل ، وإلى أنّه السيد . وهذا يتفق مع رحلة كفاح عنترة ، فهو لم يكن يسعى للانعتاق من العبودية وحسب مثل كثير من الأرقاء ، بل كان يسعى أيضا إلى السيادة .

سُحَيْم عبد بني الحَسْحاس

قليلة هي الأخبار التي وصلتنا عن سحيم، وهي لا تعدو حفنة ضئيلة تتكرر في عدد من المصادر مع بعض الخلافات في الرواية ، ولن أفصّل الحديث هنا عن هذه الروايات واختلافها (٢) ، وإنما أكتفي بابراز الخطوط العامة لحياة الشاعر كما ترد في تلك الروايات (٣) ، وسأجلو جوانب أخرى من حياته وشخصيته في الحديث عن شعره .

---

(١) من الملاحظ في مقدمات قصائد عنترة في الديوان أن المرأة هي التي ترحل في جميع هذه المقدمات ، وهي التي تأخذ موقفا سلبيا من الشاعر ، ويدل هذا على شعوره الدائم بالعجز أمامها .

(٢) يمكن الرجوع في هذا المجال إلى دراسة محمد خير حلواني ، سحيم عبد بني الحسحاس (شاعر الغزل والصبوة) ، مكتبة دار الشروق ، بيروت ، د . ت . ويتحدث الباحث في الباب الاول من دراسته عن قبيلة الشاعر وحياته .

(٣) أعتمد في ذلك على ما ورد عن سحيم في المصادر التالية :

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سحيم شاعر مخضرم ، عاش ـ كما تشير أغلب الروايات ـ حتى عهد خلافة عثمان بن عفان ، ويقال أن له اسما آخر هو حيّة ، ويكنّى أبا عبد الله (١) .

وهو عبد حبشي أسود قبيح الوجه ، ويقال إنه كان يرتضع لكنة حبشية .

كان يملكه بعض بني الحسحاس ، وهم بطن من أسد ، ويروى أنّه اشترى لعثمان ابن عفان ، فردّه وقال : « لا حاجة لي به ، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه ، إن شبع أن يتشبب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم » .

وكان سحيم شاعرا فصيحا ، ويروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان

---

١ ـ فحولة الشعراء للاصمعي ، ص ٣١ . ٢ ـ طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
٣ ـ ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام (ضمن نوادر المخطوطات) ج ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ . ٤ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٥ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٦ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٧ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٨ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٩ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٠ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١١ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٢ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٣ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٤ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٥ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٦ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٧ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٨ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ١٩ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ . ٢٠ ـ وابن حبيب أيضا ، كتاب المحبر ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

(١) يشار إلى أنه ورد في (تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ص ٢٦٩) أن اسم سحيم هو سحيم بن هند ابن سفين بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة ، ويبدو أن ذلك خطأ بعض النساخ ، أو هو وهم من اليعقوبي ، والصحيح أن هذا النسب هو للحسحاس وليس لسحيم ، انظر جمهرة أنساب العرب ، ص ١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتمثل بمطلع يائيتـــه (١) . ويروى أيضا أن سحيما أنشد يائيته هذه عمر بن الخطاب. وعرف عن سحيم أنه كان يشبب بنساء سادته ويصرح بالفاحشة معهن حـــتى أدّى ذلك إلى قتله .

شعـــــره

يظهر سحيم في شعره إنسانا مأزوما شديد التوتر ،ضائقا بحياته التـــــي ذاق فيها أشكالا من الهوان والحرمان . وإذا كان عنترة قد استخدم قوته الجسدية للخلاص من عبوديته وحاول معتمدا على هذه القوة ،أن يجلب التوازن إلى حياتـــه والاستقرار لنفسه ،فإن قوة سحيم ــ فيما يبدو ــ لم تسعفه في السير على هذا الطريـق (طريق عنترة) ،فبحث عن طريق آخر يحاول فيه أن يرضي نفسه البائسة وأن يجلـــب الراحة لها . وكانـت قدرة سحيم الشعرية تكمن في هذا الطريق :

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له ... يوم الفخار مقام الأصـل والـــوَرِقِ
إن كنت عبدا فنفسي حرّة كرمـــا ... أو أسود اللون إني أبيض الخُلُـــقِ (٢)

وكان أهم ما عمد إليه بمقدرته الشعرية ،هو ما صوره من علاقة بينه وبين المرأة (٣) ، علّه يصل إليها بشعره ،إذا لم يصل إليها بجسده ،وهو في هذا يغيظ سادتـــــه منتقما لحياته البائسة بينهم .

تظهر قصيدة سحيم اليائية المشهورة ما اتخذه من رسم ما بينه وبين المـرأة من علاقة يحاول بها أن يجلب الراحة والاستقرار لنفسه المعذبة المحرومة . ولعلّ تحليل

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ،ج ١ ص٣٨٢ ــ ٣٨٣ . والأغاني ،ج ٢٢ ص٣٠٣ . والإصابـة ، ج ٣ ص٢٥٠ . وشرح شواهد المغني ،ج ٢ ص٣٢٦ . وخزانة الأدب ،ج ٢ ص١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٢) سحيم عبد بني الحسحاس، الديوان ،تحقيق عبد العزيز الميني ،دار الكتب المصريـة ، القاهرة ، ١٩٥٠م ،ص٥٥ .

(٣) أغلب شعر سحيم في الحديث عن المرأة ،وهناك موضوعات أخرى في شعره كالحديث عـــن الموت (الديوان ق«ح» ص٣٩ ــ ٤٢) والفخر بالقبيلة وأيامها (الديوان ق«ز» ص ٣٨ ــ ٣٩ ،وق«ى» ص٤٩ ــ ٥٠ ،و ق«أى» ص٥١) ،وهذه القصائد الأخيرة ليـــس من السهل الاطمئنان لصحة نسبها لسحيم ، فـــلا يظهر فيها أثر لشخصيته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القصيدة أن يكشف عن هذه المحاولة ويسلّط الأضواء عليها (١) .

يبدأ الشاعر قصيدته راحلا مودّعا الحبيبة مُنهيا علاقته معها :

عميرة ودّع إن تجهزت غاديا ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

ثم يصف الشاعر كيف كانت تلك العلاقة :

جُنونا بها فيما اعتشرنا غُلالة ... عَلاقة حبّ مستمرّا وباديا

ليالي تصطاد القلوب بفاحم ... تراه أثيثا ناعم النّبت عافيا

وجيد كجيد الرّيم ليس بعاطل ... من الدرّ والياقوت والشّذر حاليا

كأن الثّريا عُلّقت فوق نحرها ... وَجَمْرَ غضىً هبت له الريح ذاكيا

إذا اندفعت في رَيْطَةٍ وخَميصة ... ولاثت بأعلى الردف بُردا يمانيا

تُريك غداة البَيْن كفا ومعصما ... ووجها كدينار الأعزّة صافيا

فما بيضة بات الظليم يَحفّها ... ويرفع عنها جوْجؤا مُتجافيا

ويجعلها بين الجناح ودفّه ... ويفرشها وَحْفا من الزّفّ وافيا

فيرفع عنها وهي بيضاءُ طلّةٌ ... وقد واجهت قرنا من الشّمس ضاحيا

بأحسنَ منها يوم قالت أراحلٌ ... مع الرّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا

فان تَثْوِ لا تُملل وإن تُضح غاديا ... تُزوّد وترجع عن عُميرة راضيا

ومن يك لا يبقى على النّأى وُدُّهُ ... فقد زوّدتْ زادا عُمَيْرة باقيا

ويبدو في وصف الشاعر للحبيبة وعلاقته معها أمور ذات دلالة :

١ ـ يصف الشاعر المرأة وهي في ملابسها ، وقد يكون هذا أمرا طبيعيا عند كثير من الشعراء الجاهليين ، إلا أنّه يصدر هنا عن شاعر عرف بالفحش والمجون (وسنلاحظ هذا فيما يأتي من هذه القصيدة) ، وكان من المتوقع أن يأتي وصفه للمرأة متسقا مع ما عرف عنه ، ومما يلاحظ أنّ الشاعر لم يكن عفيفا في وصفه ، وأنّه ينظر إلى ردفها ، وإن كان ردفا مكتسيا وليس عاريا ، فهل يشير ذلك إلى أن الشاعر لم يعرف المرأة في صورتها العارية ؟ (٢) .

---

(١) انظر القصيدة في الديوان ، ق (ب) ص١٦ ـ ٣٣ . وشعر سحيم الذي أورده هنا أعتمد فيه على رواية الديوان ، وسأشير إلى أي موطن أرى فيه خلافا مهما بين رواية الديوان وبعض الروايات الأخرى التي اطلعت عليها في عدد من المصادر .

(٢) سنلاحظ في هذه القصيدة أن وصف الشاعر الفاحش انما يشير الى العملية الجنسية وليس =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ ــ يهتم الشاعر اهتماما خاصا ببياض المرأة ، ويلحّ في وصف هذا البياض، فوجهها كدينار الأعزة (وقد تشير هذه الصورة أيضا إلى علو مكانتها) ، ويطيل في وصف اهتمام الظليم بالبيضة ، مما يفصح عن مدى اهتمام الشاعر ببياض المرأة ، وإذا كان البياض هو اللون المحبب للمرأة عند العرب في العصر الجاهلي ، فإنه عند هذا الشاعر يكتسب أهمية خاصة ، فهذه المرأة العالية المكانة التي تتصف بكل هذا البياض ، تختاره هو العبد الأسود دون رجال القبيلة الآخرين .

٣ ــ هذه المرأة الجميلة العزيزة هي الطرف الضعيف في علاقة الحب هذه ، والشاعر سيّد هذه العلاقة ، فهو راحل ويريد الانتهاء ، وهي تتمنى عليه البقاء . وحين يصرّ على الرحيل تؤكد له بقاء ودها حتى وهو غائب لا تعرف متى يعود . واخلاص المرأة هذا يقلّ نظيره في الشعر الجاهلي الذى تكثر فيه الشكوى من بَيْن الحبيبة وعدم وفائها ، ويشير الشاعر إلى وفاء صاحبته مفاخرا الآخرين (السادة) بسيادته في هذه العلاقة .

ويبدو أن الشاعر يحسّ بالمبالغة فيما يقول، ويشك الآخرين في هذا ، فيؤكد وجود هذه العلاقة :

ألكني إليها عمرك الله يا فتى ... بآية ما جاءت إلينا تهاديا

تهادىَ سَيْل في أباطحَ سَهْلة ... إذا ما علا صَمْدا تفرّع واديا

فحتى يواجه نظرات التكذيب والاستنكار لما يقول ، يؤكد أنها كانت تأتيه بمشيتها الجميلة الرشيقة .

ويبدو البيت التالي غريبا :

ففاءت ولم تقض الذى هو أهله ... ومن حاجة الإنسان ما ليس لاقيا

فيبدو أنه لم يحدث بينهما شيء ، ولم يكن هناك وصال ، ولكن الأبيات التالية تظهر العكس :

وبتنا وسادانا إلى عَلَجاتِهِ ... وحِقْفٍ تهاداه الرّياح تهاديا

تؤشّدني كفّا وتثني بمعصم ... عليّ وتحوى رجلها من ورائيا

الى محاسن المرأة المجردة . وديوان الشاعر لا يضم وصفا لهذه المحاسن يدل على معرفة الشاعر بالمرأة على هذه الحال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهبّت لنا ريحُ الشّمال بِقِـــرَّةٍ ولا ثوب إلاّ بُردها وردائيـــا
سقتني على لوح من الماء شَرْبَـةً سقاها بها الله الذّهاب الغَواديا
وأشهد عند الله أنْ قد رأيتُهـا وعشرينَ منها إصبعا من ورائيـــا
أقبّلها للجانبين وأتّقـــي بها الرّيح والشّفّان من عن شماليا

كيف اذن لم تقض الذى هو أهله ؟! هل عنى الشاعر في ذلك البيت شيئا آخـــر غير الوصل ؟! أم أن لحظات الوصل هذه كانت أمنية ، حلما في مواجهة الحقيقـة ؟ فبعد أن يؤكـد الشاعر أنها عادت دون فعل أىّ شيء ، يحاول أن يعوض ذلـك بهذه المشاهد المتخيّلة المتناة التي يطغى فيها الفعل الجنسي معبرا عن شـدة عطش الشاعر للجنس ومعاناته من الحرمان (١) .

ويلاحظ في وصف الشاعر للعملية الجنسية شدة حب المرأة له وتعلقها بـــه ، فهي تأتي إليه في العراء ، وفي جو شديد البرودة متحملة كلّ المشاق في سبيل نيل وصالـه . ويلاحظ أيضا أن المرأة هي التي تقوم بالأفعال الجنسية ، وهي التي تهتم بالشاعر فتسقيه الماء بعد العطش الذى سببه جهده في ممارسة الجنس . والفعـــل الجنسي الوحيد الذى يقوم به الشاعر إنما يقوم به من أجل أن يحتمي بها مـــن الريح والبرد . فكل شيء معكوس ، المرأة تفعل كل شيء ، بينما يبقى الشاعر سيـــدا مدللا يحظى بكل الرعاية . وكأن الشاعر بعد هذا الحـديث يحس ثانية بالمبالغـة ، وكأنه يرى نظرات الشك ، فيقسم أنها تفعل معه كل ذلك (وأشهد عند الله ...) .

ويفيق الشاعر من هذه المشاهد وما فيها من وصال المرأة إلى أمنية مـــن الأمنيات :

ألا أيها الوادى الذى ضمّ سيلُـهُ إلينا نوى الحسناء حُيّيت واديـــا
فيا ليتني والعامريّة نلتقـــي نَرود لأهلينا الرّياض الخواليـــا
وما بَرِحَت بالدّير منها أثـــارةٌ وبالجوّ حتّى دمّنته لياليـــا

وقد تشير هـذه الأمنية إلى أن ما كان في المشاهد السابقة لم يعد الأماني أيضا . وهو هنا يحلم بأن تبعثه القبيلة مع المرأة العامرية يرودان المناطق الخالية ، وهـــو

---

(١) يرى ابن شرف القيرواني أن شعر سحيم هذا نابع من الحرمان ، انظر ابن شـــرف القيرواني ، أبا عبد الله محمد بن سعيد ، رسائل الانتقاد (ضمن رسائـل البلغـاء) ، اختيار وتصنيـف محمـد كـرد علـي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م ، ص ٣٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـر لن يحدث ، ولكن ما دام الوصل مستحيلا ، فليجنح الخيال إلى تصور أوضـاع مستحيلة يحدث فيها الوصل .

وبعد هذا الحديث الذى يشير إلى حب الشاعر للمرأة وتعلقه بها ، يخشى الشاعر أن يُظـنّ به الضعف ، فيأتي بكلام قد يبدو ـ لأوّل وهلة ـ غريبا ، لا موقع له هنا :

فان تُقْبلي بالوُدّ أقبل بمثلـــه وان تُدبري أذْهَب إلى حالٍ باليا
ألم تعلمي أنّي صروم مُواصـــل إذا لم يكن شيءٌ لشيءٍ مواتيـــا

فما الذى دفع الشاعر إلى مثل هذا الكلام ؟! فكل ما سبق يؤكد خضوع المـــرأة واخلاصها النادر له ، لكن همّ الشاعر في تأكيد سيادته وقوته في هذه العلاقـــة يفسر الأمـر .

وقد يُظن أن تعلق هذه المرأة بالعبد الشاعر أمر شاذ ، قد يُخفي ســـرا وراءه ، لكن الشاعر يدفع هذا الظن ، فليست هذه المرأة وحدها المتعلقة به ، بـــل كثيرات غيرها في مثل حالها :

ألا ناد في آثارهنّ الغَوانيـــا سُقين سِماما ما لهنّ ومالِيـــا
تَجمّعن من شتى ثلاثٍ وأربـــعٍ وواحدةٍ حتّى كَمَلْنَ ثمانيـــا
وأقبلنَ من أقصى الخيام يُعدنني نواهدَ لم يَعرِفْنَ خلقا سَوائيـــا
يَعُدن مريضا هنّ هيجن داءَهُ ألا إنما بعض العوائد دائيـــا
وراهُنّ ربّي مثل ما قد ورينني وأَحْمَى على أكبادِهِن المَكاويـــا

الغواني النواهد يتهافتن على الشاعر من كل صوب ، وهو الرجل الذى لا تعـــرف تلك النساء غيره ، والشاعر يريد التخلص منهن ، ليس لأنّـه غير متأثر بهن ، على عكـــس ذلك فهن يهيجن داءه ، هو زير نساء لا يستطيع مقاومة المعجبات الكثيرات اللـواتـي يستمتع بتعدادهن .

ويشير حديث الشاعر عن النساء إلى ضعف الشاعر أمامهن ، مما لم نعرفه فـي كل ما سبق من القصيدة ، فهل يمهد الشاعر بذلك للانتقال إلى القسم الثاني مـــن القصيدة ؟

تنتقل القصيدة الآن إلى مرحلة أخرى مضادة للمرحلة السابقة (١) ، وكأن نفـس

---

(١) ان هذا الانتقال ، ومجيء الحديث عن الظعن في بدايته (منتصف القصيدة) قد يوحـــي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر لم تستقر بعد كل تلك الأمنيات والأحلام ، فالأحلام تبقى أحلاما ولا بد من مواجهة الواقع .

تبدأ هذه المرحلة في خط معاكس للحركة الأولى من المرحلة السابقة :

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحمّلن من جنبي شروْرَى غواديا
تأطّرْنَ حتّى قلت لَسْنَ بوارحا ... ولا لاحقات الحيّ إلّا سواريا
أخذْنَ على العقراة أو عن يمينها ... إذا قلت قد وزّعْنَ أنزلْنَ حاديا

فإذا كان الشاعر هو الراحل هناك ، فإن المرأة هي الراحلة هنا ، وإذا كانت المرأة هناك تظهر حرصها الشديد على بقاء الشاعر ، فإن الشاعر هنا يظهر حرصا أكبر على بقائها ، فالتلبث اليسير لأمر ما قد يدفع الشاعر للأمل في بقائهن ولو حتى السُّرى ، وحين يمشين يخيل إليه من بعض الحركات أنهن قد كففن الإبل ، ولكن هيهات ، فليس ذلك إلا وهما في وهم ، وها هنّ قد أنزلن حاديا .

والحديث عن رحيل المرأة يمهد للحديث عن الواقع المؤلم نقيض كل تلك الأحلام والأمنيات :

أشارت بمِذْراها وقالت لتِرْبِها ... أعَبْدُ بني الحَسْحاس يُزجي القَوافيا
رأت قَتَبا رثّا وسحق عباءة ... وأسودَ مّما يملك الناس عاريا

هذه لحظة الصدق القاسية ، وفيها يصبح كل شيء واقعيا ، المرأة لا تصله ولا تحمل له أيّ حب ، على عكس ذلك هي تصغره ، فمن الكثير على هذا العبد رثّ الثياب أن يقول الشعر . وقد يشير هذا القول إلى أن كل ما مضى من لحظات الحب والوصل لم يكن إلا نظم قوافٍ . والشاعر في الحقيقة لا يملك سوى شعره ، فبه يصل إلى المرأة ، والنساء الغواني النواهد لسن أكثر من خيال شعري ، أما النساء في الحقيقة ، فأمرهن مختلف :

بأن تسمي القصيدة قصيدتان مختلفتان ، وليس هناك في روايات القصيدة المختلفة التي اطلعت عليها ما يشير إلى ذلك . وسأتعامل هنا معها على أساس أنها قصيدة واحدة . وأشير إلى أن ظاهرة ورود الأطلال أو الظعن في منتصف القصيدة الجاهلية ظاهرة نادرة ، ومن المواطن التي جاءت فيها ، قصيدة للمرّار بن منقذ (انظر المفضليات ، مفضلية ١٦ ص٨٢ ــ ٩٣) حيث تأتي الأطلال في منتصف القصيدة . وهناك أيضا قصيدة لتميم بن مقبل في رثاء عثمان بن عفان (انظر الديوان ، ق ٣ ص١١) حيث يصف الظعن في منتصف القصيدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُرَجِّلن أغواما ويتركن لِمَّتي ... وذاك هَوان ظاهرٌ قد بدا ليا
فلو كنت وردا لونُه لعشقنني ... ولكنّ ربّي شاءني بسواديا
فما ضرّني أن كانت أمي وليدة ... تَصُرّ وتَبرى باللّقاح التّوادِيا

وتوصل لحظة الصدق إلى الحقيقة المؤلمة عارية من كل شيء ، فهو ليس سوى عبد أسود ، ابن وليدة تصرّ وتبرى .

ويأتي الحديث عن علاقته بالنساء أكثر صدقا :

تعاوَرْنَ مِسواكي وأبقينَ مُذْهَبا ... من الضَّوْغ في صُغرى بنان شِماليا
وقلن ألا يا ألْعَبْنَ ما لم يَرُدَّنا ... نُعاسٌ فإنّا قد أطلنا التّنائيا
لعبنَ بَدَكْداكٍ خصيبٍ جنابُهُ ... وألقينَ عن أعطافهنّ المَراديا
وما رِمْنَ حتى أرسل الحيُّ داعيا ... وحتّى بدا الصّبح الذي كان تاليا
وحتى استبان الفجرُ أشقرَ ساطعا ... كأنّ على أعلاه سِبْتا يَمانيا!
فأدْبَرْنَ يخفضن الشّخوصَ كأنّما ... قتلن قتيلا أو أصبْنَ الدّواهيا
وأصبحنَ صرعى في البيوت كأنّما ... شَرِبْنَ مُداما ما يُجِبْنَ المُناديا

فهن يلعبن معه ، وهو يسليهن ليس أكثر ، يستخدمنه في تحقيق نزواتهن في اللعب مع الرجل ، لكن ليس هناك أيّ وصل أو حب . هو قريب منهن ، ولكن قرب العبد الخادم . من هنا جاءت إذن الأوهام الشعرية السابقة ، وهذه هي البذرة الواقعية لها ، وبذلك تصبح الأمور مفهومة أكثر ، فالغواني النواهد قد يعدنه وهو مريض ليتندرن ويتسلين وليس بدافع من دوافع الحب .

النفس ممزقة معذبة ، والأحلام والأوهام لم تجلب لها الراحة والاستقرار ، والحقيقة تفجعه ، بل تكاد تصرعه ، فليعزز الشاعر نفسه ، وليحاول الرحيل :

فعزّيتُ نفسي واجتنبت غَوايتي ... وقرّبتُ حُرْجوجَ العشيّة ناجيا
مَروحا إذا صام النّهارُ كأنّما ... كسوت قُتودى ناصعَ اللّون طاويا
شَبوبا تحاماه الكِلاب تحاميا ... هو اللّيثُ معدوّا عليه وعاديا
حَمتْهُ العَشاءَ ليلةً ذاتَ قِرّةٍ ... بَوْعْساءَ رملٍ أو بحَزْنانَ خاليا
يُثيرُ ويُبدى عن عُروقٍ كأنّها ... أعنّةُ خَزّازٍ جديدا وباليا
يُنحّي تُرابا عن مَبيتٍ ومَكْنِسٍ ... رُكاما كبيت الصّيْدَنانيّ دانيا
فَصبّحَهُ الرّامي من الغَوْثِ غُدْوةً ... بأكلبه يُغرى الكلاب الضّواريا
فجال على وَحشيّهِ وتخالُهُ ... على متنه سِبْتا جديدا يمانيا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَذودُ ذِياد الخامسات وقد بَدَتْ سوابقُها من الكلاب فواشيا

يحاول الشاعر هنا أن يعزّي نفسه التي حطمتها الحقيقة بالحديث عن هذا الثور الممتلئ حيوية وقوة ، فهو كالليث ، وهو يواجه الشدائد ، يتعرض لبرد شديد ، فيحفر بيتا يحتمي به . ويواجه كلاب الصياد فيصرعها . إنه يواجه واقعه بايجابية بعيدا عن الأوهام والأمنيات السلبية ، ولعلّ الشاعر يحاول بهذا تقوية عزيمة نفسه وايجاد طريقه للخلاص .

لكنّ الشاعر لا يعتقد أن لديه القوة ليفعل فعل الثور ، وحديثه هذا ما هو إلا وهم آخر . فليدع هذا الحديث إذن إلى حديث آخر قد يجلب الراحة لنفسه:

فدع ذا، ولكنْ هل ترى ضَوْءَ بارقٍ يُضيءُ حَبيّا مُنْجِدا مُتعاليا

يضيءُ سناه الهَضْبَ هضبٌ متالعٌ وحُبَّ بذاك الهضب لو كان دانيا

نعمتُ به عينا وأيقنتُ أنّه يَحُطُّ الوُعولَ والصُّخورَ الرّواسيا

فما حرّكتْهُ الرّيح حتى حَسِبتُهُ بحرّةِ ليلى أو بنَخْلَةَ ثاويا

فمرّ على الأنهاءِ فالتجّ مُزْنُهُ فعقّ طويلا يسكبُ الماءَ ساجيا

ركاما يَسُحُّ الماءَ من كلّ فيقَةٍ كما سُقْتَ منكوب الدّوابر حافيا

ومرّ على الأجبال أجبال طيِّءٍ فغادر بالقيعانِ رَنْقا وصافيا

أجشُّ هَزيمٌ سيلُهُ مع وَدْقِهِ ترى خشب الغُلّان فيه طَوافيا

له فُرَقٌ جونٌ يُنتَّجْنَ حولَهُ يُفقّئْنَ بالميثِ الدّماثِ السّوابيا

فلمّا تدلى للجبال وأهلها وأهلِ الفُرات جاوز الجرَّ ضاحيا

بكى شجوَهُ واغتاظ حتى حَسبتُهُ من البُعد لما جَلْجَل الرّعد حاديا

فأصبحت الثّيران غرقى وأصبحت نساءُ تَميم يلتقطن[1] الصَّياصيا

يتوجه الشاعر إلى ضوء البرق الذى سيفجر مطرا قويا ، ويبدع الشاعر في وصف هذا المطر والسيول التي يخلفها والغيوم التي تتوالد . وهذا المطر يحطم كل شيء ، يحطّ الوعول والصخور والأشجار ، ويغرق الثيران التي كان أحدها يمتلئ حيوية وقوة في المشهد السابق ، وتصبح النساء خائفات يحتمين بالحصون .

---

(١) ترد في رواية أخرى (يبتدرن) بدلا من (يلتقطن) ، انظر السيرة النبوية ، ج ٣ ص ٢١٦ . والروض الأنف ، ج ٣ ص ٢٨٥ . وأرجح هذه الرواية التي يصبح فيها معنى الصياصي :الحصون بدلا من شوك النساجين ، وأرى أنها تتناسب أكثر مع جو المشهد ، كما سيتضح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ضوء البرق الذى اتجه إليه الشاعر لم يأت بخير، بل بشر عظيم يحطم كل شيء، الحيوية والثبات والقوة، ويُخيف النساء . هل هذا يريح نفس الشاعر المعذبة ؟ هل يطفىء غيظها ؟ يبدو ذلك، فالمطر يتوحد في الشاعر في لحظة ويبكي شجوه ويغتاظ، ويقذف كل ما في جوفه، وتشبيه المطر بالحادى استكمال لحس توحد الشاعر بالمطر، فالشاعر عبد راع حاد . وبهذا كله يصبح موقف الشاعر من المطر مفهوما، فهو ينعم به عينا . إنه المقهور الذى لا يريحه إلا تحطيم الأشياء وتدميرها .

إن حديث العبد الشاعر عن نساء القبيلة، سيثير كثيرا من المشكلات، وسيلقى العبد في ذلك مزيدا من العذاب والهوان، وإذا كانت اليائية لا تظهر بوضوح قصد الشاعر وتوجهه لكي يغيظ القبيلة في حديثه عن المرأة، فرغبة الشاعر في الوصول إلى المرأة هي التي تطغى هناك، فإن ردّ فعل القبيلة على حديثه هذا فتح له مجالا للمواجهة، بعد أن كان سبيلها مغلقا في اليائية . وقد أحسّ الشاعر بقدرته على ايلام أسياده، كما يؤلمونه .

وإذا كان الحديث عن أوهام الوصول إلى المرأة، لم يجلب الراحة إلى نفس الشاعر، فلعل سلوك هذا الحديث طريقا آخر أن يتيح للشاعر الانتقام من السادة فيصل إلى شيء من الارتياح .

وإذا حاولنا أن نسلسل بعض المقطوعات الواردة في الديوان (١) حول هذا الموضوع، أمكننا أن نرى شيئا في هذا الشأن .

نبدأ بمقطوعته التي يذكر فيها نفاد صبره بعدما علم برحيل المرأة التي يحب ويتمنى :

خليليَّ هذا البَيْنُ قد جَدّ جِدُّهُ ... فعوذا لنا من شرّ ما البَيْنُ مُقْرِفُ
وإن لم تبوحا خِفْتُ من باطن الجَوى ... وإن بُحْتُهُ فالسّيف عُرْيان يَنْطِفُ
وللسّيف أحجى أن اقاسي والشَّبا ... من الوجد لا يقضي عليّ فيَرْعُفُ
أَرِقّا وتغنيظا ونأيا وفُرقةً ... على حين أبصرت المشارِعَ تَنْشَفُ
وما كنت أخشى جَنْدلا خاب جندلٌ ... على مثلها والظنّ يُخطي ويُخْلِفُ
أعاليَ إنّ تنأى فموعدُ بيننا ... وبين المنايا مرّ رِثْريث يخذفُ
أعاليَ قد باح المجمجم فاطمي ... على رغم آناف تُكتّ وتَرْعُفُ

(١) لا ندرى كم ضاع من شعر سحيم في هذا المجال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو أوقدوا نارا تُحشّ بساعدي ... وكفّي ما أقلعت ما دُمتُ أطْرِفُ (١)

لقد نفد صبره ، ولم يعد يهاب شيئا : سيقتله الرقّ ، سيقتله القهر والحرمان إن بقي على هذه الحال . إنها المواجهة والتحدى . هل كان الشاعر يحب هذه المرأة كل هذا الحب؟ أم أن هذا الحديث وسيلة للمواجهة والانتقام ؟ .

ويُعذّب العبد ، فيُسجن ويُضرب ، ويخاطب مولاه :

أبا معبد بئس الفراضة للفتى ... ثمانون لم تَتْرُك لحِلْفِكُمُ عَبدا
كَسوني غداة الدار سُمْرا كأنّها ... شياطينُ لم تترك فُؤادا ولا عَهدا
فما السّجن إلا ظلّ بيت سكنته ... وما السّوط إلا جلدة خالطت جلدا
أبا معبد والله ما حلّ حُبّها ... ثمانون سَوطا بل تزيد بها وَجْدا
فإن تقتلوني تقتلوا ابن وَليدةٍ ... وإن تتركوني تتركوا أسدا وَرْدا
غدا يكثر الباكون منّا ومنكم ... وتزداد دارى من دياركم بُعدا (٢)

لن ينفع شيء ، وهذا العذاب ليس أصعب من عذاب الرق والهوان ، وهذا العذاب يحقق الذات ويريح النفس ، وعندها يصبح السّجن بيتا والسوط جلدة أخرى خالطت هذا الجلد الأسود . وهذا الحبّ الذى يغيظكم ويفضحكم سيزداد بهذه الأسواط .

وتزداد قسوة التعذيب ، علّه يرجع عما هو فيه ، ولكن هيهات ، لقد وجد طريقه الذى يمنحه الراحة ، ولن يعود عنه ، هذا ما يقوله لبعض من حاول أن يثنيه عما هو فيه :

يقول أبو الجَوْزاء حَوْط بن هِذْلِقٍ ... غداةَ ثنايا الحبل لي لستَ واعيا
أبو معبد مولاك فاشكُر بلاءَهُ ... وإن كنتَ موسوم البِلاطَيْنِ داميا
وما حُنيت منّي الضّلوع على التي ... تكون بلاغا حين تُذكر ما هيا
فقلت له والقول يُوْثر كلّه ... فيبقى ويفنى منه ما ليس باقيا
لعلّك إن كان القَذى ليس مُطْرقا ... جُفونَ عُيونٍ فابغني اليوم قاذيا

---

(١) الديوان ، ق (حك) ص ٦٣ ــ ٦٤ .

(٢) الديوان ، ق (أ ل) ص ٦٦ ــ ٦٧ . والبيت الاخير ليس له علاقة بالأبيات السابقة إذا اعتبرنا أنها صادرة عن سحيم ، فيبدو من هذا البيت أنه ينتمي لقوم يعز عليهم ، وهذا ليس من حال سحيم . ويشير صانع الديوان إلى أن هذا البيت ينسب إلى العَرْجيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلاّ فحَوِّحين تَنْدى دِماثُـهُ عليّ حَرامٌ حين أُصْبِحُ غادِيـا (١)

هو اليوم قانٍ للعيون التي آلمتـه وعذبته ،وحرام عليه الحياة إذا لم يبق على هـذا الطريق . إنه كفاح من نوع خاص.

الشاعر يمشي إذن إلى حتفه ،وتوقد النيران لحرقه :

لعَمْرُ أبي المُذْكينَ والمُضْرِم الذى يَشُبُّ ولا يألو عليَّ جهنّمـا

لئن وَرّثوها مُشعلين لرُبّمـا جعلتُ لهم فوق العَرانين مَيْسما (٢)

إنه لن يتراجع ،فالموت هو خلاصه ،ولكنه خلاص المنتقم مرتاح النفس ،فهو سيقـي فضيحتهم كالميسم على وجوههم .

وينفجر الشاعر ،ويبث ما في نفسه إلى الوجود ،وها هو يضغط بقوة ليكمل رسم الميسم :

شُدوا وثاق العبد لا يُفْلِتْكُـمُ إنّ الحياة من الممات قريـبُ

فلقد تحدّر من جبين فتاتكـم عرقٌ على ظهر الفراش وطيـبُ (٣)

سخرية في عمق المأساة ،ويبقى الشاعر محافظا على تماسكه ،منتظرا مصيره بثبات ، فما أقرب الموت من الحيـاة . وسيبقى فاضحهم ،فقد فعل كذا بفتاتهم ،ويتضح هنـا أنّ حبّه لم يكن حبّا مما ألفه الناس، بل كان وسيلة من وسائل الانتقام .

ويتحول حديث الشاعـر عن الجنـس من وسيلة وهمية للوصول إلى المـرأة إلى وسيلة لاشباع رغبة الانتقام :

فإن تضحكي منّي فيا ربّ ليلـة تركتك فيها كالقَبـاءِ المُفـرَّجِ (٤)

وفي سبيل الانتقام يصبح الموت هينا :

إن تقتلوني فقد أسْخَنْتُ أعْيُنَكُـمْ وقد أتيت حراما ما تَظنّونـا

وقد ضَمَمْتُ إلى الأحْشاءِ جاريـةً عَذْبٌ مُقَبَّلُها ممّا تَصـونـونـا (٥)

لقد اكتشف الشاعر طريق خلاصه الخاص ،وأصبح ـ فيما يبدو ـ راضيا مرضيا ،أو علـى الأقل وضع في كفة من ميزان الحياة ما ظنه يعدل ما وضعه خصومه في الكفـة الأخـرى .

---

(١) الديوان ،ق (ل) ص٦٥ ـ ٦٦ .
(٢) الديوان ،ق (طك) ص٦٥ .
(٣) الديوان ،ق (هك) ص٦٠ .
(٤) الديوان ،ق (بك) ص٥٩ .
(٥) الديوان ،ق (جك) ص٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــة

حاولت هذه الدراسة إلقاء بعض الأضواء على ظاهرة الرق في العصر الجاهلي ، وأثرها في الحياة الأدبية (الشعرية منها خاصة) ، ومع أن هذه المحاولة تزعم أنها جلت بعض الجوانب من صورة الرق في هذا العصر إلا أن هناك جوانب أخرى بقيت غامضة ، وحالت قلة المعلومات في المصادر التي اعتمدتها هذه الدراسة دون اعطاء صورة واضحة مكتملة .

ولعل من أهم ما خلصت إليه هذه الدراسة يتبين في الأمور التالية :

- انتشر الرقيق بكثرة في الجزيرة العربية ، ويمكن أن نستشف من الحديث عن مصادر الرقيق أن العرب في هذا العصر عرفوا الرق عن طريق اتصالهم بالأمم الأخرى ، فقد شكّل الرقيق الأجنبي المستورد وتناسل هذا الرقيق أهم مصادر الرقيق لديهم . وعرف العرب إلى جانب ذلك ظاهرة استرقاق المسبيين من النساء والأطفال ، بينما لم يشكل أسر الرجال مصدرا مهما للرقيق عندهم . ومع أن العرب عرفوا ظاهرة الاسترقاق الناتجة عن الفقر ، إلا أن هذه الظاهرة كانت ضيقة النطاق ، ولم يكن الفقر مصدرا من مصادر الرقيق المهمة . ومالت هذه الدراسة إلى عدم صحة ما كان يظن من أن معظم الآباء العرب كانوا يسترقون أولادهم من اماتهم .
- استغل الرقيق في العصر الجاهلي في معظم الأعمال الانتاجية التي كانت معروفة في الجزيرة ، إلى جانب قيامهم بأعمال الخدمة ، وسخرت الإماء لمتعة السادة . وقد شكل الرقيق أساس القوى العاملة في رعي الإبل والماشية ، وكذلك في الصناعات والمهن المعروفة عندهم في ذلك العصر ، وكان الرقيق من القوى الرئيسة في العمل الزراعي .
- إن كثرة الرقيق في الجزيرة ، وعمله في معظم الأعمال الانتاجية كان لا بد أن يؤدي الى تغيرات مهمة في البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية في المجتمع الجاهلي ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هذه التغيرات ظلت محدودة بسبب طبيعة البيئة الجغرافية في الجزيرة ، إذ حال جفافها دون استقرار معظم الجماعات القبلية ، وبقيت العلاقات القبلية هي السائدة حتى في بعض المناطق المستقرة كاليمامة وبعض المناطق الجنوبية التي اعتمدت على العمل العبودى بصورة كبيرة .

- كانت تفتح أمام الرقيق في العصر الجاهلي بعض منافذ الخلاص في بعض الأحيان ، وقد انتشرت ظاهرة أبق الرقيق عندهم على الرغم من أنها كانت محفوفة بالمخاطر ، وشكل الأرقاء الآبقون رافدا من روافد الصعلكة في العصر الجاهلي . وتحرر بعض الرقيق عن طريق العتق أو المكاتبة ، وكانوا يصبحون بعد ذلك من موالي أسيادهم .
- واستند أثر الرق إلى الشعر الجاهلي ، فقد كان له أثر واضح في شعر الأحرار الجاهليين ، وقد كان موقف غالبية الشعراء من الرقيق بعيدا عن النظرة المتعاطفة ، فكانوا ينظرون إليه باعتباره سلعة ، كما كان الرق والرقيق مادة أساسية في شعر الهجاء الجاهلي . وترك القيان المغنيات والإماء الجميلات اللواتي كن يخصصن لمتعة السادة أثرا واضحا في شعرهم ، فقد وصفوهن وصفا مفصلا في مجالس اللهو والمتعة التي كانت منتشرة في ذلك العصر . وكان الرق والرقيق من المواد التي استغلها الشاعر الجاهلي في بناء صورته الشعرية .
- لم يصل إلينا من شعر الأرقاء في العصر الجاهلي إلا القليل ، ولعل أهم شاعرين ينتميان لطبقة الرقيق ممن وصل إلينا بعض شعرهم هما عنترة وسحيم عبد بني الحسحاس . وقد تركت حياة الرق في شعرهما أثرا كبيرا ، فعنترة لم يستطع الخلاص من العبودية حتى بعد أن تحرر ، ويظهر شعره شعورا حادا بالنقص ، وتوضح معلقته بصورة خاصة محاولته الدائمة للبحث عن التوازن النفسي ، ويحاول الوصول إلى ذلك بالالحاح على الحديث عن فعل القوة والبطولة لديه . أما سحيم فقد استخدم قدرته الشعرية المتفوقة وسيلة يحلم بها في الوصول إلى المرأة التي لم يستطع - فيما يبدو - الوصول إليها في الواقع ، وكان شعره في الوقت نفسه سلاحه الأساسي في مهاجمة قومه وإغاظتهم وذلك بالنيل من أعراضهم ، يحاول بذلك الانتقام لحياة العبودية البائسة والمحرومة التي عاشها بينهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــــادر

١ ـ أخبـار الزمان ومن أباده الحدثان ٠٠٠ ، للمسعودى ، أبي الحســـن علـي بن الحســن ، دار الأنـدلس ، بيروت ، ١٩٧٨ م ٠

٢ ـ أخبـار مكـة وما جاء فيها من الآثـار للأزرقـي ، أبي الوليد محمـــد ابن عبد الله بن أحمـد ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، دار الثقافـــة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ٠

٣ ـ الأخبـار الموفقيـات للزبير بن بكار ، تحقيق د ٠ سامي مكي العاني ، مطبعة العانـي ، بغداد ، ١٩٧٢ م ٠

٤ ـ كتاب الاختيارين للأخفـش الأصغـر ، تحقيق د ٠ فخر الدين قباوة ، مؤسـسة الرسالـة ، بيروت ، ١٩٨٤ م ٠

٥ ـ الأزمنـة والأمكنـة ، للمرزوقـي ، أبـي علي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آبـاد (الهند) ، ١٣٣٢ هـ ٠

٦ ـ أسبـاب النزول للواحـدى ، أبـي الحسن علي بن أحمـد ، دار مكتبـة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٣ م ٠

٧ ـ الاستبصار في عجائب الأمصـار لمؤلف مراكشي مجهول من القرن السـادس الهجـرى ، دار النشر المغربية ، الدار البيـضاء ، ١٩٨٥ م ٠

٨ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحـاب لابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمـد ، (على هامش الإصابة لابن حجر) ، دار الكتاب العربـــي ، بيروت ، د ٠ ت ٠

٩ ـ أسـد الغابـة في معرفة الصحابة لابـن الأثير ، عزالدين أبي الحســـن علي بن أبـي الكـرم محمد بن محمـد ، دار احياء التراث العربي ، بيـــروت ، د ٠ ت ٠

١٠ ـ كتاب أسماء خيـل العرب وأنسابها وذكـر فرسانها للأسـود الغندجانـي ، أبـي محمد الأعـرابي ، تحقيق د ٠ محمد علي سلطاني ، (الناشر ومكان النشر ؟) ، د ٠ ت ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ ـ أسماء المغتالين في الجاهلية والاسلام لابن حبيب البغدادي ، أبي جعفر محمد (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

١٢ ـ الأشباه والنظائر للخالدين ، أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم ، (الجزء الأول) ، تحقيق د . السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١٣ ـ الاشتقاق لابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، ١٩٥٨ م .

١٤ ـ أشعار النساء للمرزباني ، أبي عبيد محمد بن عمران ، تحقيق د . سامي مكي العاني وهلال ناجي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

١٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت .

١٦ ـ الأصمعيات للأصمعي ، أبي سعيد عبد الملك بن قريب ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، (الناشر ؟) ، بيروت ، ط ٥ ، د . ت .

١٧ ـ الأصنام لابن الكلبي ، أبي المنذر هشام بن محمد السائب ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١٨ ـ الأعلاق النفيسة لابن رستة ، أبي علي أحمد بن عمر (الناشر ؟) ، ليدن ، ١٨٩١ م .

١٩ ـ الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت . (مصورة عن طبعة دار الكتب) .

٢٠ ـ الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير للهمداني ، أبي محمد الحسن ابن أحمد ، (الكتاب العاشر) ، تحقيق محب الدين الخطيب ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، (مكان النشر ؟) ، ١٩٨٧ م .

٢١ ـ ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لابن حبيب البغدادي ، أبي جعفر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد ، (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٤ م .

٢٢ ـ الأمالي للقالي ، أبي علي بن اسماعيل بن القاسم ، (الناشر؟) ، مصر، ١٩٥٣ م .

٢٣ ـ أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للمرتضى ، علي بن الحسين الموسوى ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

٢٤ ـ امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي ، تقي الدين بن أحمد بن علي ، (الجزء الأول) ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤١ م .

٢٥ ـ كتاب الأمثال لابن سلام ، أبي عبيد القاسم ، تحقيق د . عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، بيروت ودمشق ، ١٩٨٠ م .

٢٦ ـ أمثال العرب للمفضل الضبي ، أبي العباس ، تقديم وتعليق د . احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١ م .

٢٧ ـ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق خليل هراس محمد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

٢٨ ـ أنساب الأشراف للبلاذرى ، أبي الحسن أحمد بن يحيى ، تحقيق د . محمد حميدالله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٢٩ ـ الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ، أبي الحسن علي بن محمد ، تحقيق د . السيد محمد يوسف ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٧ م .

٣٠ ـ الأوائل لأبي هلال العسكرى ، الحسن بن عبد الله ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، (الناشر؟) ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦ م .

٣١ ـ الأوطان والبلدان (قسم منه) للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٢ ـ كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ، مطهر بن طاهر ، (الناشر ؟) ، باريس ، ١٩١٦م .

٣٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل بن عمر ، حققه د . أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٣٤ ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢م .

٣٤ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر ، أبي يوسف عمر ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

٣٥ ـ البيان والتبيين للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ط٤ ، د . ت .

٣٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني ، دار ليبيا ، د . ت .

٣٧ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام للذهبي ، الحافظ شمس الدين ، (المجلد الأول « المغازي ») ، تحقيق محمد محمود حمدان ، دار الكتاب العربي ، القاهرة (وآخرون) ، ١٩٨٥م .

٣٨ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للدياربكري ، حسين بن محمد ، مطبعة عثمان عبد الرازق ، القاهرة ، ١٨٨٤م .

٣٩ ـ تاريخ الرسل والملوك للطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٤٠ ـ تاريخ سني ملوك الأرض ... للأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١م .

٤١ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ، (تراجم النساء) ، تحقيق سكينة الشهابي ، (الناشر ؟) ، دمشق ، ١٩٨٢م .

٤٢ ـ تاريخ اليعقوبي ، لليعقوبي ، أحمد بن أبي جعفر بن وهب ، دار صادر ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت ، د . ت .

٤٣ ـ تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزأبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

٤٤ ـ كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحرف والصنائع والدلالات الشرعية للخزاعي ، أبي الحسن علي بن محمد ، تحقيق الشيخ أحمد محمد سلامة ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٤٥ ـ تزيين الأسواق في أخبار العشاق لداود الانطاكي ، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٤٦ ـ تفسير البغوى (المسمّى معالم التنزيل) للبغوى ، أبي محمد الحسين بن مسعود ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سرور ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦م .

٤٧ ـ تفسير القران العظيم لابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٤٨ ـ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكرى ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، (الناشر ؟) ، مصر ، ١٩٥٤م .

٤٩ ـ تهذيب اللغة للأزهرى ، أبي منصور محمد بن أحمد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٤م .

٥٠ ـ تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لابن ديبع ، عبد الرحمن الزبيدى الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٥١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٥٢ ـ جامع البيان في تفسير القران للطبرى ، أبي جعفر محمد بن جرير:
أ ـ تحقيق محمود شاكر ، ومراجعة أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، د . ت .
ب ـ دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٣ ـ الجامع لاحكام القران (تفسير القرطبي) ، للقرطبي ، أبي عبد الله محمد ابن أحمد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

٥٤ ـ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي ، محمد ابن أبي الخطاب ، تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦ م .

٥٥ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

٥٦ ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، (الجزء الأول) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، (الناشر ؟) ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .

٥٧ ـ الحماسة للبحتري ، أبي عبادة الوليد بن عبيد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٢٩ م .

٥٨ ـ الحماسة البصرية للبصري ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن :
أ ـ الجزء الأول ، تحقيق د . عادل جمال سليمان ، وزارة الأوقاف ، مصر ، ١٩٧٨ م .
ب ـ تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

٥٩ ـ الحماسة الشجرية لابن الشجري ، هبة الله بن علي ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ م .

٦٠ ـ الحور العين لنشوان الحميري ، أبي سعيد ، تحقيق كمال مصطفى ، (الناشر ؟) ، مصر ، ١٩٤٨ م .

٦١ ـ كتاب الحيوان للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

٦٢ ـ كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ، المطبعة السلفية ، (مكان النشر ؟) ، د . ت .

٦٣ ـ الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر ، تحقيق د . محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٤ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، عبد القادر بن عمر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٢م .

٦٥ ـ الدر المنثور بالتفسير بالمأثور للسيوطي ، جلال الدين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٦٦ ـ ديوان الأسود بن يعفر ، (صنعة) نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، د . ت .

٦٧ ـ ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

٦٨ ـ ديوان الأسود الأودي ، (ضمن الطرائف الأدبية) ، تصحيح وتخريج عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

٦٩ ـ ديوان امرئ القيس بن حجر ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

٧٠ ـ ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

٧١ ـ ديوان تأبط شرا ، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

٧٢ ـ ديوان حاتم الطائي ، تحقيق د . عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د . ت .

٧٣ ـ ديوان الحارث بن حلزة ، أعاد تحقيقه هاشم الطعان ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٩ م .

٧٤ ـ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د . وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

٧٥ ـ ديوان الحطيئة ، جرول بن أوس ، تحقيق د . نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦ ـ ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق محمد خير البقاعي ، (دار قتيبة ، (مكان النشر ؟) ، ١٩٨١م .

٧٧ ـ ديوان زيد الخيل الطائي ، صنعة د . نورى حمودى القيسي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، د . ت .

٧٨ ـ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٠م .

٧٩ ـ ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق د . فخرالدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٨٠ ـ ديوان السموأل بن عادياء ، تحقيق وشرح عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥١م .

٨١ ـ ديوان سويد بن أبي كاهل ، جمع وتحقيق شاكر العاشور ، (الناشر ومكان النشر ؟) ، ١٩٧٢م .

٨٢ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق صلاح الدين الهادى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٨٣ ـ ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٥م .

٨٤ ـ ديوان طفيل الغنوى ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٨م .

٨٥ ـ ديوان العباس بن مرداس ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبورى ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٨٦ ـ ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري ، تحقيق د . حسن محمد باجودة ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٨٧ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د . حسين نصار ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٨ ـ ديوان عدى بن زيد العبادى ، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٥م .

٨٩ ـ ديوان عروة بن الورد ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، د . ت .

٩٠ ـ ديوان طفمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي ، حلب ، ١٩٦٩م .

٩١ ـ ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدى ، (صنعة) هاشم الطعان ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، د . ت .

٩٢ ـ ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق محمد سعيد مولوى ، المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤م .

٩٣ ـ ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧م .

٩٤ ـ ديوان كعب بن مالك الانصارى ، تحقيق سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٦م .

٩٥ ـ ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د . احسان عباس ، وزارة الثقافة والارشاد والانباء ، الكويت ، ١٩٦٠م .

٩٦ ـ ديوان لقيط بن معمر الإيادى ، تحقيق د . عبد المعين خان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١م .

٩٧ ـ ديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، (مكان النشر ؟) ، ١٩٧٠م .

٩٨ ـ ديوان المثقب العبدى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، (مكان النشر ؟) ، ١٩٧١م .

٩٩ ـ ديوان المعاني للعسكرى ، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٠ ـ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق د . شكرى فيصل ، دار الفكر ، (مكان النشر ؟) ، د . ت .

١٠١ ـ ديوان النمر بن تولب ، (صنعة) د . نورى حمودى القيسي ، مطبعة المعرف ، بغداد ، د . ت .

١٠٢ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر ، تحقيق د . سليم النعيمي ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، العراق ، ١٩٨٢م .

١٠٣ ـ رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني أبي عبد الله محمد بن سعيد ، (ضمن رسائل البلغاء) ، اختيار وتصنيف محمد كرد علي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

١٠٤ ـ الروض الأنف في تفسير (السيرة النبوية لابن هشام) للسهيلي ، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الملك بن أحمد ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

١٠٥ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار للحميرى ، محمد بن عبد المنعم ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥م .

١٠٦ ـ زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى ، أبي اسحاق ابراهيم بن علي ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، د . ت .

١٠٧ ـ سمط اللآلئ للبكرى ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

١٠٨ ـ سنن ابن ماجة ، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (الناشر ومكان النشر ؟) ، د . ت .

١٠٩ ـ سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، نشر وتوزيع محمد علي السيد ، حمص ، ١٩٧١م .

١١٠ ـ سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، دار احياء السنة النبوية ، (مكان النشر ؟) ، د . ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١١ ـ سنن النسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن علي ، (بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي) ، مكتب المطبوعات الاسلامية حلب ، ١٩٨٦م .

١١٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، أبي محمد عبد الملك ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار القلم ، بيروت ، د . ت .

١١٣ ـ شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي ، يحيى بن علي ، تحقيق د . فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

١١٤ ـ شرح أشعار الهذليين للسكري ، أبي سعيد الحسن بن الحسين ، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج ومراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

١١٥ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن ، نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م .

١١٦ ـ شرح ديوان كعب بن زهير للسكري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٥٠م) .

١١٧ شرح شواهد المغني للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، لجنة التراث العربي ، (مكان النشر ؟) ، د . ت .

١١٨ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لابن الانباري ، أبي بكر محمد بن القاسم ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

١١٩ ـ شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ، أبي جعفر أحمد بن اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

١٢٠ ـ شرح المعلقات السبع للزوزني ، أبي عبد الله الحسين بن أحمد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م .

١٢١ ـ شرح مقامات الحريري للشريشي ، أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، د . ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، عزالدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني :
أ ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
ب ـ دار الكتب العربية الكبرى ، مصر ، د . ت .

١٢٣ ـ شعر أبي دواد الإيادي ، (ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لغرنباوم) ترجمة د . احسان عباس وآخرون ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م .

١٢٤ ـ شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق د . عبد الحميد محمود المعيني ، نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، ١٩٨٢م .

١٢٥ ـ شعر خفاف بن ندبة ، جمعه وحققه د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧م .

١٢٦ ـ شعر الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، تحقيق كرم البستاني ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١٢٧ ـ شعر زهير بن أبي سلمى ، تحقيق فخرالدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

١٢٨ ـ شعر عبد الله بن الزبعرى ، جمع د . يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م .

١٢٩ ـ شعر عبدة بن الطبيب ، جمع د . يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧١م .

١٣٠ ـ شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمع وتحقيق د . حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د . ت .

١٣١ ـ شعر النابغة الجعدي ، جمع عبد العزيز رباح ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤م .

١٣٢ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق د . مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٣ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى ، أبي العباس أحمد بن علي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د ٠ت ٠ (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية) ٠

١٣٤ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى ، اسماعيل بن حماد ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م ٠

١٣٥ ـ صحيح البخارى ، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ، دار الجيل ، بيروت ، د ٠ت ٠

١٣٦ ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم (بشرح النووى) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ٠ت ٠

١٣٧ ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمّى تاريخ المستبصر) لابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب ، (الناشر ؟) ، ليدن ، ١٩٥١م ٠

١٣٨ ـ الصناعتين للعسكرى ، أبي هلال عبد الله بن سهل ، تحقيق محمد علي البجاوى ومحمد أبي الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م ٠

١٣٩ ـ صورة الأرض لابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ٠ت ٠

١٤٠ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د ٠ت ٠

١٤١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ، محمد ، دار صادر ، بيروت ، د ٠ت ٠

١٤٢ ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني ، رضي الدين الحسن بن محمد ، (الجزء الأول ، القسم الأول) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٨م ٠

١٤٣ ـ العقد الفريد لابن عبد ربّه ، أحمد بن محمد ، تحقيق د ٠ مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤٤ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، أبي علي الحسن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤م .

١٤٥ ـ عيون الاثر في المغازي والشمائل والسير لابن سيّد الناس، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٧م .

١٤٦ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م .

١٤٧ ـ الفاخر للمفضّل بن سلمة، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٠م .

١٤٨ ـ الفائق في غريب الحديث للزمخشري، جار الله محمود بن عمر، ضبط وتصحيح محمد أبي الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٧م .

١٤٩ ـ فتوح البلدان للبلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م .

١٥٠ ـ فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، (الناشر؟)، ليدن، ١٩٢٠م .

١٥١ ـ فحولة الشعراء للأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني، (الناشر؟)، القاهرة، ١٩٥٣م .

١٥٢ ـ فرحة الأديب في الرد على السيرافي في شرح أبيات سيبويه للأسود الغندجاني، أبو محمد الحسن بن أحمد الأعرابي، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، ١٩٨٠م .

١٥٣ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز، تحقيق د. احسان عباس ود. عبد المجيد قطامش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥٤ ـ فوات الفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي ، تحقيق د . احسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

١٥٥ ـ القاموس المحيط للفيروزأبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣م .

١٥٦ ـ قصائد جاهلية نادرة ، د . يحيى الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١٥٧ ـ قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

١٥٨ ـ الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

١٥٩ ـ كنى الشعراء لابن حبيب البغدادى ، أبي جعفر محمد ، (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

١٦٠ ـ لب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، جلال الدين ، دار احياء العلوم، بيروت ، ١٩٨٠م .

١٦١ ـ لسان العرب لابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

١٦٢ ـ لطائف المعارف للثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، تحقيق ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

١٦٣ ـ المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لابن جني ، أبي الفتح عثمان ، مكتبة القدسي ، دمشق ، ١٣٤٨هـ .

١٦٤ ـ المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية ... للسيوطي ، جلال الدين ، مكتبة القدسي ، دمشق ، ١٩٢٩م .

١٦٥ ـ مجمع الأمثال للميداني ، أبي الفضل أحمد بن محمد ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦٦ ـ مجمل اللغة لابن فارس، أبي الحسن أحمد ، تحقيق الشيخ هادى حسن حمودى ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت، ١٩٨٥م .

١٦٧ ـ المحاسن والأضداد للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، دار احياء العلوم ، بيروت، ١٩٨٦م .

١٦٨ ـ المحاسن والمساوئ للبيهقي ، ابراهيم بن محمد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٦٩ ـ المحبّر لابن حبيب البغدادى ، أبي جعفر محمد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت .

١٧٠ ـ مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خردذابة ، أبي القاسم عبيد الله ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٦م .

١٧١ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ، الحسين بن علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

١٧٢ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، جلال الدين ، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبي الفضل ابراهيم وعلي البجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت .

١٧٣ ـ المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ، أبي علي الحسن بن علي ، نشر وتحقيق محمد كرد علي ، (الناشر ؟) ، دمشق ، ١٩٧٠م .

١٧٤ ـ المستقصى في أمثال العرب للزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٩٦٢م .

١٧٥ ـ كتاب المصباح المنير في (الشرح الكبير للرافعي) للفيومي أحمد بن محمد ابن علي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢١م .

١٧٦ ـ المعارف لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق د . ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

١٧٧ ـ كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧٨ ـ معجم البلدان لياقوت الحموى ، شهاب الدين أبي عبد الله ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٧٩ ـ معجم الشعراء للمرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

١٨٠ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى ، أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت .

١٨١ ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، أبي الحسين أحمد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت .

١٨٢ ـ المعمرون والوصايا للسجستاني ، أبي حاتم سهل بن محمد ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

١٨٣ ـ كتاب المغازى للواقدى ، محمد بن عمر ، تحقيق د . مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤م .

١٨٤ ـ المفضليات للمفضّل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ ، د . ت .

١٨٥ ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي ، جمال الدين أبي بكر محمد ، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الانصارى ، (الناشر ؟) ، الدوحة ، ١٩٨٠م .

١٨٦ ـ الملاحن لابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن ، (الناشر ؟) ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

١٨٧ ـ المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية لأبي البقاء الحلي ، هبة الله ، تحقيق د . صالح درادكة و د . محمد خريسات ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، د . ت .

١٨٨ ـ المنمّق في أخبار قريش لابن حبيب البغدادى ، أبي جعفر محمد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٩٦٤م .

١٨٩ ـ من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب البغدادى ، أبي جعفر محمد ، (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٠ ـ الموطأ لمالك بن أنس، صححه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي ، بيروت، ١٩٨٥م .

١٩١ ـ نسب قريش لابن مصعب الزبيري ، أبي عبد الله المصعب بن عبد الله ، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسالي ، دار المعارف، القاهرة ، د.ت .

١٩٢ ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢م .

١٩٣ ـ كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، باعتناء المستشرق بيفان ، (أعادت طبعه مكتبة المثنى في بغداد عن طبعة ليدن عام ١٩٠٥م) .

١٩٤ ـ نقائض جرير والأخطل لأبي تمام ، حبيب بن أوس ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت، ١٩٢٢م .

١٩٥ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، شهاب الدين بن عبد الوهاب :
أ ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د.ت . (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) .
ب ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، وزارة الثقافة ، مصر ، ١٩٧٥م .

١٩٦ ـ نهاية الارب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١٩٧ ـ النوادر لأبي علي القالي ، اسماعيل بن القاسم ، (ضمن كتاب ذيل الأمالي والنوادر) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦م .

١٩٨ ـ كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس، تصحيح سعيد الخوري ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت، ١٨٨٤م .

١٩٩ ـ الوحشيات لأبي تمام ، حبيب بن أوس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٢٠٠ ـ الوسيط في الأمثال للواحدي ، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيق غيف عبد الرحمن ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٧٥م .

٢٠١ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي ، نورالدين علي بن أحمد ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٢٠٢ ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي ، أبي عمر محمد بن يوسف ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

المراجع

٢٠٣ ـ الأسر والسجن في شعر العرب ، د . أحمد مختار البزرة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ودمشق ، ١٩٨٥م .

٢٠٤ ـ الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، د . مصطفى محمد مسعد ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٢٠٥ ـ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٢٠٦ ـ أمير الشعراء في العصر القديم (امرؤ القيس) ، محمد صالح سمك ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٢٠٧ ـ بين الحبشة والعرب ، عبد المجيد عابدين ، دار الفكر العربي ، (مكان النشر ؟) د . ت .

٢٠٨ ـ تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٢٠٩ ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، د . السيد عبد العزيز سالم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م .

٢١٠ ـ تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، د . نبيه عاقل ، (الناشر ؟) ، دمشق ، ١٩٦٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١١ ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، د . اسرائيل ولفنسون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٧م .

٢١٢ ـ الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ، أحمد الحفني القنائي الأزهري ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٠٣م .

٢١٣ ـ حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة ، داود غطاشة ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الاردنية ، ١٩٨٦م .

٢١٤ ـ الحطيئة في سيرته ونفسيته وشعره ، ايليا حاوى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م .

٢١٥ ـ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د . أحمد الحوفي ، مكتب نهضة مصر ، مصر ، ١٩٦٢م .

٢١٦ ـ الرق في التاريخ وفي الإسلام ، مصطفى الجداوى ، الشركة المصرية السعودية المتحدة ، الاسكندرية ، ١٩٦٣م .

٢١٧ ـ الرق : ماضيه وحاضره ، عبد السلام الترمانيني ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٩م .

٢١٨ ـ الرؤى المقنّعة (نحو منهج بنيوى في دراسة الشعر الجاهلي) ، د . كمال أبو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٢١٩ ـ سحيم عبد بني الحسحاس (شاعر الغزل والصبوة) ، محمد خير حلواني ، دار الشروق ، بيروت ، د . ت .

٢٢٠ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د . يوسف خليف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٢٢١ ـ الشعر في قبيلة طيء في العصر الجاهلي ، نجمة سعيد زايد ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، ١٩٨٢م .

٢٢٢ ـ العرب في حضارتهم وثقافتهم ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦م .

١٢٧٤٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢٣ ـ العرب في الشام قبل الإسلام ، أحمد محمد باشميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٢٢٤ ـ العرب والإسلام والخلافة العربية ، بليانيف ، ترجمة د . انيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٢٢٥ ـ فجر الإسلام ، أحمد امين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٢٢٦ ـ فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ايليا حاوى ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ت .

٢٢٧ ـ القيان والغناء في العصر الجاهلي ، د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .

٢٢٨ ـ مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٢٢٩ ـ مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي ، برهان الدين دلو ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٢٣٠ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د . ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٢٣١ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩م .

٢٣٢ ـ المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠م .

٢٣٣ ـ النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، د . حسين مروة ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٨م .

دراسات في الدوريات

٢٣٤ ـ الأحابيش والنظام العسكرى في مكة قبل الهجرة ، الأب لامنس اليسوعي ، مجلة المشرق ، السنة ٣٤ ، عام ١٩٣٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــع الأجنبيـــة

1. Arabia before Mohammed, Delacy O'Leary, London 1927.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Slavery in Pre-Islamic Time

And it's impact on Poetry

This study attempts to throw light on the phenomenon of Slavery in Pre-Islamic time and it's impact on contemporary poetry. Despite the fact that this study has already explored some aspects of the problem in concern, it does not claim that it is comprehensive.

Also this study shows that a flux of slaves lived in the Arab Peninsula and that the main source of this large number is the imported slaves who settled in the Peninsula one generation after another and increased in number by years.

Beside being used in domestic service and casual entertainement, those slaves were equally exploited in other public services of common interest. This wide infiltration of slaves into various aspects of life eventually led to a radical change into the whole economic and social structure of Pre-Islamic society.

The impact of this phenomenon can be demonstrated from the poetry of those free poets, whose attitude towards slavery was far from being sympathetic, in addition to the poetry of the slave poets themselves.

Unfortunately very little of the poetry of those slave poets themselves has survived. The surviving poetry of those poets is particularly characterized by a sense of agony which those poets actually experienced for being slaves. Such poetry has been recorded by the most prominent slave poets: the well-known Antarah and Suhaim Abed Bani Al-HasHas.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit